مشاهير قادة
الحرب العالمية الثانية
٦



فاسيليفسكي



بسّام العسليّ

دار النفائس

بسم الله الرحمن الرحيم

(٦)

مشاهير قادة الحرب العالمية الثانية



فاسيليفسكي

بسّام العسلي

دار النفائس



دار النفائس
للطباعة والنشر والتوزيع
شارع فردان - بناية الصباح
وصفي الدين - ص.ب ١٤/٥١٥٢
برقياً: دانفايسكو - ت ٨١٠١٩٤
أو ٨٦١٣٦٧ بيروت - لبنان

الطبعة الأولى: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

الوجيز في حياة ألكسندر فاسيليفسكي
١٨٩٥ - ١٩٧٧

١٨٩٥ ولادة الكسندر فاسيليفسكي في قرية نوفايا غولتشيخا.

١٩٠٩ أنهى دراسته الابتدائية وبدأ دراسته الثانوية الدينية في كوستروما.

١٩١٥ التحق في كلية ألكسييف العسكرية في موسكو.

١٩١٥ تخرج فاسيليفسكي من الكلية والتحاقه في الجيش التاسع بالجبهة.

١٩١٦ تعيينه قائداً للسرية الأولى في فوج ٤٠٩.

١٩١٧ إنتقاله للعمل في الجيش الأحمر، وانصرافه لتنظيم قوات الثورة وتدريبها.

١٩١٩ اشتراكه في الحرب الأهلية، وقيادته لكتيبة مستقلة.

١٩٢٤ تعيينه مديراً لمدرسة الفرقة ٤٨ للمشاة لإعداد ضباط الصف.

١٩٢٤ إلتحاقه في أكاديمية فرونزه العسكرية.

١٩٢٧ عودته لقيادة الفوج ١٤٣ في منطقة موسكو العسكرية.

١٩٣١ نقله إلى إدارة التدريب القتالي.

١٩٣٤ نقله إلى هيئة أركان منطقة لفوف العسكرية.

١٩٣٦ تعيينه رئيس قسم العمليات في هيئة أركان المنطقة (بـرتبة عقيد).
١٩٣٩ رئيس قسم العمليات في هيئة الأركان العامة.
١٩٤١ عمله حتى نهايـة الحرب في تنسيق التعـاون بـين الجيـوش والجبهات.
١٩٤٥ تعيينه رئيساً لهيئة الأركان العامة فوزيراً للدفاع (١٩٤٦).
١٩٥٠ وزيراً للدفاع حتى سنة ١٩٥٣.

المقدمة

تبقى قصص الحرب العالمية الثانية على الجبهة الشرقية، من أكثر قصص الحرب ثراء وعطاء لسببين رئيسيين هما: امتداد فترة الحرب على هذه الجبهة، ثم الحشد الضخم للقوى والوسائط مما لم تعـرفه الجبهـات الأخـرى، مثـل مسـرح العمليـات الأفـريقي وحتى الأوروبي. ويمكن أن يضـاف إلى ذلـك مجمـوعـة من العـوامـل الأخـرى، مثـل التبـدل الكبـير في الـطبيعـة الجغـرافيـة لمسـارح العمليات، والاختلاف الكبير في الأحوال الجوية، وطبيعة الصراع ذاته والذي أخـذ بسبب طابعـه الأيديولوجي ـ الفكـري، شكل حرب إفناء متبادل. وكان من نتيجة ذلك كله ظهور عدد كبير من القادة العالميين الذين قدموا لفن الحرب عطاء مميزاً بتنوعـه، نتيجة تنـوع أشكـال الصـراع ذاتـه، من دفـاع استـراتيجي إلى هجـوم استراتيجي، مع تطبيق أساليب حرب الاستنزاف وحرب الأنصار وكافة أشكال الحروب الثورية بتكامل مع أساليب الحرب النظامية. ومن هنا ظهرت صعوبة انتقاء نموذج أو أكثر من نموذج، يمثل قصة الحرب على جبهة الصراع السوفييتية الألمانية.

وإذا كان (جوكوف) قد احتل مرتبة القمة في فن القيادة وفي فن الحرب السوفييتي، فإن ذلك لا يحجب بداهة ذلك الحشد الضخم من جيل قادة الحرب، والذين برهنوا جميعاً على كفاءة قيادية عليا، وعلى قدرة رائعة في إدارة الحرب على المستويات المختلفة (الاستراتيجية والعمليات والتكتيك). وهنا تظهر صعوبة أخرى في اختيار النموذج الذي يمثل تجربة الحرب على الجبهة السوفييتية ـ الألمانية. ذلك أن (أدب الحرب السوفييتي)، والذي يعتبر المصدر الأساسي لقصة الحرب التي عاشتها الشعوب السوفييتية والقوات السوفييتية، يقدم قصص الحرب بأسلوب متشابه وبطريقة تكاد تكون موحدة. وقد يكون السبب في ذلك هو وحدة الفكر الإستراتيجي والعسكري الذي فرض وجوده على تفكير الكتاب العسكريين السوفييت عامة. وقد يكون السبب في ذلك أيضاً هو عيش الجميع تجربة واحدة كان لا بد لها من أن تدفع الجميع لاستخلاص دروس موحدة. وعلى كل حال، وبالرغم من ذلك فإنه يبقى هناك مجال لإبراز الدور الشخصي للقائد في التأثير على مسيرة الأحداث، وبالمقابل تأثر القائد بتيار الأحداث؛ وهو ما يعطي للبحث لونه المميز وطابعه الخاص.

لقد كان ماريشال الإتحاد السوفييتي الكسندر. م. فاسيليفسكي نداً للماريشال جوكوف. وقام خلال الحرب بالدور ذاته تقريباً ـ إعداد الخطط وتنسيق التعاون بين الجبهات والجيوش ـ وانفرد عنه بتجربة إضافية هي تجربة الحرب على مسرح عمليات الشرق الأقصى ـ ضد اليابان ـ. وكان لكل من القائدين طابعه

المميز وأسلوبه المميز وشخصيته الخاصة. وإذن فقد يكون اختيار قصته مع الحرب ممتعاً بقدر ما يكون مفيداً؛ حيث تظهر صورة تجربة الحرب ذاتها من خلال زاويتين متقابلتين.

لقد عاش (فاسيليفسكي) تجربة الحرب من خلال تجارب الآخرين (قادة الجبهات وقادة الجيوش والفيالق والفرق)، وكانت له مواقفه وعلاقاته الخاصة في معالجة المشكلات المختلفة. وتميزت علاقاته عامة بطابعها الإنساني، وبتجردها وبعدها عن العامل الشخصي؛ وكان ذلك سبباً رئيساً في اكتسابه لثقة الجميع - من رؤساء ومرؤوسين - إذ تبقى الفضائل الشخصية دائماً هي الأساس في التعامل لا سيما في ظروف الحرب؛ حيث يقترب الخط الفاصل بين الحيّاة والموت اقتراباً كافياً لإزالة كثير من النوازع الفردية، ليتوحد الجهد كله في تيار الجماعة الصاخب نحو طريق بناء المستقبل. هذا من ناحية؛ ومن ناحية ثانية، فلا ريب أن بروز الفضائل الحربية - الشخصية - في وسط القادة إنما هو برهان ثابت على أن للفضائل دورها دائماً في عملية بناء المستقبل - في السلم والحرب على السواء - حتى لو تم الانتقاص من هذه الفضائل أو إعطاؤها قيماً متبدلة بدلاً من قيمها الثابتة، والتي لم تكتسب ثباتها إلا عبر التجربة التاريخية الطويلة للحياة الإنسانية على الأرض في كل حالات السلم والحرب، وفي جميع أشكال الصراع. ولعل هذا هو من أبرز ما يمكن تأكيده في تجربة (المارشال فاسيليفسكي) إنسان الفضائل.

لقد كان من المتوقع لفاسيليفسكي أن يعيش حياته قساً - كاهناً -

في أحد الأديرة مثله كمثل أبيه، أو أن يعمل معلماً في مدرسة صغيرة في ناحية مجهولة، يصعب العثور عليها على الخرائط والمصورات. وكان من المحتمل أيضاً أن يتحقق طموحه بالعمل مهندساً زراعياً في إحدى رياض الطبيعة، غير أن قدره ساقه سوقاً إلى حيث يجب أن يكون، مثله كمثل جوكوف وكمثل عدد كبير من القادة الذين ظنوا في بدايات حياتهم أنهم يصنعون أقدارهم وإذا بهم لعبة القدر، ليس لهم من الأمر شيء إلا السير على طريق لهم فيه من حرية العمل ما يسمح لهم بالنجاح أو الفشل، بالصعود أو السقوط؛ بمتابعة الطريق حتى نهايته أو التوقف عند بدايته أو في وسطه.

وتبقى تجربة (فاسيليفسكي) أكبر من كونها تجربة شخصية؛ إنها تجربة أمة بكاملها، أو أمم، من خلال المعاناة الشخصية وتجربتها الفردية. شأن هذه التجربة، كشأن كل تجربة تندمج فيها الحياة الخاصة بالحياة العامة، وتتلاحم فيها حياة الفرد بحياة المجتمع. وهذا ما يعطي لقصة (التجربة التاريخية للأفراد) أبعادها التي تسمو في كثير من الأحيان حتى على مجتمعاتها، لتصبح ملكاً لكافة الشعوب، وهذا ما يكسبها بعدها الإنساني. وقد كانت قصة المارشال فاسيليفسكي بحق، إحدى هذه التجارب الإنسانية، والتي يصعب رسم ملامحها أو دورها بصورة كاملة. وقد يكون في بعض هذه التجارب ما يكفي لتحقيق الهدف من البحث والاستقصاء.

بسام العسلي

إن القدرة على التصرّف بوقار في
معاملة المرؤوسين هي صفة أكيدة من صفات
القائد العسكري

فاسيليفسكي

الفَصْل الأوَّل

١ ـ لم يخلق ليكون قساً.
٢ ـ التحول الحاسم.
٣ ـ العمل في أيام السلم.
٤ ـ الإعداد للحرب.
٥ ـ في أتون الحرب.
٦ ـ التعلم من تجربة موسكو.
٧ ـ ستالينغراد.

١ ـ لم يخلق ليكون قساً

ولد في قرية نوفايا غولتشيخا سنة ١٨٩٥ ليكون الرابع بين إخوته الثمانية. كان أبوه (ميخائيل ألكسندروفيتش) قساً، وقائداً للكورس الكنسي في قريته، ولم يكن راتب القس ـ الخوري ـ كافياً لتأمين أبسط متطلبات العائلة الكبيرة، فكان على الجميع أن يعملوا في الزراعة. وكان على الأب القس أن يعمل في المهنة التي يتقنها النجارة ـ كلما توافرت له فرصة للعمل إضافة لعمله في الكنيسة. ولم يكن الفقر المهيمن على هذه العائلة حالة استثنائية، أو ظاهرة خاصة ومميزة لعائلة الأب القس، وإنما كان حالة عامة عاشها معظم سكان القرية التي ولدها فيها (فاسيليفسكي)، حيث عاش طفولته مثله كمثل عشرات آلاف الأطفال ومئات الآلاف منهم فيما كان يطلق عليه اسم (روسيا المقدسة).

وقد أحب «فاسيليفسكي» التعلم منذ تفتحه على الحياة، فدخل المدرسة الدينية في (كينيشما) حتى سنة ١٩٠٩ حيث إنتقل إلى المدرسة الثانوية الدينية في (كوستروما) والتي كان بناؤها يحتل موقعاً جميلاً عند مصب نهر كوستروما بنهر الفولغا. ولم يكن (فاسيليفسكي) وهو يتابع دراسته في المدارس الدينية يطمح إلى أن يصبح قساً، بل كان يريد إنهاء دراسته الثانوية في المدارس الدينية

ليتخذ من ذلك سلماً للوصول إلى المعاهد العلمية العليا، شأنه في ذلك شأن عدد كبير من أترابه ورفاق دربه على طريق الحياة. ولهذا لم يكن أمراً مباغتاً بالنسبة له عندما قرأ في صحيفة (كينيشيميتس) يوم ١٦ تموز - يوليو - ١٩١٤ ما يلي: «لقد أنهى خلال العام الدراسي المنصرم ستة عشر شخصاً دراستهم في المدرسة الثانوية الدينية في مدينة - أركوتسك -. ولكن لم يبد من بينهم - كما أوردت صحيفة سيبيريا - الرغبة في البقاء في المنصب الديني سوى شخصين اثنين فقط؛ أما الباقون فيعتزمون الدخول إلى المعاهد العلمانية العليا. كما أنهى في العام الماضي المدرسة الثانوية الدينية في كراسنوبارسك ١٥ شخصاً، ولا يوجد من بين الخريجين أي راغب في الحصول على لقب ديني».

هكذا؛ لم يخلق (فاسيليفسكي) ليكون قساً؛ فعندما جاء صيف سنة ١٩١٤، توجه (فاسيليفسكي) لقضاء العطلة الصيفية مع أهله، وليعمل في أعمال الحقول والبستنة، وهو يحلم بأنه سيعمل معلماً بعد إنهاء دراسته الثانوية في العام المقبل، وأنه سيتمكن بعد جمع مبلغ من المال في التعليم، من الالتحاق بالمعهد الزراعي العالي أو في معهد المساحة في موسكو، ليصبح مهندساً زراعياً.

وبينما كان (فاسيليفسكي) يعيش واقعه في العمل، ويعيش حلمه في المستقبل، انتشر النبأ الذي هز البلاد كلها: لقد تفجرت الحرب، وارتفعت شعارات (الدفاع عن الوطن)، فاستجاب لها الشباب وكلهم حماسة لحمل السلاح. وما إن عاد (فاسيليفسكي)



فاسيليفسكي
بعد التخرّج من المدرسة
الدينية في كوستروما (١٩١٤)

إلى مدرسته الثانوية في (كوستـروما) حتى تقـدم مع بعض زمـلائه بطلب لتقديم موعد امتحانات الشهـادة الثانـوية، حتى تتـاح لهم فرصة الالتحاق بالجيش.

واستجـابت وزارة التـربيـة؛ واجتـاز (فـاسيليفسكي) فحص الثانوية بنجاح، وارسل مع عدد من زملائه ليكونـوا تحت تصرف القائد العسكري لمنطقة كوستروما في كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩١٥، وألحقوا في شباط ـ فبراير ـ في كلية ألكسيف العسكرية في موسكو. وأخذ (فاسيليفسكي) طريقه ليكون ضابطاً؛ ولكنه لم يكن بالرغم من ذلـك قد اتخـذ قراره بـأن يصبح ضـابطاً لتسلق سلم الـرتب العسكرية، ولا زال يحلم كالسابق بأن يصبح مهندساً زراعياً بعد

انتهاء الحرب، والتي كان الجميع يعتقدون بأنها ستنتهي في غضون شهور قليلة، ولم يكن يعتقد يومها أن كل شيء سينقلب رأساً على عقب، حتى روسيا ستتغير؛ وحتى هو سيتغير أيضاً . .

تعرض الجيش الروسي ـ القيصري ـ لخسائر فادحة خلال معاركه الأولى في الحرب، مما تطلب الإسراع في تخريج الضباط من الكليات الحربية ـ حيث كانت هناك عشر كليات منها في روسيا. وهكذا تخرج (فاسيليفسكي) من الكلية برتبة ملازم بعد أربعة أشهر فقط من التدريب (في أيار ـ مايو ـ ١٩١٥). وكان زاد المتخرجين من المعلومات زهيداً، إذ تركز التدريب على النظام المنضم والانضباط واستخدام الأسلحة. وكانت الدروس تحمل طابعاً نظرياً أكثر من الطابع العملي، فكان لزاماً تعلم الخبرة العملية في الجبهة. ولهذا لم يكن غريباً أن يقال: «بأن الروس يحسنون الموت فقط، دونما فائدة».

ولهذا فقد انصرف (فاسيليفسكي) لتطوير ثقافته العسكرية، بالإعتماد على نفسه، وأخذ في مطالعة كل ما كانت تقع عليه يداه من المراجع العسكرية القديمة، مع التقاط كل ما يفيد معرفته العسكرية. فدرس كتب (كوتوزوف) و(سوفوروف) و(ميليوتين) و(سكوبيليف). وحفظ مما حفظه عن (دراغوميروف) الكاتب العسكري الروسي وبطل الحرب الروسية ـ التركية ١٨٧٧ ـ ١٨٧٨ قوله في التعليم: «قل في البداية فكرة واحدة، أطلب تكرارها ثم ساعد على فهمها؛ وبعدئذ قل الفكرة التالية. وليس المهم

الحكاية، بل العرض المقترن بالحكاية. ولا تعلم في المرحلة الأولى إلا ما هو في غاية الضرورة. ولا تأمر مرؤوسيك إلا قدر استطاعتهم» ومن أقواله: «مهمتنا هي إفناء العدو، وتدميره. ولهذا فعلينا في الحرب أن نخوض القتال لإبادة العدو لا حتى نفنى نحن؛ إذ لا يجوز أن نحارب بشكل نموت فيه ولا نميت العدو؛ إنه إذن لغباء».

وقرر ـ فاسيليفسكي ـ أن يعتمد في خدمته العسكرية على بعض المبادىء الثابتة، لتكون نهجاً له ومسلكاً؛ ومن ذلك: «الركوع للعلم، وخدمة الوطن، والمحافظة على الشرف العسكري، والاختلاط بالمرؤوسين عن قرب، ووضع متطلبات الخدمة فوق المشكلات أو المسائل الشخصية، وعدم الخوف من الإنفراد بالمسؤولية وتحملها، والعمل من أجل هدف واضح».

تلقى ـ فاسيليفسكي ـ دروسه العملية الأولى في فن القيادة، في ظروف معقدة جداً. فقد أرسل إلى كتيبة احتياطية في حزيران ـ يونيو ـ ١٩١٥. وكانت هذه الكتيبة تتمركز في مدينة روستوف، مركز قضاء في محافظة ياروسلافل. وقد بقيت ذكريات هذه الفترة القصيرة التي قضاها في هذه المدينة الغنية بآثار الماضي الروسي من أجمل الذكريات التي عاشها في حياته. كانت الكتيبة تتألف من سرية مشاة من الجنود، وحوالي مائة ضابط جمعوا هنا ريثما يتم إرسالهم إلى الجبهة. وكانوا جميعهم في الأساس من الملازمين الشبان الذين تخرجوا من المدارس والكليات العسكرية منذ عهد قريب.

تعـرف (فاسيليفسكي) عـلى الموقف بسـرعة وتجـول في المدينـة وأعجب بمنظر الكريملين، وشاهد الورشات الشهيرة لصنع الأدوات المعدنية الفنية والمطعمة بالميناء الملون. ولم تمض أكثر من عشرة أيام حتى جاء الأمر بإرسال السرية إلى الجبهة، فتم جمع الضباط كافة. وكانت العادة في الجيش القيصري أن يتم اختيار القادة من بين من يتطوعون للذهاب إلى الجبهة. وكان الملازم فاسيليفسكي يتوقع أن يتطوع الكثيرون لأداء هذا الواجب، لا سيما من بين الضباط الذين مضت عليهم فترة طويلة في الكتيبة الاحتياطية؛ ولذا فقـد بوغت (فاسيليفسكي) مباغتة مذهلة عندما لم يتقـدم أحد للتـطوع بقيادة السرية التي سيتم إرسالها إلى الجبهة. وكان لا بـد من تعيين قـائد للسـرية. وكـرر قائـد الكتيبة نـداءه مـرات عـديـدة إلى (السـادة الضبـاط) فلم يجبـه إلا الصمت الكـامـل، مما دفعـه إلى إبـداء ملاحظات حادة وجهها العقيد العجوز إلى مرؤوسيه، وقال أخيراً: «إنكم على كل حال ضباط في الجيش الروسي؛ فمن سيدافع عن الوطن؟» لكن الصمت استمر كما كان. وعندئذٍ أمر قائـد الكتيبة مـرافقـه أن يختـار قـائـداً للسـريـة عن طـريق القـرعـة. وشعـر فاسيليفسكي، الذي كان يتوق للوصول إلى الجبهة بأسرع ما يمكن بالخجل الشديد نيابة عن كل الضباط الموجودين بالقاعة. غير أنه لم يجد الجرأة لتلبية الدعوة طوعاً لأنه كان يعتبر أن منصب قائد السرية هو منصب رفيع جداً بالنسبة لملازم تخرج حديثاً من الكلية الحربية، وربما هكذا كان يفكر بقية الملازمين مثل تفكيره. ولكن عندما رأى أنه ما من أحد من الذين هم أكثر منه قدماً، قد أظهر رغبته في قيادة

السرية المتوجهة إلى الجبهـة، تقدم إلى قـائد الكتيبـة، وأعلن عن استعداده للقيام بالواجب، وتبعه بعض الملازمين، وقوبـل موقف فاسيليفسكي بالرضى الواضح من قبل الآخرين.

وعلى الأثر تحـركت السريـة من روستوف الكبـرى؛ غير أنها لم تلتحق بالجبهة فـوراً، واضطرت إلى البقـاء حتى أيلول ـ سبتمبر ـ ١٩١٥ في تشكيل عدد من القطعات الاحتياطية. وفي النهاية وصل فاسيليفسكي إلى الجبهة الجنوبية الغربية. وهناك أرسلته هيئة أركان الجبهة إلى الجيش التاسع الذي كان يشكل الجنـاح الأيسر للجبهة الجنـوبية الغـربية، وللجبهـة الشرقيـة أيضاً. وسـار فاسيليفسكي مسافة بعيدة (ثلاثين فرسخاً) ليلتحق بالسـرية الثـانية من الكتيبـة الأولى في فرقة المشاة ١٠٣. وما إن وصل إلى سريته حتى استقبله لهيب نار الحرب ـ لأول مرة ـ فعرف معنى قذائف المدفعية المنثارية؛ والقنابل اليدوية، وقنابل الهاون، وشعر عندها أنه بات بعيداً بعداً شاسعاً عن حياة الأمن والطمأنينة.

ظلت قوات الجيش التاسع طوال خريف سنة ١٩١٥ وشتائه، وهي تشغل خطاً غير مناسب للدفـاع، وقامت بمعـارك للاحتفـاظ بمواقعها في المنطقة الواقعة إلى الغرب من مدينة (خوتين) ضد قوات الجيش النمسـاوي ـ المجري السـابع. وتحصن كـل من الجـانبـين المتحـاربين. وشغلت الكتيبـة الأولى ـ وفيها سـرية فـاسيليفسكي الثانية ـ مواقعها إلى الغرب من قرية (رجافينتسي) مباشرة ـ وكانت الخنادق تترك في النفس انطباعـاً كئيباً جـداً، فهي ليست أكثر من

مجارٍ عادية ألقي التراب على جانبيها بشكل فوضـوي، ولم تدعم بالمتاريس أو تجهز بالمزاغل والمسـاند، ولم تعـرف حتى أبسط أنواع التمويه. وقد حفرت في هذه الخنادق حفر تتسع لشخصين أو ثلاثة للعيش فيهـا. وقد أخـذت هذه الحفـر شكل مغـاور ـ مغـارات ـ وفتحة واسعة للدخول إليها ـ أو بالأحرى الزحف لدخولها ـ وكانت تلك الفتحـات تغـطى بقمـاش الخيم، ولم يكن هنـاك أي وجـود للحماية من نيران المدفعية أو الرشاشات. كـذلك كـانت الموانـع الإصطناعية بدائية أيضاً. ولم تكن خنادق العدو تبعد مسافة تزيـد على المائة متر. وكانت مواقع العدو الدفاعية تبدو وهي مجهزة تجهيزاً لا بأس به. وقد تبين ذلك للجنود الروس عندما أمكن لهم التغلب عليهـا واحتلالهـا. ولم يكن لدى الجنـود الروس في هـذه الظروف القاسية مـا يحميهم من المطر والصقيـع، إلا معاطفهم التي كـانوا يفترشون نصفها، ويلتحفون بنصفها الثاني؛ كما كانوا يستخدمونها لنقل الجرحى من المعركة أيضاً. أما سلاح الجندي فكـان في ذلك الوقت البندقية ثلاثية الأضلاع (طـراز ـ ١٨٩١) المجربـة والتي لم تكن تتـأثر بـالأوساخ أو بـالأحوال الجـوية السيئـة والمطر؛ فكـان بالمستطاع الاعتماد عليها؛ غـير أن هذه البـواريد ـ القيصـرية ـ لم تكن متوافرة بأعداد كافية، فصار كثير من الجنود الروس يتسلحون بـالبنادق النمسـاوية التي يغنمـونها؛ والتي كانت طلقـاتها متـوافرة بكميات أكبر مما كانت متـوافرة طلقـات البنادق الـروسية. ولهـذا السبب ذاته، فكثيراً ما كان لدى الوحدات الروسية ـ القيصريـة ـ الرشاش النمساوي (شفارتس لوزه) وهو يعمل جنباً إلى جنب مع

الرشاش الـروسي (مكسيم). ولم يكن وضع المـدفعية أفضـل من ذلك؛ ولقد كانت المدافع الروسية جيدة في الواقع؛ وكـان الجنود الـروس يستخدمـونها بمهارة ودقـة، إلا أن مدفعيـة الميدان لم تكن كافية؛ وكذلك المدفعية الثقيلة؛ وكـذلك أيضـاً القنابـل من جميع الأنواع والعيارات.

ولقـد قام (فـاسيليفسكي) وسريتـه بالهجـوم في أواسط كانـون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩١٥ ـ في إطار الهجوم العام للجيش التاسع. واستمـر الهجوم طـوال أسبوع تعـرضت خلالـه القوات الـروسية للخسائر الفـادحة؛ إلا أنها استـطاعت دحر القـوات النمساويـة، وإرجاعها إلى الوراء مسافة ١٥ ميلاً لا أكـثر، ثم عادت القـوات الروسية إلى الحرب الدفاعية من جديد (حرب الخنادق). وخـلال فصل الشتاء؛ نقل فوج (فاسيليفسكي) عدة مرات من الخنادق إلى احتيــاطي الفـرقــة من أجـل الاستــراحـة. واستخــدمت أيـام الاستراحة ـ بالدرجة الأولى ـ للعنايـة بصحة الجنـود؛ ونظافتهم، وفي الحمامات الميدانية التي حفـروها بـأيديهم لـلاغتسال وتبـديل ثيابهم البالية وغسلها، ولتبديل العتاد والأسلحة، ولأخذ قسط من الـراحة. فـإذا ما استـطالت فترة الـراحة، انصـرفت الـوحـدات للتدريب العسكري، مـع التركيـز بصورة خـاصة عـلى الانضباط الصارم، عملاً بحكمة فريـدريك الكبـيرـ الأمبراطـور الروسي ـ والقائلة: «يجب أن يخاف الجندي من عصا العريف أكثر من خوفه من رصاص العدو». ولكن فـاسيليفسكي لم يكن راغباً في الأخـذ بهذه الحكمة، وما يشابهها من مقولات، إيماناً منه واعتقاداً: «بأنه

من غير الممكن الاعتماد على مثل هذه العلاقة المتبادلة بين الجنود والقادة في ظروف الحرب. حيث إن الخضوع القائم على الخوف من العقاب لا يدوم كثيراً. فما أن يجد الجيش نفسه في ظروف قتالية صعبة حتى يتبدد كل أثر لمثل ذلك الخضوع؛ كما أن الخضوع وحده لا يكفي لكسب المعركة. ولا بد من أن تتوافر للمرؤوسين الثقة بقادتهم ورؤساءهم». فكان فاسيليفسكي يحاول في ذلك التعامل مع المرؤوسين على أساس التوجيهات والمبادىء التي وضعها كبار القادة الروس ـ من أمثال سوفوروف وكوتوزوف ودراغوميروف ـ. ولم يكن تطبيق هذه التوجيهات والمبادىء سهلاً، ولكن النتائج المباشرة كانت مشجعة للغاية، إذ لم يصطدم فاسيليفسكي أبداً بأي سوء تفاهم مع مرؤوسيه؛ وهو الأمر الذي كان نادراً في ذلك الوقت.

عين (فاسيليفسكي) قائداً للسرية الأولى في ربيع سنة ١٩١٦، وذلك قبل فترة وجيزة من بداية الخرق في منطقة (بروسيلوفو). ولم تمض فترة طويلة حتى اعترف قائد الفوج بأن سرية فاسيليفسكي هي أحسن سرايا الفوج تدريباً وكفاءة قتالية وانضباطاً عسكرياً. وأدرك فاسيليفسكي أن سبب نجاحه إنما يكمن في الثقة التي أولاه إياها جنوده. ومضت سنوات تلتها سنوات، وفاسيليفسكي يحتفظ بذكريات قيادته الأولى وما حققه فيها من نجاح. وكم كان سعيداً عندما تلقى بعد تلك السنوات الطويلة رسائل من رفاقه القدامى وهي تذكره بدفء تلك العلاقة خلال تلك الأزمات العصيبة. ومنها على سبيل المثال، تلك المباغتة السارة التي حملته إلى الماضي

بفضل (محمد زيانوف) الذي أرسل له صورة يعود تاريخها إلى ١٩١٧/٧/١٢، وقد كتب فاسيليفسكي خلفها: «الذكرى الطيبة». وها هي الصورة وقد أرسلها له (محمد زيانوف) في منتصف عقد الخمسينات. وقد بلغ من ضمتهم الصورة الثمانين عاماً؛ ولا زالوا يذكرون صحبتهم لفاسيليفسكي. ومثلها تلك الرسالة التي وصلت قبل ذلك (سنة ١٩٤٤) من الجندي (كيسليتشنكو) والذي استهل رسالته:

لا زلت أذكر أيام تلك المصائب والمعاناة.

في الفجاج التي يستحيل قطعها من الكاربات.

وقد اكدت الرسائل الكثيرة التي تلقاها فاسيليفسكي من رفاق السلاح أن من أول واجبات الضابط هي أن يكون دائماً وفي كل شيء مع شعبه ومع جيشه، وفي خدمته والدفاع عن مصالحه.

اشترك (فاسيليفسكي) وسريته بالهجوم الروسي الشهير والمعروف باسم (اختراق بروسيلوفو). وهو الهجوم الذي حقق شهرته العالمية بتأثيره على مجرى الحرب العالمية الأولى ونهايتها، وذلك على الرغم من الخطأ الفادح الذي ارتكبته الجبهة الغربية المجاورة وكذلك خطأ القيادة العليا، حيث لم تستخدم نتائج هذا الهجوم بشكل مناسب وصحيح. ولقد أفاد (فاسيليفسكي) من اشتراكه بهذا الهجوم لتكوين فكرة واضحة عن تنظيم المعركة وإدارتها. وساعدته الصلابة التي اكتسبها وقت الهجوم فيما بعد، كما انتفع من الخبرة في تنظيم الأعمال القتالية على مستوى الوحدات

من مختلف الصنوف، وذلك خلال سنوات الحرب الأهلية. وكان فاسيليفسكي خلال ذلك: مثله كمثل معظم رفاقه في الجيش، من المؤيدين بحماسة للهجوم؛ إذ كان يرى أن من واجب الجيش الروسي العمل على تحرير الكاربات.

ولقد تأكد (فاسيليفسكي) من هذه الحقيقة عندما تقدم وسريته إلى ما وراء مدينة (بوكوفينا) حيث استقبله السكان ـ الذين كانوا يسمون في ذلك الوقت (بالروس) ـ بالترحاب والحماسة، وحدثوه عن مصيرهم القاسي وحياتهم الصعبة. فقد كانت السلطات النمساوية تعتبرهم أجانب، وتلاحق الجميع ممن له أصول (روسية) واعتقلت عدداً كبيراً من المثقفين السلافيين وألقت بهم في معسكر الاعتقال الجماعي (تيليرغوف) والذي رويت عنه الأساطير الرهيبة. وأصبحت تلك المنطقة الخصبة والغنية عادةً، من أشد المناطق بؤساً وفقراً. لقد تركت الحرب أثرها المدمر والوحشي في كل مكان.

كان هجوم (اختراق بروسيلوفو) قد بدأ يوم ١٢ ـ أيار ـ مايو ـ ١٩١٦. وتطور يوم ٢٨ أيار ـ مايو ـ عندما تم اختراق خطوط الدفاع النمساوية. وبدأ الصراع في منطقة جبال الكاربات. وكان على (فاسيليفسكي) وسريته تسلق المرتفعات، وعبور الجداول الصغيرة المتتالية، واختراق الغابات الكثيفة، وتجاوز الشعاب الجبلية. وازداد منظر الطبيعة قسوة: فجاج رهيبة، وقمم عالية يصل ارتفاعها حتى ألفي متر. وأصبح لزاماً على فاسيليفسكي

وسريته التمركز في العراء. وساعدته فترة ذلك الهجوم السريع على اكتساب الخبرة في قيادة الوحدة خلال المعركة التصادمية والهجوم من الحركة. وكان خلال ذلك يراقب بانتباه تصرفات الضباط والقادة ممن هم أعلى منه رتبة. ولم يكن يقف في متابعته ومراقبته عند حدود ملاحظة أساليب قيادتهم للقوات، بل وأساليبهم في التعامل مع الرتب الأدنى. ولقد تولى (فاسيليفسكي) قيادة كتيبة، بعد أن تناقص عدد الضباط، وبلغت الخسائر في جيشه التاسع نسبة زادت على الخمسين بالمائة.

طال أمد الحرب، بأكثر مما كانت تتوقعه القيادة القيصرية التي دخلت الحرب على أساس إنهائها خلال فترة شهور أربعة أو ستة؛ ولهذا لم تستعد لمجابهة متطلبات حرب طويلة الأمد، وانعكس ذلك على القوات المسلحة تنظيماً وتسليحاً وتجهيزاً، وزادت تعقيدات الموقف يوماً بعد يوم، وأصبحت الإمدادات سيئة للغاية، وتنامت الدعاية المضادة للحرب. ولهذا، فعندما تفجرت الثورة في بيتروغراد في آذار ـ مارس ـ ١٩١٧ وتنازل القيصر على العرش، استقبل الجيش هذا الحدث بالترحيب. وبدأت حياة جديدة في كتيبة فاسيليفسكي وفي فرقته وفي جبهته، بل وفي جميع أنحاء روسيا. ولكن الوضع تغير مجدداً وأخذ انعطافاً حاداً، ولما تكد القوات تفرغ من أداء القسم للسلطة الجديدة. فقد أخذ (البولشفيون) في النضال لكسب جماهير الناس؛ ولكسب الجنود خاصة وكان تأثير البولشفيين يتحدد جزئياً بمدى بعد الجيش عن العاصمة. فقد دبت روح الثورة في الجبهة الشمالية بأسرع مما

حصل في الغربية، وفي الغربية بأسرع من الجنوبية الغربية. وحدث انشقاق خطير بين هؤلاء الذين تسلموا السلطة الجديدة والذين كانوا يريدون متابعة الحرب، وبين أولئك الذين يريدون متابعة الثورة الاجتماعية وإيقاف الحرب. وكان القائد الأعلى الجديد ـ الجنرال كورنيلوف ـ يقف على رأس الداعمين للسلطة الجديدة، في حين كان (البلاشفة) هم دعاة الاتجاه الأخير ـ إتجاه الثورة والسلم ـ. وكان الجنود في معظمهم مع البلاشفة، لأنهم كانوا يريدون العودة إلى بيوتهم، وكان فاسيليفسكي مع البلاشفة. غير أن الموقف لم يتحدد بشكل واضح إلا بعد الإعلان عن قيام ثورة أكتوبر ـ تشرين الأول ـ، حيث اجتاحت القوات هزة عنيفة. وناقش الجنود بحماسة قرار السلام وقرار الأرض، وألقوا البنادق، وتعانقوا مع الجنود النمساويين والألمان، وعبروا علانية عن غضبتهم على قادتهم، وحيوا السلطة الجديدة المعبرة عن مصالح الشعب.

جابه الضباط المضادين للبلاشفة تهديد الإحالة إلى المحاكم العرفية، وتعمق الانشقاق بين الضباط؛ كانوا حتى الأمس يجلسون وراء طاولة واحدة، أما الآن فقد أصبحوا وهم رفاق السلاح، ينظرون بكراهية بعضهم إلى بعض. ولقد رأى فاسيليفسكي نظرات الكراهية تلك بنفسه لأنه اعترف بالسلطة السوفييتية عندما قال «نعم للبلاشفة» وأصبح عضواً في سوفييت المندوبين العسكريين.

كان فاسيليفسكي خلال ذلك قد اتخذ قراره بترك الخدمة

العسكرية. لقد بدأت تسريحات عفوية، فلماذا يجب عليه البقاء في رومانيا من أجل هدف غير منظور؟ إنها الفرصة ليعود فيحقق حلمه بالعمل في مهنته المفضلة ـ الزراعة ـ. وتلقى فاسيليفسكي أمراً بتسريحه ـ في إجازة ـ في نهاية تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩١٧، فودع رفاقه بحرارة، واجتاز أوكرانيا في طريق عودته. وأخيراً وصل إلى منزله في شهر كانون الأول ـ ديسمبر ـ. إنه لم يخلق ليكون قساً أو كاهناً، هذا مؤكد، ولكن هل خلق ليكون مزارعاً؟ وهل انتهت تجربة فاسيليفسكي مع الحرب ومع حياة الجندية؟

٢ ـ التحول الحاسم

لقد كان فاسيليفسكي يشعر بتعلق شديد بالأرض والعمل الزراعي، وكان لا بد من البحث عن عمل لكسب العيش، وأصبحت الأرض تتفجر في كل مكان بنار الثورة والثورة المضادة. فماذا يعمل (فاسيليفسكي)؟

المهم بالنسبة له، وفي تلك المرحلة بالذات، اختيار الطريق الأكثر ثباتاً والأكثر استقراراً لبناء مستقبله. ولم يطل تردده، فقد تلقى في نهاية شهر كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩١٧، ولم يكد ينعم طويلاً باستراحته، برقية من القسم العسكري في قضاء (كينيشما) التابع للسوفييت المحلي، ذكرت أن الاجتماع العام للفوج ٤٠٩، وفقاً لمبدأ الانتخاب الذي بات سارياً في الجيش خلال تلك الفترة، قد انتخبه قائداً للفوج. وكان لزاماً على فاسيليفسكي الالتحاق فوراً لاستلام قيادة فوجه (في أوكرانيا)، غير أن الوضع في أوكرانيا كان مضطرباً جداً. ففي ٣١ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ١٩١٧ انتقلت السلطة في

مدينة كييف إلى أيدي السوفييت. لكن الحكومة المركزية (البورجوازية ـ القومية) التي تشكلت أيام الحكومة المؤقتة، أسقطت مجالس السوفييت، وأعلنت استقلالها عن بيتروغراد وعدم تبعيتها لها، ودخلت في تحالف مع الأتمان القوزاقي المتمرد (خالدين ـ كاليدين) واتفقت مع القائد العام لقوات الجبهة الرومانية (شيرباتشيف) على أن تجتمع الجبهتان الرومانية والجنوبية الغربية تحت قيادته في جبهة أوكرانية موحدة خاضعة للحكومة.

وظلت السلطة السوفييتية قائمة في مدينة (فاركوف) حيث أعلن المؤتمر الأول لسوفييت عموم أوكرانيا، أن أوكرانيا هي (جمهورية اشتراكية). لكن الحكومة المركزية كانت تسيطر على الجزء الأكبر من أراضيها. وكان من المحتمل في تلك الظروف جر الفوج ٤٠٩ مع بقية القطعات العسكرية التي بقيت مؤقتاً تحت قيادة (شير باتشيف) إلى مغامرة عسكرية معادية للسلطة السوفييتية. وأمام هذا الموقف، وجّه القسم العسكري نصيحة إلى فاسيليفسكي بعدم التوجه إلى أوكرانيا، والتقدم بطلب للعمل في أحد المراكز العسكرية. وسرعان ما صدر الأمر بتعيينه مدرِّباً في دورات التعليم العام في ناحية (أوغليتس) من قضاء (كينيشما).

ولقد تطور تدريب الجيش (جيش العمال والفلاحين) بمراحل مختلفة. فقد أقبل العمال على التدريب استجابة لنداء البولشفيين في آذار ـ مارس ١٩١٨، وهو النداء الذي صدر في أعقاب المؤتمر السابع للحزب الشيوعي الروسي، وعبرت عنه ـ الأزفستيا ـ بقولها: «يجب على كل عامل، وكل عاملة، وكل فلاح، أن يتعلموا

كيفية الرمي على البندقية والمسدس والرشاش». وفي يوم ٢١ آذار ـ مارس ـ ١٩١٨ أيضاً صدر أمر عن المفوضية السوفييتية للدفاع، تم بموجبه إلغاء الانتخاب في الجيش الأحمر. وتوجهت اللجنة العامة بنداء إلى الاختصاصيين بالفن العسكري، وإلى جميع ضباط الجيش القديم للالتحاق بجيش العمال والفلاحين لإشغال المناصب القيادية. والتحقت بالجيش الأحمر أعداد ضخمة من الضباط الذين قدموا معارفهم ومواهبهم لخدمة الجيش.

لقد اختلفت برامج التدريب بحسب وضع المتدربين وفيما إذا كانوا متفرغين أو مرتبطين بعمل. فكان هناك برنامج للتدريب لمدة أسبوع، وآخر لمدة٧ أسابيع، وثالث لمدة ١٤ أسبوعاً. وجاء في مقدمة برنامج التدريب التوجيه التالي: «يمكن للعدو أن يقوم بهجومه ما بين ساعة وأخرى بهدف القضاء على روسيا العظمى، كما فعل بأوكرانيا، وليحرم الشعب من جميع المكتسبات التي حققتها الثورة. ولذلك لا يجوز الاعتماد على فترة أربعة أشهر للتدريب، كما كان الأمر بالنسبة للمستجدين، بل وعلى فترة التدريب لمدة أربعة أسابيع، كما كان الأمر معمولاً به في الوحدات الإحتياطية. وربما قد تظهر ضرورة لتدريب السكان على أعمال القتال خلال أسبوع واحد؛ واستخدام ثلاثة أيام أخرى للتدريبات التعبوية ـ التكتيكية ـ العملية؛ فيما إذا ترك العدو لنا وقتاً».

وكانت طريقة التدريب تعتمد على المبادىء القديمة والتي برهنت التجربة على صحتها؛ مثل: «علم بالإيضاح واشرح بالكلام» ومثل: «اعرض بشكل يراه الجميع، وتأكّد من استيعابهم لكل جزء على

حـدة» و «احكم على الكفـاءة من التنفيذ، وليس بـالكـلام». وكـان يجـري التدريب في البـداية بشكـل فردي، ثم عـلى مستوى الجـماعـة فـالفصيلة فالسريـة؛ إلى أن يتم إجراء تـدريب توجيهي عـام في نهاية التدريب.

لقد بذل فـاسيليفسكي كل مـا يستطيعـه، وأكثر ممـا يستطيعـه لتدريب المقاتلين وإعدادهم؛ غير أنه لم يكن راضياً كل الرضى عن نفسه لأنه كان يشعر بأن لديه الكثير مما يستطيع تقديمه من خبراته القيادية، ذلك أن القسم العسكري لم يستدعه إلى عمل أكثر حيوية للدفاع عن الوطن السوفييتي. وظهر لـه أن القيادة لم تمنحـه الثقة بسبب أصوله التي تنتسب إلى أسـرة دينية، ولأنـه كان ضـابطاً في الجيش القيصري برتبة نقيب ركن.

إلى أن كـان شـهـر آب ـ أغسـطس ـ ١٩١٨، حيث قـرأ (فاسيليفسكي) في إحدى الصحف إعلاناً لاختيار معلمين للعمل في المدارس الريفية في محافظة (تولا). ولما كان دبلوم التخـرج من المدرسة الثانوية الدينيـة يعطيـه الحق بأن يعمـل معلماً في المدارس الابتدائية، تسـاءل فاسيليفسكي: «لمـاذا لا أذهب وأصبح معلماً ريفياً؟ إنه لأمر ممكن خدمة الشعب في هذا المجال أيضاً، والبـلاد بحاجة أكثر من أي وقت مضى إلى جيل الشباب المتعلم ليحمل على كاهله بناء الحيـاة الجديـدة». وأسرع فـاسيليفسكي لتقديم طلب لـلانتقال إلى مهنـة التعليم، وجاءت المـوافقـة بسـرعـة. ووصـل فاسيليفسكي في شهر أيلول ـ سبتمبر ـ إلى المدرسـة الابتدائيـة في

قرية (فيـرخوفيـه) قضاء نـوفوسيـل: في وسط الأراضي الروسيـة القديمة.

ما كاد (فـاسيليفسكي) يستقر في قـريته حتى اجتـاحت الاقليم موجة من الاضطرابات. فقد قاوم الفلاحون السلطة السـوفييتية، وامتنعوا عن تسليم منتجاتهم من الحبوب؛ ولكن الحزب البولشفي استطاع حشد قواه، وأمكن له مصادرة الانتاج الزراعي. وفي نهاية شهر تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ١٩١٨؛ أرسل إلى قضاء (نوفوسيل) قطار كامل من القمح هدية إلى عمال موسكو وبيتروغراد وذلك بناء على قرار المؤتمـر الثاني للجـان الفقر. إلا أن الفـلاحين الأثـرياء؛ وحتى متوسطي الحال، قاوموا إجراء السلطات الجـديدة؛ وأخفـوا القمـح واحتكروه، وفي نهايـة العام ١٩١٨، انـطلقت موجـة من التمرد افتعلها الفلاحون في عدد من أقضية (تولا). وحاول أثرياء الـريف الانتقام من العـاملين في الجهاز السـوفييتي بالهجـوم عـلى فصائل التموين. وقام المعلمون ـ ومعهم فاسيليفسكي ـ بالتدخل في هذه الأحداث، فعملوا على توجيه السكان سياسياً، علاوة على عملهم في المدرسة. وفي ٢٦ كـانون الأول ـ ديسمبـر ـ صدر عن القيـادة السوفييتيـة تعميم لتجنيد جميـع المتعلمين من أجـل قـراءة الصحف والمراسيم الرسمية. واستخدم فاسيليفسكي ورفاقه مواد صحيفة قسم الدعـاية الصـادرة عن اللجنة التنفيـذية للحـزب في محافظة تولا (كومونار)، وصحيفة المفوضية العسكرية (البروليتاري المسلح) والنشرات الصادرة في مراكز الأقضية، مثل (صوت حارس الأرض) و(فقـراء نوفـوسيل) حيث كـانت المواد المنشـورة في تلك

الصحف تعكس ما كان يحدث في كل مكان من الإتحاد السوفييتي.

لقد عمل فاسيليفسكي بحماسة؛ وأغرق نفسه بالعمل لتحقيق النجاح في عمله. ولكن لا دروسه الناجحة؛ ولا تعلقه بعمله وتعلق الأطفال به؛ ولا الصداقات التي ربطته مع الهيئة التدريسية، كل ذلك لم يجعله يشعر بالسعادة. وكان يتساءل باستمرار: ماذا ينقصني وماذا أريد؟ وجاءته الاجابة في نيسان ـ أبريل ـ ١٩١٩ عندما دعته المفوضية العسكرية لقضاء نوفوسيل إلى الالتحاق بالخدمة في الجيش الأحمر. وأرسل إلى الكتيبة الاحتياطية بأمر من المجلس الثوري العسكري ـ من أجل تدريب الاحتياطيين في المناطق العسكرية ـ وها قد تحقق أخيراً حلمه الذي بقي يحمله منذ الأيام الأولى لثورة أكتوبر. وقبل في الجيش الأحمر وصار قائداً فيه (في أيار ـ مايو ـ ١٩١٩) ومنذ ذلك الوقت صار طريقه في الحياة مستقيماً وواضحاً.

لم يكد يمضي شهر واحد على التحاق فاسيليفسكي بالجيش، حتى اشترك في الأعمال القتالية. فقد أقدم الفلاحون الأثرياء (الكولاك) على قتل ممثل المحافظة، والذي كان يشرف على جمع المواد التموينية (وذلك في بداية شهر حزيران ـ يونيو). وشكلت لجنة لمحافظة (تولا) للقضاء على الكولاك ورجال العصابات في ناحية (ستوبينو) من قضاء (يغريموف) حيث وقعت حادثة القتل. وقررت اللجنة فرز قوة عسكرية من مائة مقاتل بقيادة فاسيليفسكي الذي قاد مجموعته، وغادر مدينة (يغريموف) مودعاً بنظرات بعضها ترحيبية وبعضها حاقدة حذرة.

سار فاسيليفسكي وقوته على الطريق الممتدة عبر الوهاد والأدغال، حيث اختبأ رجال العصابات، وكان لا بد من البقاء على أهبة الاستعداد القتالي الكامل ليلاً ونهاراً. وتذكر فاسيليفسكي وهو يسير على رأس مجموعته كلمات الكاتب إ. س. تورغينيف في كتابه (مذكرات صياد) عندما أعجب بالمناظر المجاورة لنهر (كراسيفايا ميتشا) فوصفها بقوله: «هناك، حيث الأوراق الزمردية للنباتات النهرية، والخضرة الغامقة الذهبية للغابات، والهواء النقي الذي يغمره نور الشمس أحياناً وضوء القمر في الأحيان الأخرى». وقال فاسيليفسكي في سره: كم هي بعيدة تلك الكلمات الشاعرية عن الموقف الذي نحن فيه؟. فها هي زخات الرصاص تمزق سكون الليل، وها هي طلقات الكولاك المخنوقة تقطع شدو البلابل. واستطاع فاسيليفسكي ومجموعته تحقيق واجبه بنجاح، وساعدته اللجنة الحزبية ووجهته ودعمته مما مكنه من تنفيذ كافة الأعمال التي أسندت إليه بشكل سريع وصحيح. وأمكن خلال فترة قصيرة مصادرة كميات كبيرة من القمح مما كان قد أخفاه (الكولاك)، كما تم إرسال آلاف الفلاحين الموقوفين، أو الذين كانوا يتهربون من الخدمة في الجيش الأحمر، ووضعهم تحت تصرف اللجنة الثورية في (يغريموف).

كان لهذه الفترة القصيرة من الزمن أثرها العميق في حياته العسكرية. فبعد أن صار قائداً في الجيش الأحمر، وحصل على ثقة الحزب، قرر أن تكون الخدمة العسكرية هي رسالته الوحيدة. وشعر أن الحرب الأهلية قد ادخلت أشياء جديدة إلى الفن

العسكري، وإلى بناء القوات المسلحة ذاته، مما حمله على إعادة النظر بشكل جذري في الكثير من المفاهيم العسكرية وإعادة دراستها من جديد. ووجد نفسه مضطراً لأن يعمل بجد حتى يتعلم طوال حياته. فمهنة العسكري تتطلب، مثلها كمثل أي اختصاص، عدم الاكتفاء بالمعارف الواسعة والثقافة السياسية والثقافة العامة فحسب، بل لا بد من العمل باستمرار لتوسيع دائرة المعارف في الفنون المرتبطة بالعمل العسكري.

تدهور الموقف العسكري ـ السياسي تدهوراً خطيراً في صيف ١٩١٩ حيث اقتربت الجبهة الجنوبية بسرعة من محافظة (تولا)، فتم حفر الخنادق حول مدينة (تولا) وعلى مداخلها بمساعدة السكان، وأقيمت حواجز الأسلاك الشائكة، وبنيت حفر الرشاشات، وتسلح السكان المدنيون، وتشكلت الفصائل العسكرية، وشكل (لواء تولا الثاني للرماة) ونقل فوج فاسيليفسكي من (يغريموف) إلى (تولا) حيث أسندت إليه قيادة الكتيبة الثالثة من هذا الفوج. وفي ٣٠ ـ أيلول ـ سبتمبر ـ تلقت لجنة المحافظة للحزب رسالة من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الروسي (البولشفي) جاء فيها:

«إن المهمة العسكرية الأساسية والسياسية للمرحلة القادمة هي رد هجوم ـ دينيكين ـ والدفاع عن تولا ومعاملها وعن موسكو، مهما كلف الأمر، ومهما بلغ الثمن من الضحايا والخسائر،: ومن ثم ـ ونظراً لتفوقنا الكبير في المشاة، الانتقال إلى الهجوم على خيالة ـ دينيكين المقيدة بانعدام الطرق في فترة الطين والوحل».

ثم تزايد الموقف خطورة عندما سقطت (أريول) في قبضة المنشقين، وواجهت الجمهورية أسوأ وضع خلال سنوات الحرب الأهلية كلها. ولكن ما لبث الموقف أن بدأ بالتحول اعتباراً من ١٥ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ١٩١٩ ولم تتمكن قوات المنشقين من الوصول إلى (تولا). وتعرض المنشقون (البيض) في العشرة أيام الأخيرة من شهر تشرين الأول ـ أكتوبر ـ لهزائم منكرة قرب (أريول) و(كورمي). وفي شهر تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ تلقت فرقة تولا الثانية أمراً بالتوجه إلى الجبهة الغربية، وأصبحت الفرقة تحمل اسم فرقة المشاة ٤٨، وأصبح فوج فاسيليفسكي يحمل اسم الفوج ٤٢٧ من لواء المشاة ١٤٣، وتم تكليف فاسيليفسكي بقيادة الفوج، غير أن فاسيليفسكي اعتذر عن الاضطلاع بهذه القيادة إذ رأى أن خبرته القيادية لا تسمح له بممارسة هذه القيادة بنجاح، واقترح تعيينه نائباً ـ معاوناً ـ لمن تقترحه القيادة لقيادة الفوج. واضطرت القيادة، للأخذ باقتراح فاسيليفسكي، نتيجة إصراره على موقفه رغم إلحاح القيادة. ومحاولة إقناعه بالعدول عن موقفه. ولدى وصول فرقة المشاة ٤٨ إلى الجبهة، تم حلها وإعادة تنظيمها، واضطر فاسيليفسكي لتولي قيادة الفوج ٩٦، الذي خاض معاركه مع بقية قوات الفرقة. وقد أفاد فاسيليفسكي كثيراً من هذه الفترة، حيث عمل مع كبار القادة الذين توافرت لهم خبرات قتالية كثيرة، وكفاءات قيادية عالية.

تولى فاسيليفسكي قيادة فوجه (٩٦) بنجاح طوال النصف الأول من العام ١٩٢٠، وخاض معارك ضارية ضد قوات التدخل

(البولونيين). وبينما كانت المعارك تصل ذروتها تلقى فاسيليفسكي أمراً (في نهاية تموز ـ يوليو) بأن يلتحق فوراً بفرقته السابقة لقيادة فوج المشاة (٤٢٧ ـ فوجه السابق). وعاش فاسيليفسكي فترة مضطربة، بسبب ما تعرض له هذا الفوج من هزائم، وبنتيجة ما حدث من سوء تفاهم مع قيادة الفرقة، غير أنه استطاع التغلب على الصعوبات، وخرج من صراعه وقد منح (وسام العلم الأحمر) تقديراً لكفاءته العالية في قيادة قواته التي حققت انتصارات رائعة.

استمر الصراع المرير ضد (جيش بيلوروسيا الشعبي) الذي كان يقوده (بولاك ـ بالاخوفيتش) و(لواء الفلاحين) الذي كان يقوده الأتمان (إيسكرا). ووصل هذا الصراع إلى نهايته في ١٦ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٢٠، حيث أمكن دحر القوات المعادية إلى ما وراء الحدود. وكان لفاسيليفسكي وفوجه دور هام فيما تم إحرازه من نصر.

وأعيدت فرقة فاسيليفسكي (٤٨) إلى محافظة سمولنسك، حيث صدر الأمر بتسريح العسكريين المتقدمين في العمر؛ وأعيد تنظيم الفرقة، وأسندت إلى فاسيليفسكي مهمة العمل (معاوناً لقائد الفوج ٤٢٤ من لواء المشاة ١٤٢). وبعد فترة قصيرة، ومع بداية سنة ١٩٢١، صدر الأمر لفرقة فاسيليفسكي (٤٨) بالانتقال للعمل في محافظة سامارا من أجل قتال رجال العصابات الذين لا زالوا يتحكمون بالإقليم. وكان على قوات الفرقة تنفيذ أمر قيادة المنطقة العسكرية لما وراء الفولغا، بتطهير

الإقليم بأسرع ما يمكن من عصابات الكولاك المسلحة، غير الكبيرة، إلا أن حقدها الكبير كان يدفعها لارتكاب كل أنواع الأعمال المثيرة للاضطراب والفوضى، بما في ذلك أعمال القتل والسرقة وإشعال نار الحرائق.

وسارت الأعمال القتالية بنجاح، منذ البداية، إلا أن القضاء على العصابات تطلب بعض الوقت، إذ لم يتم تدمير هذه العصابات أو تشتيتها، حتى مطلع شهر آب ـ أغسطس ـ ١٩٢١. وتبع ذلك إعادة توزيع القوات، وأصبح فاسيليفسكي وفوجه في المنطقة العسكرية للعاصمة، وأسندت إليه مهمة رئيس هيئة أركان اللواء ١٤٢ ـ بسبب مرض رئيس هيئة الأركان الأصيل ـ فكانت هذه أول تجربة له للعمل في هيئة الأركان؛ ولم يكن يعرف يومها أن هذا العمل سيكون هو البداية لعمله الطويل في هيئات الأركان. إلا أن عمله في هيئات أركان الألوية لم يصرفه عن ممارسة القيادة العملية للأفواج؛ فخلال السنوات العشر التالية، تولى ـ وعلى التناوب ـ قيادة الأفواج التي تضمها فرقته جميعها، مما ضمن له خبرة جيدة في تنظيم الأفواج وتسلحها وقيادتها.

بدأت اعتباراً من سنة ١٩٢٢، عملية ضخمة لإعادة بناء (الجيش الأحمر) وتنظيمه وتسليحه، مثل تشكيل السرايا النموذجية المسلحة بالبنادق الآلية. وكان لا بد من دراسة تأثير الوسائط النارية الجديدة دراسة عميقة، والتمكن من الأساليب الجديدة ـ التكتيكية ـ لتنفيذ الأعمال القتالية. وكذلك فقد فرضت الخدمة

الإلزامية على مواطني جمهورية روسيا السوفييتية الاتحادية الاشتراكية. ولما كان معظم المجندين من الأميين أو ذوي التعليم البدائي، فقد كان لزاماً الإهتمام بتعليم اللغة الروسية، للإسهام بعملية المحو السريع للأمية. وتحولت السرايا والأفواج إلى مدارس ذات برامج موسعة ـ عسكرية وثقافية وتوجيهية ـ. وقد بذل فاسيليفسكي جهداً كبيراً حتى يكون فوجه وسراياه نموذجاً لتطبيق البرامج الجديدة. وأظهر فاسيليفسكي اهتمامه بصورة خاصة بالتدريب على الأسلحة، والرمي، والرياضة وأنواع التمارين العسكرية المختلفة. ولهذا لم يكن غريباً أن يحصل فريق فوج (فاسيليفسكي ـ وهو الفوج ١٤٢) على سبع جوائز من أصل ٧٧ جائزة خصصت لمسابقات الفرق في الألعاب الرياضية لعام ١٩٢٢.

وفي السنة التالية (١٩٢٣) اشترك فوج فاسيليفسكي مع بقية أفواج الفرقة في إعداد المعسكر التدريبي في موسكو. وأقيمت لأول مرة في منطقة موسكو مسابقات الفرق للجري لمسافة عشرة كيلومترات (يوم ١٧ حزيران ـ يونيو) وكان السباق بلباس الميدان الكامل وفي منطقة وعرة (سباق الضاحية). واجتمع الآلاف من أبناء موسكو لمشاهدة المباراة. وكان الجميع ينتظرون بصبر فارغ النتيجة، وكم كانت فرحة فاسيليفسكي كبيرة عندما انتصر فريق فوجه، وتسلم رسمياً الجائزة الانتقالية وسط عاصفة من التصفيق الحاد. وفي شهر أيلول ـ سبتمبر ـ من السنة ذاتها (١٩٢٣)، اشترك فوج فاسيليفسكي مع بقية أفواج منطقة موسكو العسكرية في

المناورات التي جرت قرب (كولومنا)، وتلقى تقييماً جيداً من قيادة المنطقة، وتسلم الفوج (وسام العلم الأحمر) للاحتفاظ به، باعتباره القطعة المتقدمة على سواها من قطعات الفرقة ٤٨. وكانت هذه النجاحات المتتالية حافزاً قوياً كان يدفع فاسيليفسكي وفوجه لبذل الجهد والإبداع من أجل التغلب على الصعوبات المتتالية، وفي الوقت ذاته حافزاً لبقية القطعات والأفواج لتسير على النهج ذاته، نهج البذل والعطاء وتقديم التضحيات والجهود المستمرة لبناء القوات المسلحة.

٣ ـ العمل في أيام السلم

كانت سنة ١٩٢٤ هي السنة الأولى في الإصلاح العسكري للجيش السوفييتي. وبدأ هذا الإصلاح من القاعدة إلى القمة؛ وباتت الجماعة مسلحة برشاش، وتشكلت الفصيلة من ثلاث جماعات، مع رشاش ثقيل. وضمت السرية ثلاث فصائل مع فصيلة رشاشات ثقيلة. وأصبح تنظيم الفوج يضم بطارية مدفعية (٦ مدافع) الخ . . . وأسندت إلى فاسيليفسكي رئاسة مدرسة الفرقة لإعداد صف الضباط، فكان لزاماً على فاسيليفسكي الاهتمام بإعادة التنظيم وفقاً للتوجيهات الجديدة، مع الانصراف كلياً للإشراف على إعداد هؤلاء المساعدين الأوائل في القيادة ـ صف الضباط ـ وهم الرؤساء المباشرون لأفراد الجيش الأحمر.

وبينما كان فاسيليفسكي يتابع بكل جهده وطاقته واجباته اليومية، جاءته دعوة مباغتة للتقدم إلى امتحانات القبول إلى الأكاديمية

العسكرية للجيش الأحمر (أكاديمية فرونزه). ولكن فاسيليفسكي وجد أنه غير مستعد الاستعداد الكافي لمثل هذه الامتحانات، فاعتذر، ولم يتمكن من حمل القيادة على قبول اعتذاره إلا بعد جهد كبير. وبقي (فاسيليفسكي) بعد ذلك وهو يقود ـ على فترات متقطعة ـ (اعتباراً من شهر كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٢٤)، ولمدة أربع سنوات فوج المشاة ١٤٣. وقد قام قائد منطقة موسكو العسكرية (كليمنت يغريموفيتش فوروشيلوف) بزيارة للفوج، وأثنى على قائده فاسيليفسكي وعلى قوات فوجه، لما شاهده من الكفاءة التدريبية والاستعداد القتالي في هذا الفوج.

لقد كان فاسيليفسكي يعمل باستمرار على ضوء ثقافته العسكرية، وعلى ضوء تجاربه الذاتية وممارساته العملية. وكان في سنة ١٩٢٠ قد اجتاز دورة تعليمية لمدة سنة في قسم قادة الأفواج من دورات المشاة التكتيكية (الطلقة ـ أو فيستريل)، وهي الدورات التي كان يدرس فيها أساتذة من ذوي الخبرة العالية في تصميم الأسلحة والرمي، والذين كان يترأسهم القائد العسكري غريغوري دافيدوفتش خاخانيان، صاحب كتاب (أسس علم النفس العسكري). وهو الكتاب الذي شمل في أبحاثه أنواع النشاط العسكري، والأسس العقلية والبيولوجية لظواهر الخوف والذعر وما يماثلها من انفعالات، وكذلك الإعداد النفسي للجيش للأعمال القتالية. وكان التدريب في دورات (الطلقة ـ أو فيستريل) يشتمل على أربعة مجموعات تعليمية ـ التكتيك، وفن المشاة، والمناهج، وعلم الاجتماع ـ. وكانت مادة التكتيك تشتمل على

مواد: المدفعية والهندسة والكيمياء العسكرية والإشارة والطبوغرافيا وتشكيل المؤخرة إلخ . . . ولقد أفاد فاسيليفسكي كثيراً من هذه الدورة، وبقي أثرها عميقاً في نفسه، بحيث أنه كتب بعد أربعين عاماً تقريباً (في ٢١ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٥٨) في العدد الذهبي لصحيفة فيستريل ـ ما يلي:

«لقد كانت دورات ـ الطلقة ـ هي أقدم مصنع لتخريج كوادر الضباط في الجيش الأحمر، وظلت على مدى وجودها كله وهي تعد بنجاح الضباط ذوي الكفاءة العالية، من أجل القوات المسلحة لاتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية. وأتذكر بامتنان إقامتي ودراستي في تلك الدورات التي أعطتني معارف متينة باعتباري قائداً في الجيش الأحمر».

أفاد فاسيليفسكي كذلك، وخلال قيادته للفوج ١٤٣، من التوجيهات والتعليمات التي كان يصدرها قائد (منطقة موسكو العسكرية) وهو (بوريس ميخائيلوفيتش شابوشنيكوف) والذي تولى قيادة المنطقة اعتباراً من شهر آب ـ أغسطس ـ ١٩٢٧(*). ولقد

(*) بوريس فيخائيلوفيتش شابو شنيكوف ـ جنرال سوڤييتي ـ ولد سنة ١٨٩٣ ودخل الجيش سنة ١٩٠٢ ـ انضم إلى الثورة البولشفية فور اندلاعها وكان يعمل ضابطاً في هيئة أركان في فرقة خيالة فينغريل برتبة عقيد. وخاض الحرب الأهلية وحروب التدخل بكفاءة عالية. واسهم اسهاماً كبيراً في بناء الجيش الأحمر. وأصدر مؤلفيه (الخيالة) و(على نهر فيلا) وهما عبارة عن بحثين علميين كبيرين وهامين في إعداد القوات للحرب. وكان من أبرز أعماله بعد ذلك تنظيمه لهيئة الأركان. واعداد القوات للحرب خلال قيادته لمنطقتي لينينغراد وموسكو العسكريتين. ثم صدر له في سنوات ١٩٢٧ ـ ١٩٢٩ مؤلفاته الثلاثة الهامة (دماغ الجيش). وشغل في الحرب =

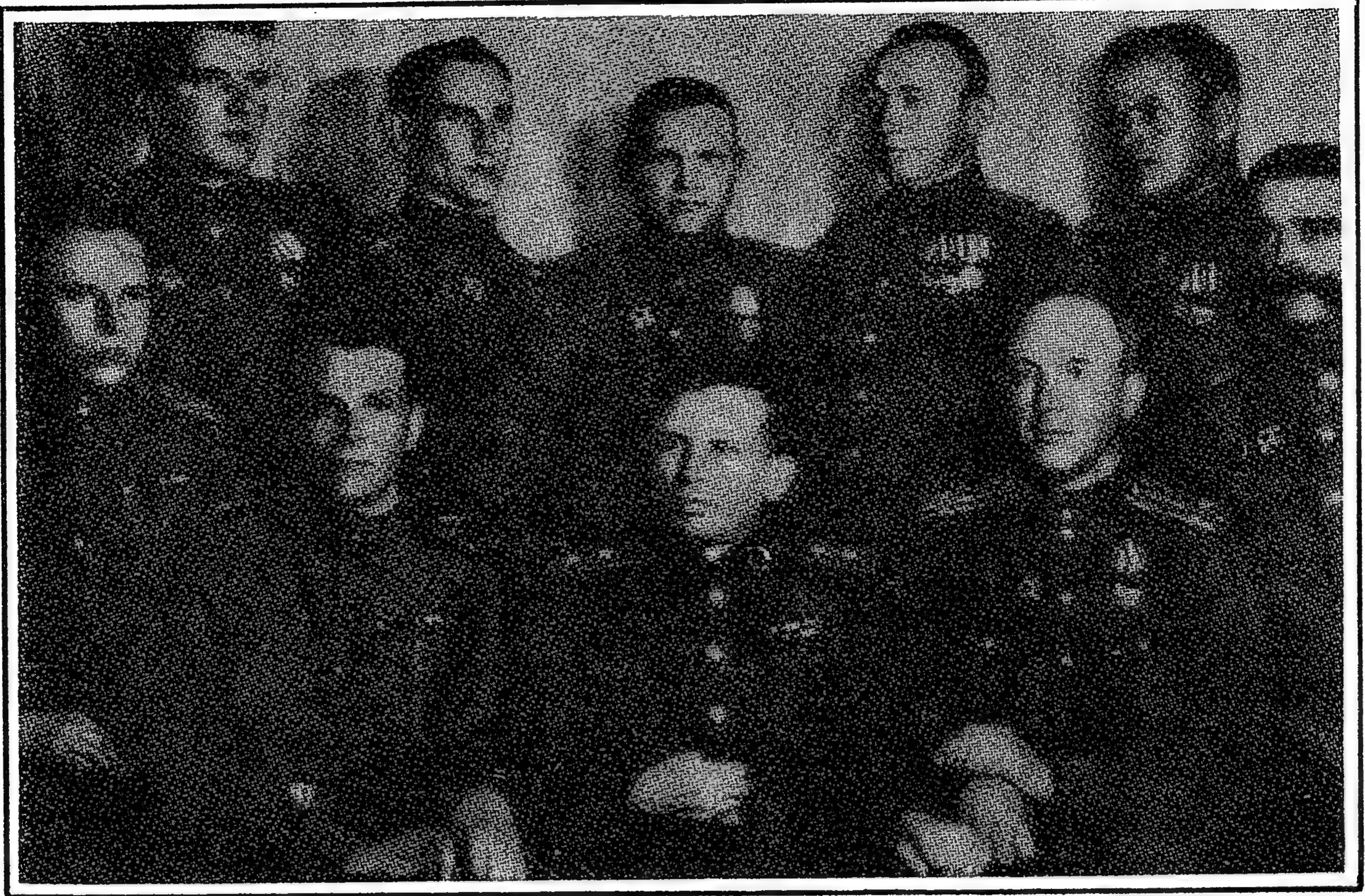
استطاع فاسيليفسكي خلال قيادته للفوج ١٤٣، أن يحقق نجاحاً كبيراً شهد له به معظم القادة الذين قاموا بزيارة فوجه وتفتيشه، كما شهد له بذلك القادة، خلال المناورات التي برهنت وأكدت مدى ما تميز به فوجه من الانضباط ومن الكفاءة القتالية والمستوى التدريبي الرفيع. ولهذا فقد تلقى فاسيليفسكي صدمة عندما صدر له الأمر بتسلم قيادة الفوج ١٤٤. فقد أمضى زهاء أربع سنوات حتى أمكن له الوصول بفوجه - ١٤٣ - إلى المستوى اللائق، في حين كان معروفاً أن الفوج ١٤٤ يعاني من اضطراب خطير في قيادته، وفي ضعف مستواه الانضباطي والتدريبي. ولهذا فقد حاول فاسيليفسكي التخلص من هذا الواجب الجديد، وقابل قائد فرقته ثم قائد قوات المنطقة - يرونيم بيتروفيتش - الذي نجح في إقناعه عندما قال له - في جملة ما قاله -: «. . إن القيادة تثق بأنكم ستتمكنون من إخراج الفوج من تخلفه. . إن الفوج لا يحتاج إلا إلى قائد جيد الكفاءة ولديه تجربة عسكرية كافية. إنكم تعرفون عملكم جيداً وتحبونه، وأنا واثق من أنه سيكون من السهل عليكم تنفيذ هذه المهمة. إن عملكم الجاد في الماضي يجعلني أنا بالذات، ويجعل قائد فرقتكم ننظر باهتمام إلى اعتراضاتكم. إذن، فإذا كنتم تلحون على البقاء في الفوج ١٤٣؛ فأنا مستعد لأن أطلب من مفوض الشعب للدفاع - وزير الدفاع - إلغاء الأمر؛ والقضية

= العالمية الثانية منصب رئيس هيئة الأركان - حتى سنة ١٩٤٢. وقد دعم فاسيليفسكي وساعده على العمل في هيئات الأركان.

متروكة لكم». ووافق فاسيليفسكي، وإنتقل الى قيادة الفوج ١٤٤ في نهاية تشرين الثاني - نوفمبر - ١٩٢٨، وقد قطع على نفسه وعداً بأن يبذل أقصى ما يستطيعه حتى يكون جديراً بثقة قيادته.

مضى فاسيليفسكي لإعداد فوجه الجديد - فوج المشاة ١٤٤ - وإعادة تدريبه استعداداً للاشتراك في مناورات المنطقة وتمارينها. وأمكن له - في سنة ١٩٢٩ الاشتراك في مجموعة المناورات المتتالية؛ ففي آذار - مارس - اشترك في التمارين التكتيكية ذات الجانبين. وفي أيار - مايو - اشترك في لعبة عسكرية (على مستوى التكتيك والعمليات) وهي لعبة كانت ذات مرحلتين. وفي أيلول - سبتمبر - اشترك في المناورات على مستوى المنطقة. ثم جاء العام التالي (١٩٣٠) حيث جرت في شهر كانون الثاني - يناير - لعبة جوية على مرحلتين - على مستوى العمليات - بهدف استخدام القوات الجوية في عملية هجومية على مستوى الجيش. وفي شهر آذار - مارس - جرت تمرينات كبيرة على مستوى المنطقة. وفي شهر نيسان - أبريل - جرت لعبة مدفعية على مستوى العمليات واشترك فيها الملاك القيادي. وفي شهر تموز - يوليو - جرت تمرينات جوية. وفي شهر تشرين الأول - أكتوبر - جرت مناورات جديدة على مستوى المنطقة، هذا بالإضافة إلى مجموعات من التمارين والأعمال التدريبية لمواجهة احتمالات العدوان المختلفة(*).

(*) كانت القيادة السوفييتية العليا تعتمد في إعداد القوات وتدريبها على افتراض وقوع العدوان والذي كانت تمثله في بداية الثلاثينات قوات (الحرس الأبيض) والتي تضم حوالي مليون ونصف المليون من الروس المضادين للبولشفية - والذين كان منهم =



مجموعة من ضباط هيئة الاركان العامة الذين اشتغلوا سوية مع آ. م. فاسيليفسكي أثناء زيارته للجبهة. جلوس (من اليسار إلى اليمين): آ. س. بيلياتسكي، آ. ن. أوريخوف، م. م. بوتابوف، آ. ن. ستروغي، س. آ. ليالين، وقوف: إ. م. غوسيف، آ. م. خروموف، إ. ف. كولوبوف، آ. س. أورلوف، ب. د. سميرنوف.

= ٤٠٠ ألف في فرنسا و١٣٠ ألفاً في سوريا و١٠٠ ألف في الصين و٩٠ ألفاً في بولونيا؛ وعشرات الآلاف في كل من رومانيا والمانيا وبلغاريا ويوغوسلافيا. وكان يشرف على هؤلاء جميعاً التنظيم العسكري الذي حمل اسم (الاتحاد الروسي العسكري العام ـ برئاسة الجنرال ميللر). ويتبع له الفيلق العسكري الأول في فرنسا. وفيلق الدون القوزاقي في بلغاريا. وفرقة الخيالة وفرقة كوبان القوزاقية في يوغوسلافيا. ولواءان من قوات الشرق الأقصى في منشوريا. وكان لديهم دورات عاملة عسكرية عليا ودروات عسكرية تقنية ودورات مدرسية عسكرية. وكليتا أتامان وكوبان العسكريتان في فرنسا؛ وكلية كونيلوف العسكرية في اللوكسمبورغ؛ ودورات بحرية عسكرية في فرنسا ومدرسة للبحرية في يوغوسلافيا ومدرسة ضباط المدفعية في بلغاريا؛ بالإضافة إلى عدد من المدارس العسكرية الأخرى.

وهكذا استمرت الجهود الرامية إلى إتقان الأساليب الجديدة لتنفيذ المعركة الحديثة، مع استيعاب واستخدام أحدث نماذج الأسلحة والسوائل القتالية ـ حيث تم تعميم استخدام الأسلحة الآلية ـ الأتوماتيكية ـ على الجنود مثل البواريد والرشاشات. وظهر إهتمام خاص بتنسيق التعاون بين المشاة المدفعية والدبابات والطيران، في مختلف أنواع المعارك المشتركة بين الأسلحة. وكان يتم تنفيذ المشاريع عادة مع افتراض مواقف تكتيكية شائقة بفكرتها، معقدة ومفيدة جداً من الناحية التعليمية للقوات وقيادتها. وقد أظهر الفوج ١٤٤، خلال هذه التمارين جميعها، تطوراً مستمراً نحو الأفضل، حتى حصل في تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ١٩٣٠ على شهادة مصدقة من قبل قائد منطقة موسكو العسكرية بتفوق الفوج. كما شغل الفوج في أثناء التفقد التفتيشي لخريف سنة ١٩٣٠ المكان الأول في الفرقة. وحصل أيضاً في مناورات فصل الخريف للسنة ذاتها على تقييم ممتاز. وبذلك وفى (فاسيليفسكي) بوعده، واستطاع إخراج فوجه ١٤٤ من الهوة التي كان غارقاً فيها.

كان فوج المشاة ١٤٤ متمركزاً في بلدة (فيشني فولوتشوك)، وهي البلدة التي أعجب بها فاسيليفسكي إعجاباً شديداً، وأحب فيها طبيعتها الجميلة وقناطرها القديمة وقنواتها الوفيرة وحدائقها الغناء وشوارعها المشجرة. وقد استطاع فاسيليفسكي خلال خدمته فيها أن يحقق نجاحاً كبيراً، إذ استطاع أن يقدم لفوجه كل ما عرفه بنفسه، وكل ما جمعه من المعرفة طوال ١٧ سنة من الخدمة العسكرية. وأصبح الفوج ١٤٤ ـ بقادته وجنوده ـ محبباً إلى نفسه،

وعزيزاً على قلبه. وكان شديد الرغبة في البقاء بقيادة هذا الفوج ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، ولكن وفي أعقاب المناورات الكبرى والناجحة في خريف سنة ١٩٣٠، والتي حضرها مفوض الشعب لشؤون الدفاع والبحرية ـ وزير الدفاع ـ وممثلون عن المناطق العسكرية والمدارس العسكرية العليا، ووفود عسكرية من بلدان أجنبية، تم إعلام فاسيليفسكي بأنه تقرر نقله في القريب العاجل إلى الجهاز المركزي لوزارة الدفاع. وتقدم فاسيليفسكي على الأثر بعدد من الطلبات لإبقائه في (فرقة المشاة ٤٨)، إلا أن وزير الدفاع أصر على تنفيذ الأمر بنقل فاسيليفسكي إلى إدارة التدريب القتالي للجيش الأحمر. وكان لا بد لفاسيليفسكي من وداع رفاقه في الفرقة والذين أمضى معهم ١٢ سنة من الخدمة، وقد بلغ يومها من العمر ٣٥ عاماً. وغادر (فيشني فولوتشوك) في خريف سنة ١٩٣١، والتحق بعمله الجديد وهو مكتئب النفس.

كانت (إدارة التدريب القتالي) في طور التشكيل. وقدم لفاسيليفسكي مسكن في منطقة سوكولينسكي. وسرعان ما تبين لفاسيليفسكي أن الإدارة كانت تتكون من هيئة أركان التدريب القتالي؛ ومن عدد من دوائر التفتيش: المشاة والخيالة والمدفعية وسلاح الهندسة وسلاح الإشارة والتربية البدنية والفرق الموسيقية العسكرية. وكان لا بد لهذا التركيب نفسه والذي جمع كل صنوف الأسلحة (عدا المدرعات والطيران) من أن ينعكس إيجابياً على تنظيم التدريب إجمالاً، لا سيما في مجال تنسيق التعاون المشترك بين صنوف الأسلحة، الأمر الذي هو في غاية الأهمية في المعركة

الحـديثة. وقد أشغلت مفوضيـة الشعب ـ وزارة الدفـاع ـ الإدارة بالأجهزة والعناصر القيادية المتفوقة. فقد كان يعين في الإدارة القادة العسكريون ممن توافرت لهم الخبرة العالية عبر خدمتهم الطويلة في هيئات الأركان والقيادات. وكان فاسيليفسكي يعتقد في البداية أن عمله سيكون مكتبياً ـ بيروقراطياً ـ وهذا مـا أثار في نفسـه الحزن والأسى، ولكن سرعان مـا تبين لـه خطأ اعتقـاده، إذ تبين لـه أنه سيضـطر باستمـرار للسفر وزيـارة القوات وتفقـد سـير التـدريب القتـالي، والكشف عن جـوانب الضعف في التــدريب، وإعـداد الدروس النموذجية للعناصر القيادية، وتعليم القوات على الطرق الجديدة لتنفيذ المعركة الحديثة، وتطوير أساليب تـدريب القوات. وكـان عـلى فـاسيليفسكي ورفـاقـه في إدارة التـدريب الإفـادة من التمرينات بالقوات لاختبار الأنظمة القتالية المعدة اختبـاراً عملياً، والتأكد من صحة التوجيهات الخاصة بصنوف القوات ـ من ناحية التـدريب القتـالي ـ. ولهـذا كـان يتم وضـع الأنـظمــة من أجـل الـوحدات الشـاملة لمختلف صنوف الأسلحـة حتى مستـوى فيلق المشاة وفيلق الخيالة. وكان يتم احتساب نتائج التدريب القتالي في نهاية العام، والإبلاغ عنها إلى رئيس هيئة الأركان العامة ومفوض الشعب لشؤون الـدفـاع ـ وزيـر الـدفاع ـ، ومن ثم، وضـع التوجيهات القيادية للسنـة التدريبيـة التاليـة، على شكـل أوامر أو قرارات صادرة عن مفوض الشعب، ورئيس هيئة أركان الجيش أو رئيس إدارة التدريب القتالي.

وكان على فاسيليفسكي والعاملين في إدارة التدريب القتالي قضاء

القسم الأكبر من الوقت مع القوات. وكان لا بد قبل تنفيذ كل مهمة من إجراء دراسة دقيقة لجميع المهمات ـ الواجبات ـ التي تخضع لإشراف رئيس الادارة.

وقد كلف فاسيليفسكي بالإضافة إلى عمله، واعتباراً من سنة ١٩٣١ بمهمة رئاسة تحرير وإصدار (نشرة التدريب القتالي) والمساهمة في تحرير (مجلة البشير العسكري ـ التي كانت تصدر منذ العام ١٩٢١). كما قدر له الاسهام في وضع (التعليمات بشأن خدمة أركان القوات) والتي كانت تعدها هيئة أركان إدارة التدريب القتالي مع هيئة الأركان العامة. وكانت إدارة التدريب القتالي تظهر اهتماماً متزايداً في تطوير التدريب العسكري للأعمال الهجومية؛ وتطبيقات نظرية (المعركة العميقة). ويذكر أن نائب مفوض الشعب لشؤون الدفاع (م. ن. توخاتشيفسكي) قد طور بشكل مبدع مسائل تنفيذ المعركة في مؤلفاته (المناورة والمدفعية) و(معركة المشاة) و(مهماتنا التدريبية ـ التكتيكية)، وأصدر (تعليمات بشأن تنفيذ المعركة العميقة بمختلف صنوف الأسلحة)، ثم أصدر (طبيعة العمليات على الحدود ـ ١٩٣٤) هذا بالإضافة إلى مؤلفات وكتب أخرى أصدرتها هيئة الأركان العامة وإدارة التدريب القتالي، مما ساعد على تطوير النظرية العسكرية بما يتوافق مع تطور التسلح.

ففي بداية الثلاثينات بدأ الإتحاد السوفييتي بتشكيل الألوية المدرعة. وفي العام ١٩٣٢؛ تم تشكيل الفيلق الميكانيكي الأول من نوعه في العالم، ثم تبع ذلك تشكيل عدد من الفيالق المماثلة. وأنشئت (الأكاديمية العسكرية للقوات الميكانيكية)، كما بذل اهتمام

كبير لتطوير قوات الإنزال الجوي. وفي العام ١٩٣٣، تم تشكيل لواء إنزال جوي في منطقة لينينغراد العسكرية، وجرى اختباره في المناورات، وقد أرسل فاسيليفسكي في العام ١٩٣٤ إلى منطقة لفوف العسكرية بهدف تعزيز جهاز أركانها، حيث أتيحت له فرصة الاشتراك في الإعداد القتالي للقوات، وإدارة قسم العمليات في منطقة الفولغا العسكرية.

أصدرت اللجنة المركزية ومجلس مفوضي الشعب (مجلس الوزراء) أمراً يوم ٢٢ أيلول ـ سبتمبر ـ ١٩٣٥ بإعادة نظام الرتب العسكرية لضباط الجيش والأسطول، ومنح فاسيليفسكي رتبة (عقيد) في العام ١٩٣٦. وفي فصل الخريف من السنة ذاتها، صدر الأمر عن مفوض الشعب لشؤون الدفاع بإلحاق فاسيليفسكي في الدفعة الأولى بـ(أكاديمية الأركان العامة) المحدثة. وقد تضمنت شروط القبول في الأكاديمية؛ بأن يكون المرشح للقبول قد أدى مدة في الخدمة القتالية، وأن يكون حائزاً على شهادة امتياز في الخدمة، وعلى تعليم عسكري عال. وحددت مدة الدراسة بفترة (١٨) شهراً بدأت يوم ١ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٣٦، (وقد ضمت الدورة الأولى ١٣٧ طالباً).

بقي (فاسيليفسكي) ورفاقه حتى ١ شباط ـ فبراير ـ ١٩٣٧ وهم يدرسون عمليات الفيالق والوحدات الجوية وعمل القوات بالعمق، مع الاطلاع على الوثائق المطبوعة عن تنظيمات الجيوش الأجنبية وتسلحها وأحدث التقنيات الحربية. وبعد عطلة لمدة

أسبوعين، تم الانتقال إلى دراسة صنوف الأسلحة وعمليات الجيوش في الهجوم والدفاع والمعركة التصادمية والهجوم المضاد والحركة والمسير. واستحوذ الإعداد المفصل لتخطيط عمليات الجيوش والجبهات وتنفيذها على القسم الأكبر من الوقت، هذا إلى جانب دراسة استخدام الوسائط القتالية الحديثة في الصراع المسلح، وتنسيق التعاون فيما بينها، وقيادة القوات أثناء الأعمال القتالية وتأمينها إدارياً وفنياً، بالإضافة إلى المحاضرات التدريسية والتمرينات والألعاب الجماعية. وفي اليوم الأول من حزيران ـ يونيو ـ ١٩٣٧ منح جميع طلبة الأكاديمية إجازة صيفية طويلة (حتى ١٥ تموز ـ يوليو)، تم إرسالهم بعدها إلى دورة تدريبية لمدة أسبوعين على مراكب الأسطول البحري العسكري، حيث توجه نصف أفراد الدورة ـ ومن بينهم فاسيليفسكي ـ إلى أسطول بحر البلطيق، فيما أرسل النصف الثاني إلى البحر الأسود. وعندما انتهت هذه الدورة التدريبية في الأسطول، نظمت هيئة الأركان العامة لهم تمارين كبيرة، مع تجهيزهم بوسائط الاتصال في منطقة أوكرانيا العسكرية.

وفي نهاية شهر آب ـ أغسطس ـ ١٩٣٧، تم تكليف (فاسيليفسكي) باستلام قسم المؤخرة التابع لقسم فن العمليات (عملية الجيش)، ولم يكن (فاسيليفسكي) قد عمل في هذا القسم على الإطلاق. وهكذا وجد فاسيليفسكي نفسه ـ قضاء وقدراً ـ وهو يقوم بدور المدرس، ورئيساً لقسم في هذا المعهد التعليمي الهام. وبدأ فاسيليفسكي ـ وقسمه ـ بتحضير المواد المتعلقة بموضوع تخصصه من أجل العام الدراسي الجديد. وانتهى من انتقاء وإعداد

كافة المعلومات لإصدار (دليل أكاديمي) حول تنظيم وعمل مؤخرة الجيش أثناء تنفيذ العمليات الحديثة من أجل ملاك الطلبة والمدرسين. وبعد شهر صدر أمر بتعيين (فاسيليفسكي) رئيساً لقسم (الإعداد للعمليات) لملاك القيادات العليا في الجيش. وبدأ (فاسيليفسكي) عمله في هيئة الأركان العامة للجيش في تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ١٩٣٧، ولم يكن يعرف يومها، أنه من المقدر له أن يقضي بين جدران هيئة الأركان العامة، عدداً من السنين المليئة بالعمل المعقد، والذي سيكون من أصعب الأعمال التي اضطلع بها فاسيليفسكي في حياته العسكرية.

٤ ـ الإعداد للحرب

بقي (فاسيليفسكي) على رأس قسم الإعداد للعمليات في هيئة الأركان العامة حتى شهر حزيران ـ يونيو ـ ١٩٣٩. وكان يقضي معظم وقته خلال هذه الفترة، في تنفيذ أوامر رئيس هيئة الأركان العامة ـ شابوشنيكوف، وهي الأوامر التي كانت مختلفة في شكلها، متشابهة في مضمونها؛ وتركزت ـ بالدرجة الأولى ـ على ترتيب أوامر مفوض الشعب لشؤون الدفاع وتوجيهاته السنوية في موضوع الإعداد للعمليات والاستراتيجية لقيادات الجيش. وكان الترتيب الدقيق لتلك الأوامر والتوجيهات يشمل بداهة الوثائق المتعلقة بالنتائج السنوية التي تتحدد على أساسها مهام السنة التالية وواجباتها. وكانت تعطى أثناء ذلك مهام معينة لكل منطقة عسكرية، مع مراعاة مكان تمركز قواتها وانتشارها وميزاتها الخاصة،

وإمكـاناتهـا المادية والدور الـذي تضـطلع بـه في تنـظيم القـوات المسلحة.

وقـد اطلع (فاسيليفسكي) مجـدداً على كثـير ممـا كـان يعـرفـه من خلال عمله السابق في إدارة التدريب القتالي. وظهر له بوضوح مدى ما حدث من تغيير خلال تلك الفترة في بنـاء الجيش الأحمر، سواء من حيث حجمه أو من حيث قدراته القتـالية. وهكـذا بدأ فاسيليفسكي دخوله تدريجياً إلى دائرة المسـائل الهـامة التي اضـطر للعمل بها قبل الحرب العالمية الثانية، وسرعان ما تأكد بأن العمل الذي بات يمـارسه هـو عمل لا يمكن مقـارنته بكـل الأعمال التي اضطلع بها ومارسها حتى سنة ١٩٣٧.

ولقد أفاد (فاسيليفسكي) من العمل تحت إشـراف رئيس هيئة الأركان (بوريس ميخائيلوفيتش شابـوشنيكوف)، لتـطوير خبـراته ومعـارفه ومـداركه في إدارة العمليات، وتكاملت لـديـه الصـورة الشـاملة لتنـظيم القـوات المسلحـة ودور كـل صنف من صنـوف الأسلحة فيها. وكان (فاسيليفسكي) يضع في اعتباره وهـو يشرف على إدارة التدريب القتالي في هيئة الأركان العامة؛ تطورات الموقف على الساحة الدولية؛ حيث كانت ألمانيا النازية تقوم بالعدوان بعد العدوان.

ففي آذار ـ مـارس ـ ١٩٣٨ احـتلت الـنمسـا. وفي أيلول ـ سبتمبر ـ تم التوقيع في ميونيخ على معاهدة نصت على ضم منطقة السوديت إلى ألمانيا وانتزاعها من تشيكوسلوفـاكيا. وازداد المـوقف

تدهوراً في إسبانيا بسبب هزيمة الجمهوريين.

أما على جبهة الشرق، فقد قام اليابانيون بهجوم مسلح على القوات السوفييتية قرب بحيرة خيسان (أو خاسان) في تموز ـ يوليو ـ ١٩٣٨. وقد انتقلت القوات السوفييتية إلى الهجوم المضاد في ٢ آب ـ أغسطس ـ واستمر لمدة أسبوع تم خلاله تدمير القوات اليابانية التي تشكلت من فرقتي مشاة ولواء مشاة ولواء خيالة، وبعض الوحدات المدرعة وكتائب الرشاشات وبعض الوحدات الأخرى، المدعمة جميعها بسبعين طائرة قتالية: وكان (فاسيليفسكي) طوال هذه الفترة، يناوب في مركز القيادة المجهز لهذه الغاية إلى جوار جهاز اللاسلكي ـ حيث كان مركز القيادة مقابلاً لمكتب مفوض الشعب كليمنت. ي. فوروشيلوف ـ وقد تقدمت الحكومة اليابانية بطلب إيقاف الأعمال القتالية في منطقة بحيرة خاسان يوم ١١آب ـ أغسطس ـ، ووافقت القيادة السوفييتية على الطلب، بعد أن قامت قواتها بقذف القوات اليابانية إلى قواعد انطلاقها، وأكدت بذلك قدرتها القتالية المتنامية، ومزاياها المعنوية والقتالية العالية.

أفاد (فاسيليفسكي) من نتائج عمليات القتال ضد اليابانيين لمعالجة نقاط الضعف التي أمكن اكتشافها وتحديدها ـ ومنها عدم اهتمام القوات اهتماماً كافياً بأعمال الحفر والتمويه ـ ووضع توجيهاته الجديدة للتدريب على أساسها، ثم شارك في وضع التوجيهات للأعمال القتالية المحتملة. وأعطيت للمناطق العسكرية المتاخمة للحدود الغربية مهمات خاصة، حتى تكون على

أهبة الاستعداد الدائم للأعمال القتالية المباغتة. وأعطيت لها مهمات صعبة جداً، وأجريت ألعاب عملياتية ـ استراتيجية، وشارك فاسيليفسكي في واحدة منها ـ في صيف سنة ١٩٣٨ ـ وكانت تلك أعقد لعبة للملاك القيادي لقوات منطقة كييف العسكرية الخاصة. وعلى أثر ذلك منح (فاسيليفسكي) في شهر آب ـ أغسطس ـ رتبة (قائد لواء) للمرة الثانية. ولوحظت خدماته مجدداً، فمنح في خريف سنة ١٩٣٨ كتاب شكر على «التنفيذ الدقيق والجيد لعدد من المهمات الكبيرة والهامة». وكان من أهم أعماله التي استحق عليها الشكر في هذه الفترة، قيامه بوضع الأمر النهائي لمفوض الشعب لشؤون الدفاع بشأن (مسائل التدريب القتالي) و(تعليمات فترة الشتاء للقادة في الجيش الأحمر بشأن الإعداد للعمليات) وتحضير مشروع أمر مفوض الشعب في موضوع (نتائج العمليات القتالية في الشرق الأقصى في منطقة بحيرة خاسان). وحصل (فاسيليفسكي) على ترقية جزئية في منصبه سنة ١٩٣٩، إذ تم تعيينه نائباً لرئيس إدارة العمليات في هيئة الأركان العامة، إلى جانب احتفاظه بمنصبه رئيساً (لقسم الإعداد للأعمال القتالية).

جاءت سنة ١٩٣٩، لتحمل معها مزيداً من الأحداث المتلاحقة والمثيرة على الساحة الدولية، وأخذت الأمور تشير على اتجاه الحرب العالمية الثانية، وبات لزاماً على إدارة العمليات في هيئة الأركان العامة أن تعمل دون هوادة تحت ضغط الأحداث، ومتابعة مختلف الحيل السياسية ـ الحربية على جبهة الغرب، مع متابعة التبدلات

الجارية في القدرات العسكرية ـ الاقتصادية لألمانيا بنتيجة احتلال المناطق جيدة وجديدة، مع حصول قواتها على خبرات قتالية إضافية، وانعكس ذلك بصورة مباشرة على عمل هيئة الأركان.

وكانت الحرب مع اليابان قد توقفت في خالخين غول يوم ١٥ أيلول ـ سبتمبر ـ ١٩٣٩، بتوقيع اتفاقية مع اليابان، إلا أن الخطر على جبهة الغرب قد أخذ شكلاً متعاظماً؛ فقد اجتاحت القوات الألمانية بولونيا في اليوم الأول من أيلول ـ سبتمبر ـ وفي هذا اليوم ذاته، صدر قانون الخدمة العسكرية الإلزامية، وأصبح الجيش السوفييتي جيشاً نظامياً تماماً. وقد قام بدوره في احتلال القسم البولوني المخصص له بموجب اتفاقية (المانية ـ روسية)، وكذلك فقد قامت القوات السوفييتية باحتلال أوكرانيا الغربية وبيلاروسيا الغربية في منتصف شهر أيلول ـ سبتمبر. ثم بدأ العمل ضد فنلدنا، اعتباراً من ٣٠ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٣٩ واستمر حتى آذار ـ مارس ـ ١٩٤٠، حيث تم التوقيع على معاهدة للصلح مع فنلندا. وشكلت لجنة سوفييتية ـ فنلندية مشتركة لرسم الحدود الدولية الجديدة بين البلدين، وتم تكليف (فاسيليفسكي) برئاسة اللجنة السوفييتية لتحديد خط الحدود على الطبيعة. وقد أمضى (فاسيليفسكي) زهاء شهرين كاملين، درس خلالهما قطاعات سير خط الحدود بدقة، سواء من حيث الخصائص الطبيعية للمواقع والأماكن، أو من حيث الفائدة الاقتصادية للطرفين. وأمكن في النهاية، وبعد تذليل الصعوبات الناجمة عن الاختلاف في الآراء، الوصول إلى حلول مرضية ضمنت المصالح الضرورية للاتحاد

السوفييتي مع المحافظة على علاقات طيبة مع فنلندا.

أجرى (ستالين) إعادة تنظيم للقيادة في أعقاب تجربتي الحرب مع اليابانيين ومع فنلندا، وذلك في شهر أيار ـ مايو ـ ١٩٤٠. وأصبح كليمنت. ي. فوروشيلوف رئيساً لمجلس الدفاع التابع لمفوض الشعب للاتحاد السوفييتي. وعين (س. ك. تيموشنكو) مفوضاً للشعب لشؤون الدفاع (وزيراً للدفاع). وعين (فاسيليفسكي) نائباً أول لرئيس إدارة عمليات هيئة الأركان العامة، وأصبح من واجبه إعداد الخطة لمجابهة العدوان المحتمل ـ ضد المانيا ـ.

وفي شهر آب ـ أغسطس ـ ١٩٤٠ عين (بوريس. م. شابوشنيكوف) نائباً لمفوض الشعب لشؤون الدفاع، وأشرف على أعمال الإدارة العامة للهندسة العسكرية، وإدارة بناء المناطق المحصنة، وحل محله في رئاسة هيئة الأركان العامة (ك. آ. ميريتسكوف). وشعر (فاسيليفسكي) بحزن عميق، فقد كان ينهل منه المعرفة يوماً بعد يوم، ويتعلم على يديه فن العمليات والخبرة في الخدمة في هيئة الأركان. وكان العمل، كما وصفه فاسيليفسكي؛ «مدرسة دائمة لا تقيم بثمن. وأعترف بأنني أشعر دائماً بالاعتزاز للخدمة معه خلال تلك الفترة الطويلة».

لقد كانت القيادة تتوقع بأن ألمانيا النازية ستركز جهدها لاحتلال الجنوب الغربي بهدف السيطرة على المناطق الغنية بالصناعة والمواد الخام والزراعة. وبناء على ذلك، صدرت إلى هيئة الأركان العامة السوفييتية الأوامر بإعادة وضع خطة الحرب على أساس تركيز

التجمع الرئيسي للقوات على الاتجاه الجنوبي ـ الغربي. وكان المطلوب هو تنفيذ حجم ذلك العمل الضخم خلال فترة زمنية مضغوطة للغاية. وكان على (فاسيليفسكي) ورفيقيه (مالاندين وأنيسوف) إنهاؤه قبل ١٥ كانون الأول ـ ديسمبر ـ، وترتيب كافة المسائل التابعة لهيئة الأركان العامة، ولمفوضية الشعب لشؤون الدفاع؛ وتحديد مهام وواجبات المناطق العسكرية المعنية، والأخذ بعين الاعتبار حالة الطرق ووسائط المواصلات، وذلك حتى يصبح باستطاعة هيئات أركان المناطق وقياداتها أن تبدأ عملها بالخطة الجديدة مع بداية شهر كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤١.

كانت ألمانيا النازية في تلك الفترة قد احتلت فرنسا وقسمتها (في صيف ١٩٤٠) وشرعت بشن هجماتها الجوية ضد انكلترا. ووسعت اليابان نشاطها القتالي في الصين. ثم وقعت ألمانيا وإيطاليا واليابان حلفاً في برلين (يوم ٢٧ أيلول ـ سبتمبر ـ ١٩٤٠) عرف باسم (حلف دول المحور) وكان من الواضح أن هدف هذا الحلف هو توجه الأعمال العدوانية ضد الاتحاد السوفييتي، فكان لا بد من الإسراع في العمل، لا سيما بعد أن تزايدت قدرات ألمانيا القتالية تزايداً كبيراً بفضل سيطرتها على المجموعة الصناعية في أوروبا. ومقابل ذلك، فإن ضم المناطق الغربية من بيلاروسيا وأوكرانيا الغربية ولاتفيا وليتوانيا وإيستونيا وبساربيا إلى الاتحاد السوفييتي، قد دفع الحدود السوفييتية غرباً لمسافة ٢٥٠ ـ ٣٠٠ كيلومتراً؛ مما ساعد في ضمان أمن الاتحاد السوفييتي. ولكن كان تحصين الحدود الجديدة يتطلب جهداً كبيراً، وإمكانات ضخمة، ومتسعاً كافياً من

الوقت. فكان المطلوب هو إعادة تنظيم الدفاع عن البلاد بجدية وسرعة، واستطلاع مناطق الحدود الجديدة وتدعيمها. وقد تم اتخاذ قرارات بتجهيز مناطق الحدود الجديدة تجهيزاً تقنياً ـ هندسياً، وبناء خطوط دفاعية متطورة في العمق (وحديثة بالنسبة لذلك الزمن) مع تطوير الخطوط الحديدية وفصلها عن الخطوط الغربية الأوروبية وربطها بالخطوط السوفييتية عن طريق بناء عدد من المحطات الإضافية، وبناء الطرق المرصوفة، وإقامة خطوط الاتصال وما هو ضروري من أجل تمركز القوات وانتشارها بشكل سريع، وكذلك من أجل قيامها بالأعمال القتالية عند مجابهة القوات الألمانية، والتصدي لها. لكن الوقت المتوافر كان قليلاً جداً من أجل تنفيذ هذه القرارات الهامة. وكان العاملون في هيئة الأركان العامة، يعيشون في حالة من القلق بسبب ضعف قدرة الخطوط الحديدية على النقل، لا سيما في الأقاليم والقطاعات التي كانت تقع إلى الغرب من الحدود القديمة.

سار خط التوتر الدولي في تصاعد مستمر طوال سنة ١٩٤٠، وفي يوم ٧ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ تم استدعاء (فاسيليفسكي) للتقدم لمفوض الشعب لشؤون الدفاع (س. ك. تيموشنكو) كما تم في الوقت ذاته استدعاء الملحق بمفوض الشعب لشؤون الدفاع ـ من أجل الواجبات ذات الأهمية الخاصة ـ وهو الجنرال. ف. م. زلوبين. حيث أبلغهما تيموشنكو الانضمام إلى الوفد الحكومي المتوجه إلى برلين بناء على مبادرة من برلين. وأعلمهما تيموشنكو باعتبارهما الخبيرين العسكريين الملحقين بالوفد ـ أنهما سيتلقيان

تعليمـاتهما من رئيس الـوفد مفـوض الشعب للشؤون الخارجيـة (ف. م. مولوتوف).

غادر الوفد السوفييتي موسكو يـوم ٩ تشرين الثـاني ـ نوفمبر ـ ١٩٤٠ ومعه سفير ألمانيا في موسكو (الكونت فون ديرشولينبـورغ) على متن قطار خاص، تم تجهيزه بـاللاسلكي للبقـاء على اتصـال مستمـر مع مـوسكو. وقـام (مـولـوتـوف) بـاستـدعـاء القـائـدين (فاسيليفسكي وزلوبين) إلى عربته، خلال اليوم الأول من الرحلة، وأعلمهما بأن المباحثات التي ستجري في برلين هي مباحثات سياسية صرفة، الغاية الأساسية منها هي تحديد نوايا هتلر للمرحلة المقبلة، والعمـل على تـأخير العـدوان الألماني عـلى الإتحاد السـوفييتي قـدر المستطاع. وعندما وصل القطار إلى الحدود السوفييتية مساء يوم ١٠ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ طلبت السلطات الألمانية بإلحاح أن ينتقـل الوفد إلى قطار (جهز تجهيزاً خاصاً)، وهو ينتظر في محطة (ايدكونين) الواقعـة على الحـدود. لكن الوفـد السوفييتي رفض رفضـاً قاطعاً نظراً لأنه تم تجهيز القطار في آخر محطة سوفييتية بعجلات من الـطراز الأوروبي الغربي. وبعـد مجادلات طـويلة، اضطر الألمـان للتراجع، وأضافوا إلى القطار السوفييتي عربتي صالـون ألمانيتين. وانطلق القطار ليصل إلى برلين في صباح يـوم ١٢ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ حيث كانت هناك هيئة استقبال حكومية ألمـانية تنتـظر في محطة (آنهالت). وكانت هذه الهيئة برئاسة وزير الخـارجية الألمـانية (فون روبينتروب) والجنرال ـ فيلد مارشال (كيتل). وبعـد مراسم الاستقبال الرسمية، تم إنزال الـوفد السـوفييتي في قصر (بيلفيا).

وتوجه (مولوتوف) في اليوم ذاته ومعه السفير السوفييتي في برلين والمترجمون وفون روبينتروب إلى مبنى المستشارية لمقابلة هتلر.

وقد طرحت القيادة الألمانية اقتراحاً بتقسيم مناطق النفوذ في العالم بين دول المحور (ألمانيا وإيطاليا واليابان) مع الاتحاد السوڤييتي. ومقابل ذلك، طرح الوفد السوفييتي اقتراحاً محددا بشأن سياسة برلين تجاه أوروبا الشرقية، وأهداف ألمانيا في فنلندا ورومانيا. ولما لم يجد الجانبان لغة مشتركة للتفاهم افترقا على غير اتفاق. ولكن، أقيم حفل استقبال في المساء في مبنى السفارة السوفييتية حضره مارشال الرايخ الألماني (غودينغ) نائباً عن هتلر، و(هيس) ووزير الخارجية الألمانية (فون روبينتروب) وسواهم. وما كاد الحفل يبدأ حتى دوت صفارات الإنذار معلنة اقتراب الطائرات البريطانية من برلين، وتوقف حفل الاستقبال.

وجرت مقابل أخرى مع هتلر، ولكنها لم تحقق أية نتيجة إيجابية. كما استقبل وزير الخارجية الألمانية (روبينتروب) في مكتبة وزير الخارجية السوفييتية (مولوتوف) في مساء يوم ١٣ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ولم تحقق هذه المقابلة أي جديد، فغادر الوفد السوفييتي برلين في صباح اليوم التالي. وجرى للوفد وداع بارد، تم خلاله تبادل العبارات الرسمية الجافة. والمعروف بعد ذلك أن هتلر، أعاد فحص (خطبة أوتو) يوم ٥ كانون الأول ـ ديسمبر ـ والتي تضمنت خطة الهجوم على الاتحاد السوفييتي، ووافق عليها من حيث المبدأ ثم أمر بتغيير اسمها يوم

١٨ كانون الأول ـ ديسمبر ـ وأصبحت تحمل اسمها الشهير (خطة بربروسا). وحدد يوم ١٥ أيار ـ مايو ـ ١٩٤١ موعداً ـ أو توقيتاً ـ للبدء بتنفيذ هذه الخطة.

لقد أفاد فاسيليفسكي من هذه التجربة التي كانت تجربته الأولى في مجال العمل السياسي ـ العسكري، وتوطدت علاقاته مع أعضاء الوفد. وعندما عاد، حمل معه انطباعاً عن الزيارة ـ شأنه شأن بقية أعضاء الوفد ـ بأنه يجب على الاتحاد السوفييتي أن يكون مستعداً لصد العدوان الألماني الذي بات واضحاً ومؤكداً أكثر من أي وقت مضى.وعلى هذا الأساس، عقد اجتماع استشاري عام لكافة الملاكات القيادية العسكرية في كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٤٠. وفي نهاية هذا الشهر ذاته أجريت لعبة حرب على المستوى الاستراتيجي وعلى مستوى العمليات، شارك فيها أكثر القادة تحملاً للمسؤولية. ونوقشت نتائج اللعبة في الكريملين ـ على أعلى مستوى ـ. وكان أبرز حدث بعد ذلك بالنسبة للقيادة، هو تعيين جنرال الجيش (غ. ك. جوكوف) رئيساً لهيئة الأركان العامة في شهر شباط ـ فبراير ـ ١٩٤١، فحل محل الجنرال ميرتسكوف وقد ذكر فاسيليفسكي موقفه من هذا التعيين بقوله:

«كنت أعرف غريغوري كوسنتانيتنوفيتش جوكوف معرفة جيدة؛ فقد عملنا معاً على امتداد سنوات طويلة، وقضينا معاً خلال الحرب الوطنية العظمى أكثر من ليلة بلا نوم؛ وجلسنا أكثر من مرة كل إلى جانب الآخر ونحن نفكر معاً في الإجراءات الضرورية والعاجلة، ووضعنا معاً وبمشاركة قادة آخرين عشرات العمليات من مختلف

المستويات. إن غ. ك. جوكوف هو قائد معروف على نطاق واسع للشعب السوفييتي، ولذلك هيهات أن أستطيع إضافة شيء إلى ما حصل عليه من نعوت وأوصاف. وإني أستطيع فقط التأكيد بأنه واحد من أبرز القادة العسكريين السوفييت على الإطلاق؛ موهبة عسكرية ضخمة واستراتيجية فذة. وقد قام بالطبع، وهو الذي يملك مزايا القائد العسكري الفريد من نوعه، بكثير من الأعمال المفيدة وهو في منصب رئيس هيئة الأركان العامة، لكن موهبته تجلت بشكل أكمل من خلال سير المعارك الاستراتيجية».

عملت هيئة الأركان العامة بجهد مستمر طوال النصف الأول من العام ١٩٤١. فكانت تحلل المرة بعد المرة عمليات السنوات الأولى من الحرب العالمية الثانية ومبادىء تنفيذها؛ ودرست بالعمق ذاته العمليات الهجومية ومسائل الدفاع الاستراتيجي. وكانت ألمانيا قد بدأت بنقل جيوشها إلى قرب الحدود السوفييتية اعتباراً من شهر شباط ـ فبراير ـ ١٩٤١. وتوافرت المعلومات لهيئة الأركان العامة ولمفوضية الشعب لشؤون الدفاع، ولمفوضية الشعب للشؤون الخارجية، والتي أكدت بوضوح متزايد خطر التهديد المباشر بالعدوان. وكانت هيئة الأركان العامة، وشعبة العمليات، تعمل تحت هذه الظروف لإدخال التعديلات الضرورية على خطة العمليات التي وضعت خلال فصلي الخريف والشتاء من العام ١٩٤٠، وذلك لحشد القوات المسلحة وانتشارها من أجل صد هجوم القوات الألمانية القادمة من الغرب. ولم تكتف بذلك بل قامت باتخاذ الاجراءات الهامة لتعزيز القدرة الدفاعية لمناطق الحدود

الغربية. وفي بداية حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤١؛ دعي إلى معسكرات التدريب حوالي ٨٠٠ ـ ثمانمائة ـ ألف احتياطي، وأرسلوا جميعاً لدعم المناطق الغربية المتاخمة للحدود. وبلغ التعداد العام للجيش والأسطول في منتصف العام ١٩٤١ حوالى خمسة ملايين شخص، كما اتخذت إجراءات كثيرة لنقل القوات من عمق البلاد إلى مناطق الحدود. وبذلك أمكن اتخاذ التدابير الضرورية خلال الأشهر التي سبقت اندلاع الحرب.

٥ ـ في أتون الحرب

بقيت هيئة الأركان العامة السوفييتية طوال الأسابيع الأولى من شهر حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤١ وهي تتلقى المعلومات عن تحركات القوات الألمانية واستعداداتها للحرب. وحرص فاسيليفسكي وبقية القادة في هيئة الأركان العامة على البقاء في مراكز عملهم بلا انقطاع ـ دون أية أوامر من القيادة العليا ـ. وفي الساعة الواحدة من ليل ٢٢ حزيران ـ يونيو ـ أصدر رئيس هيئة الأركان ـ جوكوف ـ أمره الذي وقعه مفوض الشعب لشؤون الدفاع باستنفار قوات المناطق العسكرية في (لينينغراد والبلطيق والغربية وكييف وأوديسا)، وتم إبلاغ هذا الأمر، فيما كانت جحافل القوات الألمانية تجتاز الحدود.

وبدأت الحرب، ونشب قتال عنيف على امتداد الحدود ما بين بحر بهرنغ وبين البحر الأسود. وجرى في اليوم التالي إعادة تنظيم القيادة. وتم تكليف (فاسيليفسكي)

ورئيس إدارة الاستطلاع الفريق (ف. إ. غوليكوف) بإعداد البلاغات عن الأعمال القتالية في الجبهات. كان كل واحد في هيئة الأركان يحاول أن يبذل قصارى جهده في قطاع عمله، وأن يسرع في تنظيم الجهاز العسكري وفقاً لمتطلبات الحرب. وبلغ الجهد في العمل حدوداً قصوى إذ كان لا بد من اتخاذ قرارات جديدة باستمرار. وتحولت إدارة العمليات برئاسة (فاسيليفسكي) وهي أشبه ما تكون بخلية النحل. وكانت (النحلات) القادمة من خطوط الجبهة تنقل المعلومات التي تتطلب معالجة فورية. وكانت المعلومات تتوزع على ثلاثة أقسام تشكلت حسب الاتجاهات الرئيسة الثلاثة للعمليات القتالية: الشمال الغربي، الغربي، الجنوب الغربي. وكانت الأجهزة اللاسلكية الطابعة ـ البودو ـ تعمل بلا توقف، مرسلة العديد من البرقيات دفعة واحدة إلى الأجهزة المستقبلة. وكانت هيئات أركان المناطق السابقة والتي تحولت الآن إلى هيئات أركان للجبهات، ترسل تقاريرها إلى هيئة الأركان العامة؛ التي كانت ترسل بدورها الأوامر إلى القوات. كان ثمة نقص في هيئة الأركان العامة من حيث عدد العاملين فيها. وتركز العمل الرئيسي في القاعة الكبرى حيث حشدت العناصر الأساسية لتأمين الإتصال بالقوات: الخرائط منتشرة في كل مكان ـ جغرافية وطبوغرافية ـ من القياسات المختلفة ولغايات متنوعة؛ والتقارير لا تنقطع: لاسلكية، أو بواسطة طائرات الاتصال، أو بطائرات الاستطلاع.

كانت المعلومات الدقيقة والكاملة قدر المستطاع ضرورة

مثلهـا كمثـل الهـواء. مـاذا يحـدث في الجبهـات؟ أين وصلت القـوات الصديقـة والمعـاديـة؟ عـلى أي خط تسـير المعـارك؟ إلى أين نرسل قوات الدعم والتعزيزات؟ أين؛ وما هو العتاد الحربي الـلازم؟ كل شيء؛ مـا عـدا أن يختل التـوازن؛ وأن لا يحصـل التأخير، وأن تصل المعلومات في الوقت المناسب للقيادة العامة.

جابهت هيئة الأركان حالة من الاضطراب والارتبـاك في بدايـة الأمـر. فقد أرسـل ستالـين القادة المسؤولـين في مفوضيـة الشعب للدفـاع ـ وزارة الدفـاع ـ وفي هيئة الأركـان العامـة للعمـل عـلى الاتجاهات الرئيسة للجبهات، ووضعت كافة وسائط الاتصـال في حـوزة مفوضيـة الشعب لشؤون الدفـاع، من أجل إقـامة اتصـال فـوري معهم، وتركت هيئـة الأركان وحـدها في أحـرج مـراحـل الحرب. وصارت جميع القرارات تتخذ في الأعلى بدون معرفتها، ولم يبق لها من دور إلا التحويل، ولم يكن ذلك إلا دليلاً على عدم ثقة ستالين بهيئة الأركان. ولكن سرعان ما تبين لستالين أن التنفيذ العاجل لقـرارات القيادة العليـا وإجراءاتهـا يتطلب إشـراك جهاز منظم من الاختصاصيين العسكريين، وبالدرجة الأولى جهاز هيئة الأركـان العامـة؛ بهدف الاضـطلاع بالأعمـال الدقيقـة والمعقـدة بصـورة فوريـة: مثل تشكيـل خطوط دفـاعيـة جـديـدة؛ وجلب الاحتيـاطات الاسـتـراتيجية من عمق البـلاد، والتنـظيم الفـوري لاتصالات ثابتة ومستقرة بين القيادة العليا والجبهات. فتمت إعادة تشكيل هيئة الأركان وجرى دعمها بالعناصر القيادية الضروريـة. وأصبحت هيئة الأركان العامة هي الهيئة العاملة للقيادة العليا؛ إذ

لم يكن لهذه القيادية جهاز خاص بها من أجل الاضطلاع بهذه الواجبات.

أمضى (فاسيليفسكي) الشهرين الأولين من الحرب، وهو ينفذ أعماله في هيئة الأركان العامة فقط. وفي ٣٠ تموز - يوليو - دعي إلى مقر القيادة العامة من أجل البحث في التدابير الواجب اتخاذها لدعم الدفاع عن لينينغراد كل من القائد العام للاتجاه الشمالي - الغربي (كليمنت. ي. فوروشيلوف) وعضو المجلس العسكري (آ. آ. جدانوف) وشارك في البحث (بوزيس. م. شابوشنيكوف)، الذي أعلم فاسيليفسكي بعد عودته من هذا الاجتماع في الساعة ٤,٠٠ من صباح يوم ٣١ تموز - يوليو - بأنه قد طرح في القيادة العامة - من بين ما تم طرحه في مواضيع أخرى - موضوع دعم هيئة الأركان، وأن فوروشيلوف - قد اقترح عند نهاية الجلسة تعيين فاسيليفسكي في منصب رئيس هيئة الأركان. وكان شابوشنيكوف وهو يعلم فاسيليفسكي، يرغب في معرفة رأيه. فقال فاسيليفسكي: «إذا لم يكن فوروشيلوف راضياً لهذا المنصب بشخص موهوب، وله معرفة واسعة واطلاع كبير بفن العمليات مثل. م. ف. زاخاروف. فهل سأكون أنا الرجل المناسب؟».

وعاد فاسيليفسكي لعمله طوال النهار وهو غارق بين أوراقه وخرائطه. وفي وقت متأخر من الليل، أبلغه بوريس ميخائيلوفيتش شابوشنيكوف - عند عودته من الكريملين - عن قرار القيادة العامة الجديد: **بتعيينه رئيساً لإدارة العمليات ونائباً لرئيس هيئة الأركان العامة.**

بدأ (فاسيليفسكي) بممارسة واجباته الجديدة اعتباراً من يوم ١ آب ـ أغسطس ـ. وكانت القيادة العامة وهيئة الأركان العامة تعملان يومها في محطة مترو (كيروفسكايا) في شارع كبروفسكايا، حيث كان من السهل في أوقات القصف الانتقال إلى المحطة التي أغلقت في وجه الركاب، وعزلت عن (خط العربات)، وقسمت إلى أقسام عديدة؛ خصص واحد منها للقائد الأعلى ـ ستالين ـ وخصصت أقسام أخرى للعاملين على تأمين الاتصالات والعاملين في هيئة الأركان العامة.

بينما كان (فاسيليفسكي) يتحدث ذات يوم مع الجبهة الجنوبية الغربية؛ وهو على مقربة من الجهاز اللاسلكي ـ تحت الأرض ـ إذا بصافرة الإنذار تعلن عن اقتراب قوة إغارة جوية. وكان على (فاسيليفسكي) الصعود فوراً إلى الأعلى لالتقاط بعض الوثائق. وتصادف التقاؤه قرب المصعد بأعضاء لجنة الدولة لشؤون الدفاع وعلى رأسهم (إ. ف. ستالين) الذي لم يكد يصل إلى جوار فاسيليفسكي أثناء سيره، حتى أشار إلى ناحية وقال مبتسماً وهو يتحدث إلى (ف. م. مولوتوف): «هذا هو. كل الإزعاج منه!». ثم سأل فاسيليفسكي بعد أن رد على تحيته: «أين كنتم تختبئون عنا طوال هذا الوقت؟ وإلى أين تذهبون وقد أعلن الإنذار الجوي؟». وأجاب فاسيليفسكي: «إنني أعمل كالسابق في هيئة الأركان العامة؛ وأنا ذاهب لإحضار مواد ضرورية، وسأعود بعد ذلك».

كانت تلك هي البداية، إذ لم يكن فاسيليفسكي قد حظي برؤية ستالين من قبل. ولكنه بات بعد تعيينه الجديد ـ اعتباراً من أول

آب، أغسطس ـ يقابل ـ وهو برفقة رئيس هيئة الأركان شابو شنيكوف يومياً، وأحياناً أكثر من مرة في اليوم ـ، القائد الأعلى ستالين. وكانت هذه اللقاءات تجري عادة في الكريملين طوال شهري آب ـ أيلول (أغسطس ـ سبتمر) ١٩٤١، حيث كانت إحدى المسائل الأساسية المطروحة على بساط البحث هي: تشكيل القوات الاحتياطية الرئيسة، ومناطق تجميعها، ذلك أن القيادة العليا وهيئة الأركان العامة قد افترضت أنه بعد فشل الهجوم الألماني الأولي على موسكو، فلا بد للقيادة الألمانية من أن تعاود هجومها بعد تنظيم وحشد قوات أكبر. ولهذا فقد تركز الجهد لنقل قوات احتياطية جديدة، وتنظيم دفاع قوى لحماية العاصمة. وكان الألمان قد نقلوا ثقل قواتهم إلى أوكرانيا. وقد حاولت قيادة الجبهة هنا سحب قواتها إلى ما وراء نهر الدنيبر ـ مع استمرار الدفاع عن كييف ـ إلا أن ستالين رفض الموافقة على هذا الاقتراح، اعتماداً منه على وعد (يريمنكو) الذي تعهد بتدمير (السافل غودريان)، وقد فشلت محاولات رئيس هيئة الأركان ـ شابوشنيكوف ـ ونائبه ـ فاسيليفسكي لإقناع ستالين بسحب القوات من أوكرانيا في الوقت المناسب. ولكن هجوم (السافل غودريان) كان قوياً مما وضع الجبهة الجنوبية الغربية أمام خطر مدمر، فوافق ستالين على سحب القوات إلى ما وراء نهر الدنيبر. وتبع ذلك إعادة تنظيم شامل للجيوش والجبهات.

وقد يبدو من المستغرب كيف كانت تتخذ بسرعة هذه القرارات بالغة الأهمية: جبهات تنحل؛ وأخرى تتشكل. جيوش

تزول من الوجود؛ وأخرى تحل محلها. إنها الحرب التي تتطلب قرارات سريعة. ولم تكن هذه القرارات صحيحة دائماً في الظروف المتبدلة باستمرار الحرب، لقد كانت هناك قرارات صحيحة وأخرى بعيدة كل البعد عن الصحة.

عادت القوات الألمانية بعد استيلائها على (كييف) واجتياحها لأوكرانيا إلى نقل ثقل قواتها للاستيلاء على موسكو، وحشدت ٧٧ فرقة زاد عدد أفرادها على المليون مقاتل ومعهم ١٧٠٠ دبابة وما زاد على ١٤ ألف مدفع وهاون و٩٥٠ طائرة مقاتلة.

كان على الجبهات الثلاث التي نظمت للدفاع عن موسكو: (الجبهة الغربية، والجبهة الاحتياطية وجبهة بريانسك ٧٧) أن تصمد لثقل الهجمة الألمانية. وكانت القيادة السوفييتية وهيئة أركانها قد تمكنت من حشد قواتها في الجبهات الثلاث التي ضمت ٨٠٠ ألف مقاتل و٦٨٠٨ مدفع وهاون و٧٨٢ دبابة و٥٤٥ طائرة. وقامت القوات الألمانية بهجومها ضد جبهات موسكو يوم ٣٠ أيلول ـ سبتمبر ـ واستمر حتى نهاية تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٤١. ولقد قاومت القوات السوفييتية هجوم القوات الألمانية بعناد وضراوة، غير أن القوات الألمانية نجحت في اختراق الجبهات، وتدهور الموقف بشكل خطير، فقامت القيادة العليا بتوزيع قادتها على الجبهات لمعالجة المواقف واتخاذ القرارات المناسبة بسرعة. وتم تعيين (فاسيليفسكي) بتمثيل القيادة العليا في منطقتي (كجاتسك وموجايسك)، فتوجه إلى هناك يوم ٥ تشرين الأول ـ

أكتوبر ـ ومعه أعضاء لجنة الدولة لشؤون الدفاع. وكانت إحدى المهمات الأساسية التي تم تكليفه بها هي تجميع القوات المنسحبة والمتراجعة من الغرب، وإرسالها إلى منطقة موجايسك، وتنظيم الدفاع على هذا الحد. وأمكن خلال خمسة أيام ـ بجهود مشتركة مع قيادة الجبهة ـ إرسال خمسة فرق مشاة إلى خط موجايسك، من قوام القوات المتراجعة من اتجاهات رجيفسك وصينشيفكا وفيازما. وكان (فاسيليفسكي) يرسل تقريره يومياً بالهاتف الى القائد الأعلى، ليعلمه عن سير العمل، وعن الموقف على الجبهة.

وعاد (فاسيليفسكي) صباح يوم ١٠ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ومعه ممثلو القيادة العامة ومجلس الدفاع، إلى موسكو. وفي اليوم ذاته، نظمت القيادة العامة جبهة واحدة ضمت قوات الجبهة الغربية والجبهة الاحتياطية وأسندت قيادتها إلى (غ. ك. جوكوف)، الذي كان قد عاد لتوه من جبهة (لينيغراد).

وتابعت القوات الألمانية ضغطها على موسكو. واشتعلت معارك رهيبة على كافة الاتجاهات الرئيسة للعاصمة، وازداد الخطر إلى درجة لا يمكن تصورها. ونظراً لاقتراب خط الجبهة من المدينة مباشرة (في النصف الثاني من شهر تشرين الأول ـ أكتوبر)، فقد اتخذ مجلس الدولة للدفاع قراره بنقل بعض المؤسسات الحكومية والسلك الديبلوماسي، والمصانع الحربية الضخمة وكذلك المؤسسات العلمية والثقافية في العاصمة. وبقي في موسكو مجلس الدولة للدفاع وهيئة القيادة العامة العليا، والحد الأدنى من الجهاز الحكومي والعسكري الضروري لإدارة الحرب.

وانتقلت هيئة الأركان العامة أيضاً، فكان على رئيس هيئة الأركان العامة (ب. م. شابوشنيكوف) أن يترأس هيئة الأركان العامة في مقرها الجديد. وأقيم اتصال ثابت ومضمون ودائم بين المقر الجديد وبين القيادة العامة العليا. وتم تكليف (فاسيليفسكي) ومعه النسق الأول لهيئة الأركان العامة، بالبقاء في موسكو لخدمة هيئة القيادة العامة العليا (وبلغ عدد القادة العاملين في مجموعة فاسيليفسكي عشرة أشخاص)، وقد حددت مهمة (فاسيليفسكي) ومجموعته بما يلي:

«جمع المعلومات الشاملة والدقيقة عن الموقف في الجبهة؛ وتقويم الأحداث تقويماً صحيحاً، وإبلاغ القيادة باستمرار وبدقة وبدون تفصيلات زائدة، ووضع المقترحات الصحيحة وفي الوقت المناسب تبعاً لتبدلات الموقف على الجبهة؛ وإبلاغ القائد الأعلى عنها. وكذلك وضع الخطط والتوجيهات بسرعة ودقة على أساس قرارات القيادة الاستراتيجية ـ العملياتية، والإشراف الدقيق والمستمر لتنفيذ كافة قرارات القيادة العامة؛ وكذلك من أجل الجاهزية القتالية والقدرة القتالية للقوات، وتشكيل وإعداد الاحتياطات، والتأمين المادي ـ الحربي للقوات».

وكان يجب أن تنتقل هيئة الأركان العامة من موسكو إلى مقرها الجديد يوم ١٦ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ وقد اتصل (فاسيليفسكي) بستالين ليستأذنه بمرافقة (ب. م. شابوشنيكوف) وهيئة الأركان إلى محطة القطار. لكن ستالين أصدر إليه أمراً بالحضور إلى المقر العام؛

حيث بقي يعمل هناك حتى وقت متأخر من الليل، وبذلك لم تتح له فرصة وداع رئيسه (شابوشنيكوف)، ولم يغادر مقرّ القيادة العامة طوال الأيام التالية.

كان التوتر يشتد كل ساعة، وكثرت الغارات الجوية، ونسي الجميع الراحة أو النوم. وقرر مجلس الدولة للدفاع إعلان حالة الحصار على موسكو اعتباراً من يوم ٢٠ تشرين الأول - أكتوبر -. وظل سكان موسكو أياماً لا يخرجون من مصانعهم أو مناطق عملهم أو مواقع بناء الخطوط الدفاعية. وكان تكثيف إنتاج المواد الحربية، والسرعة ببناء الخطوط الدفاعية، والتشكيل الإضافي لوحدات وقطعات المقاومة الشعبية والعمّال تستغرق وقت الجميع.

وأثمرت الجهود المبذولة، فتم إيقاف القوات الألمانية عند خط سد الفولغا، ثم على خط نهري (نارا - و - أوكا). وفي ليل ٢٩ تشرين الأول - أكتوبر - اتصل ستالين بفاسيليفسكي، وسأله ما إذا كان باستطاعته إعداد أمر بترفيع أحد الجنرالات. وأجاب (فاسيليفسكي) بالموافقة. وسأل عن الترفيع الى أية رتبة؛ ولمن؟ ولما ذكر له ستالين اسم (فاسيليفسكي) طلب إعفاءه من هذه المهمة. فأجاب ستالين مازحاً: «طيب؛ حسناً؛ قم بأعمالك أنت ونحن سنتدبر هذا الأمر بدونك». وبعد أن شكر فاسيليفسكي القائد العام على تقويمه العالي لعمله، رجاه أن يقوِّم أيضاً وبالقدر ذاته جهود الذين عملوا معه. **وهكذا صدر الأمر يوم ٢٩ تشرين الأول - أكتوبر - ١٩٤١ بترفيع القائد (فاسيليفسكي) إلى رتبة فريق، وترفيع ثلاثة من معاونيه إلى رتبة لواء.**

كان تأثر (فاسيليفسكي) باهتمام ستالين وتقديره تأثراً عميقاً. ولطالما عانى من ثورات غضبه وحدة طباعه؛ غير أن تقديره لجهوده وفي مثل تلك الظروف العصيبة، ثم رعايته الأبوية واهتمامه بحصول (فاسيليفسكي) على قسطه من النوم والراحة يومياً (بمعدل ٦ ساعات) وتأكده من ذلك؛ كان في جملة الحوافز القوية التي دفعت (فاسيليفسكي) للمزيد من البذل والعطاء.

٦ ـ التعلم من تجربة موسكو

خسر الألمان خلال هجومهم على موسكو أكثر من ١٥٥ ألف قتيل وجريح؛ وحوالي ٨٠٠ دبابة وحوالي ٣٠٠ مدفع وعدداً كبيراً من الطائرات. لقد زال الخطر عن موسكو ـ مؤقتاً على الأقل ـ ولو أن ميزان القوى لا زال في مصلحة الألمان. وتم اتخاذ قرار يوم ١٥ كانون الأول ـ ديسمبر ـ بعودة جهاز اللجنة المركزية وبعض المؤسسات الحكومية إلى موسكو. وكانت هيئة الأركان العامة (برئاسة شابوشنيكوف) أسبق من غيرها بالعودة؛ إذ كان عليها الإعداد للهجوم المضاد الذي تم الإعداد له بشكل محدود. ولما كان (شابوشنيكوف) قد أصيب بمرض منعه من العمل، منذ نهاية شهر تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ فقد تم تكليف (فاسيليفسكي) بتسيير أمور هيئة الأركان العامة مؤقتاً. وقام (فاسيليفسكي) بتدقيق خطة الهجوم المضاد للجبهة الجنوبية ـ الغربية، والجبهة الغربية، وجبهة كالينين. وحدد ليل ٥ ـ ٦ كانون الأول ـ ديسمبر ـ موعداً لبداية هذا الهجوم. وانتقل (فاسيليفسكي) يوم ٤ كانون الأول ـ

ديسمبر - إلى جبهة كالينين، حيث أعطى قائدها آخر توجيهات القيادة العامة للهجوم. وأخذ في متابعة التطورات، وظهر له - خلال سير الهجوم المضاد في ضواحي موسكو - أن ثمة أخطاء عديدة في قيادة القوات أو في عملياتها. وعلى سبيل المثال؛ فطوال الأيام العشرة الأولى من الهجوم، ظل الجناح الأيمن للجبهة الغربية وهو يخوض معارك عنيفة على عقد المقاومة ونقاط الاستناد الألمانية، فكان تقدمه أبطأ مما كان مخططاً له، بسبب عدم كفاية الدبابات والطيران والذخيرة على الاتجاه اللازم. كما أن الوحدات والقطعات والمفارز أقامت ترتيباتها القتالية على نسقين؛ وقامت بهجومها بعد تحضير مدفعي قصير وغير كاف من حيث القوة، ولم تستخدم نيران المدفعية لمرافقة المشاة والدبابات المهاجمة في عمق الدفاع الألماني بشكل صحيح تماماً. وكانت قطعات الدبابات تستخدم دائماً لدعم المشاة دعماً مباشراً، ولم تعط لها واجبات مستقلة، وكان التعاون بين الجبهات ضعيفاً. ولكن وبالرغم من ذلك، فقد أمكن إنزال خسائر فادحة بالقوات الألمانية، حيث خسر الألمان أكثر من ٥٠٠ ألف مقاتل، و١٣٠٠ دبابة و٢٥٠٠ مدفع وأكثر من ١٥ ألف سيارة وكثيراً من الأعتدة الأخرى وعندما وصل الهجوم المضاد إلى نهايته (في مطلع سنة ١٩٤٢)، كانت القوات السوفييتية قد طردت الألمان من مناطق موسكو وتولا وريزان، وجزئياً من مناطق لينينغراد وكالينين وسمولنسك وأرلوف وكورسك وخاركوف وستالينغراد ومن شبه جزيرة كيرتش.

لقد أفاد (فاسيليفسكي) كثيراً من تجربة موسكو؛ إلا أن هذه

التجربة لم تصل بعد حتى نهايتها ، فلا زال الألمان يمسكون بمفاتيح التفوق بالقوى والوسائط. وكان لا بـد للقوات السـوفييتية من أن تبذل جهدها للمحافظة على المبادأة ، في حين كان واضحاً أن انتقال الألمان للدفاع الاستراتيجي ما هو إلا مرحلة سيحـاولون بعـدها ـ ومع قدوم فصل الربيع ـ استعادة المبـادأة ، وقد عمـل الألمان عـلى تنظيم دفاعهم في خطوط متتالية ـ منسقة بالعمق ـ ، فكان خـرقها يتطلب زج قوى ووسائط ضخمة ؛ كما كان يتطلب توافر خبرة قتالية للقوات تساعد على الـوصول بـالخرق إلى العمق ، ولم يكن ذلـك بالأمر المستطاع. ولكن ؛ وعلى الرغم من ذلك، فقد تقرر بذل كل الجهود لمتابعة الهجوم ضـد القوات الألمـانية. ولكن كـافة الجهـود فشلت في كسر الـطوق المحيط بلينينغـراد ، كـما نجحت القـوات الألمانية بتطويق تجمع ضخم للقوات السوفييتيـة في (ديميانسـك) . ودارت معـارك قـاسيـة لكسر هـذا الـطوق، وتم إنـزال قــوات للمظليين؛ لكن الموقف لم يتبدل، حتى إذا ما أقبل فصـل الربيـع (لسنة ١٩٤٢) حدث نوع من الهدوء والاستقرار على خطوط الجبهة كـافة، وذلـك بسبب عدم تـوافر القـوى والـوسـائط السـوفييتيـة الضرورية لمتابعة الهجوم، فانتقلت القوات للدفاع. وهيمن القلق على القيادة العليا وعلى هيئة الأركان العـامة بسبب المـوقف الخطر عـلى الاتجاه الجنـوبي ـ الغربي؛ والجنـوبي، بـالإضـافـة إلى فشـل العمليـات في القرم. وطـرحت على هيئـة الأركـان مسـألـة خـطة العمليات القتالية للنصف الثاني من العام ١٩٤٢ ، إذ كانت هناك قناعة تامة بأن القوات الألمانية ستنتقل للهجوم الحازم خلال فترة

لا تتجاوز الصيف، فتم تحليل نتائج هجوم الشتاء تحليلاً دقيقاً.

أصبحت القيادة العامة الآن، ومعها هيئة الأركان العامة، والتنظيم القيادي للقوات المسلحة بكاملة، وهم يحاولون كشف النوايا الألمانية للعمل خلال فترتي الربيع والصيف من العام ١٩٤٤. مع تحديد الاتجاهات الاستراتيجية التي يحتمل أن تجري عليها الأحداث الأساسية. **وكان العاملون في القيادة العليا وفي هيئة الأركان قد حددوا المهمة الأساسية والعاجلة للقوات السوفييتية باللجوء إلى الدفاع الاستراتيجي المؤقت؛ وذلك بهدف إنهاك التجمعات الضاربة للقوات الألمانية؛ واستنزافها على خطوط دفاعية مجهزة مسبقاً، وإحباط الهجوم الصيفي الذي تعده القيادة الألمانية، وتدمير قواها بأقل خسارة ممكنة من الجانب السوفييتي؛ مما يتيح الظروف المناسبة لانتقال الجيش الأحمر للهجوم الشامل.**

ولقد تجاهلت هذه المهمة معلومات الاستطلاع عن استعداد الألمان لتوجيه ضربتهم الرئيسة نحو الجنوب (القفقاس والقرم). فقامت القيادة السوفييتية وهيئة أركانها فحشدت على الاتجاه الجنوبي - الغربي أقل القوى وأضعفها؛ وركزت القوات الاحتياطية الاستراتيجية بالتالي على اتجاهات (تولا وفورونيج وستالينغراد وساراتوف)، فكانت أكبر نقطة ضعف فيها هي القرار بالدفاع والهجوم في آن واحد.

بقي (فاسيليفسكي) منذ ١٥ نيسان - أبريل، وحتى ٨ أيار - مايو - وهو ينفذ أوامر القيادة العامة بين قوات الجبهة الشمالية

الغربية، وأمكن له بالتعاون مع قيادة هذه الجبهة وضع الحلول المناسبة لتصفية تجمع القوات الألمانية المحاصرة في (ديميانسك). وعلم (فاسيليفسكي) من محادثاته اليومية مع رئيس هيئة الأركان (شابوشنيكوف) ومن تقارير العاملين في إدارة العمليات؛ أن المحاولات التي قامت بها جبهة القفقاس لتحرير القرم قد انتهت بالفشل؛ رغم التفوق السوفيتي الكبير في القوى والوسط على تلك الجبهة.

أصدرت القيادة العليا أمرها إلى (فاسيليفسكي) بالعودة لتسيير أمور هيئة الأركان، مؤقتاً، بسبب مرض رئيسها (شابوشنيكوف). فوصل (فاسيليفسكي) إلى موسكو يوم ١١ أيار - مايو - ، فوجد بمجرد وصوله أن الموقف قد تدهور كثيراً في القرم. فقد قام الألمان منذ يوم ٨ أيار - مايو - بهجوم على شبه جزيرة (كيرتش) بمحاذاة البحر الأسود، وخرقت الدفاع السوفييتي بعمق ثمانية كيلومترات. وتبين لدى تحليل أسباب الفشل هنا أنه تقصير ممثل القيادة العامة، وقائد الجبهة، فتم عزلهما وتخفيض رتبهما العسكرية. ووجه إلى قادة كافة الجبهات والجيوش بياناً جاء فيه:

«تنحصر المهمة بأن يستوعب قوامنا القيادي طبيعة الحرب الحديثة بشكل كامل، وبفهم ضرورة التنسيق العميق للقوات وفرز الاحتياطات، وبأن يدرك أهمية تنظيم التعاون بين مختلف صنوف القوات، وبالأخص التعاون بين القوات البرية والطيران. وتنحصر المهمة بأن يترك قوامنا القيادي نهائياً الأساليب الخاطئة للقيادة، والإدارة البيروقراطية - الورقية - للقوات؛ وبأن لا

يكتفي بإعطاء الأوامـر، بل أن يبقى دائـماً مع القـوات والجيوش والفرق لمساعدة المرؤوسين في عملية تنفيذ أوامر القيادة».

لقـد أدى انتصار الألمـان في (شبه جـزيرة كيـرتش) إلى وضـع الحامية المدافعة عن مدينة (سيفاستوبول) أمام مـوقف صعب، مما أدى إلى سقوط هذه القلعة المنيعة في قبضـة الألمان يـوم ١٦ تموز ـ يوليو ـ ١٩٤٢، وذلك بعد مقاومة بطولية استمرت (٢٥٠) يوماً. وبينما كانت تعيش جبهة القرم ذروة أحداثها الفاشلة يوم ١٢ أيار ـ مايو ـ قامت قوات الجبهة الجنوبية ـ الغربية بالهجوم الذي تطور في البداية بنجاح، مما أعطى للقائد العام ـ ستـالين ـ الحجـة لتوجيـه اللوم الحـاد إلى (فاسيليفسكي) بسبب معـارضته للهجـوم، وهي المعارضة التي كـادت تحمل ستـالين عـلى إلغاء مثـل هذه العمليـة الناجحة. ولكن سرعان ما ظهرت صحة موقف (فاسيليفسكي). ففي يوم ١٧ أيار ـ مايو ـ انتقـل الألمان للهجـوم المضاد في هـذا القطاع بقوة ١١ فرقة، وأمكن لهم خـرق الجبهة وتشكيـل تهديـد قوي، مما دفع (فاسيليفسكي) للاتصال بستـالين، وطلب إيقـاف هجوم الجبهة الجنـوبية ـ الغـربية، من أجـل نقل قسم من قـواتها الضاربة لإيقاف التهديد الألماني الموجه إلى (كراماتورسك)، ولكن ستالين رفض الطلب. واستمر الموقف في تدهـوره حتى يوم ١٩ـ أيار ـ مايو ـ حيث وافق ستـالين على إيقـاف الهجوم ـ ولكن بعـد فوات الأوان ـ إذ حدث أثناء ذلك أن تعـرضت ثلاثـة جيوش من الجبهـة الجنـوبيـة والجنـوبيـة الغـربيـة لخسـائـر فـادحـة. وشعـر (فاسيليفسكي) بنوع من الذنب لهذه الكارثة، رغم أنه حذر منها،

إذ أدرك أنه كان من واجب هيئة الأركان العامة، تنظيم ضربات جانبية لجذب انتباه القيادة الألمانية إلى الاتجاهات المجاورة، وكذلك تقديم القوات الاحتياطية التي كانت متوافرة في قبضة القيادة لدعم الجبهة بالقوى والوسائط في الوقت المناسب.

كانت القيادة العليا قد اتخذت قراراً يوم ٢٦ نيسان ـ أبريل ـ ١٩٤٢ بتعيين (فاسيليفسكي) في منصب رئيس هيئة الأركان العامة. وكان (فاسيليفسكي) وهيئة أركانه في تلك الفترة تحت تأثير الفشل الذريع لعمليات الربيع، مع العلم أن القائد الأعلى ـ ستالين ـ لم يتعرض بشيء للأركان العامة. إلا أن الأخطار المرتكبة خلال عمليات الربيع كانت درساً قاسياً لفاسيليفسكي وللعاملين معه في هيئة الأركان العامة. فعكف فرع العمليات على تحليل احداث الجبهة ودراستها بعمق، لا سيما في الجنوب (القرم) و(الدون). وطرح (فاسيليفسكي) على العاملين في هيئة الأركان العامة مهمات جديدة، كل واحدة منها أشد تعقيداً من الأخرى. وكانت أولى تلك المهمات: تنظيم قيادة دائمة وثابتة للقوات، وإخضاع عملياتها للفكرة الواحدة التي تحددها القيادة العامة.

لقد مضى عام على بداية الحرب؛ وها هي القوات الألمانية تنطلق بهجوم عنيف يوم ٢٨ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٢ بهدف تطويق تجمع القوات السوفييتية في جبهة (بريانسك)، والتي تغطي اتجاه (فورونيج) ثم الالتفاف نحو الجنوب لتدمير قوات الجبهتين الجنوبية الغربية والجنوبية، مما يفتح أمامها الطريق إلى الفولغا وإلى شمال القفقاس. وكانت القوات الألمانية المكلفة بهذا الهجوم قد ضمت

تسعمائة ألف جندي وضابط وأكثر من ١٢٠٠ دبابة وما زاد على ١٧ ألف مدفع وهاون و١٦٤٠ طائرة؛ في حين كانت قوات الجبهات السوڤييتية الثلاث قد ضمت ـ عند بدء المعركة ـ ٦٥٥ ألف جندي وضابط و٧٤٠ دبابة و١٤٢٠٠ مدفع وهاون وحوالى ألف طائرة مقاتلة. وأمام هذا التفوق الألماني بالقوى والوسائط، لم يكن غريباً أن تنجح القوات الالمانية في اختراق جبهة (بريانسك) بعمق ٤٠ كيلومتراً خلال اليومين الأولين من أيام الهجوم، ثم طورت هجومها؛ وتدهور الموقف تدهوراً خطيراً على اتجاه (فورونيج) مساء يوم ٢ تموز ـ يوليو ـ فبلغ عمق الاختراق ٨٠ كيلومتراً. وقد أمضى (فاسيليفسكي) يومي ٣ و٤ تموز ـ يوليو ـ وهو يتابع الموقف في الجبهة، والعمل على زج الجيش المدرع الخامس في المعركة بمهمة الاستيلاء بضربة فورية على غربي الدون، وإحباط محاولات الألمان لعبور نهر الدون. ولكن، وبينما كان فاسيليفسكي منهمكاً في عمله، تلقى من القائد الأعلى ـ ستالين ـ أمراً بالعودة إلى المقر العام قبل صباح ٥ تموز ـ يوليو ـ نظراً لتعقد الموقف على الجناح الأيمن للجبهة الجنوبية الغربية، وتهديد مؤخرات الجبهتين الجنوبية الغربية والجنوبية. فعاد فاسيليفسكي إلى القيادة مساء يوم ٤ تموز ـ يوليو ـ بعد أن أعطى توجيهاته لقائد جبهة بريانسك وهيئة أركانه. وقدم فاسيليفسكي تقريره عن الموقف في الجبهة للقائد الأعلى في يوم ٥ تموز ـ يوليو ـ فتقرر تشكيل جبهة مستقلة على اتجاه فورونيج، وأسندت قيادتها إلى الفريق (ن. ف. فاتوتين)، بينما أسندت قيادة جبهة بريانسك إلى الفرق (ك. ك. روكوسوفسكي).

٧ ـ ستالينغراد

كان مخطط الهجوم الألماني، يهدف، فيما يهدف إليه، الاستيلاء على ستالينغراد. وكلفت بهذه المهمة ـ في بداية الأمر ـ قوات الجيشين الألمانيين الرابع والسادس. ثم تطور الصراع فشمل على الجبهتين المتصارعتين أكثر من مليوني مقاتل، وما زاد على ألفي دبابة ومثل هذا العدد من الطائرات المقاتلة و٢٦ ألف مدفع وهاون. وقسمت معركة ستالينغراد من حيث مجرى الأعمال القتالية وتطوراتها إلى مرحلتين مميزتين بوضوح: الدفاع على مداخل ستالينغراد وفي المدينة ذاتها (من ١٧ تموز ـ يوليو حتى ١٨ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٤٢)، ومرحلة الهجوم السوفييتي المضاد الذي انتهى في بداية سنة ١٩٤٣ بتصفية التجمع الألماني الضخم.

بدأت المعارك الدفاعية على المشارف البعيدة لمدينة (ستالينغراد) يوم ١٧ تموز ـ يوليو ـ حيث اصطدمت قوات الجيش الألماني السادس بقوات الجيش السوفييتي ٢٦، على نهر تشير. وقد فشل الهجوم الألماني في خرق الدفاع إلى أن توقف الهجوم يوم ٢٣ تموز ـ يوليو ـ فعملت القيادة الالمانية على زج فرق جديدة، كما عملت القيادة السوفييتية على زج فرق من قواتها الاحتياطية. ووصل (فاسيليفسكي) إلى الجبهة يوم ٢٣ تموز ـ يوليو ـ فوجد أن القوات الالمانية قد تمكنت من خرق الدفاع، وتطويق ثلاث فرق مشاة ولواء مدرع (قرب مايوروفسكي). وعمل على التعاون مع قيادة جبهة ستالينغراد للقيام بضربات معاكسة، إلا أن هذه الضربات المعاكسة والفورية (بقوات الجيشين المدرع الأول، ثم الرابع)، لم تفلح في

تدمير القوات الألمانية التي وصلت في اختراقها حتى نهر الدون.
وخلال تلك الأيام ذاتها، تزايد الموقف تعقيداً على الجناح الأيمن للجيش السوفييتي ٦٤، وتمكن الألمان من تشديد قبضتهم على القوات السوفييتية المنتشرة على جبهة عريضة، واحتلوا (نيجني وتشيرسكايا)، كما ظهر خطر خرق آخر من جهة الجنوب الغربي من ستالينغراد، ولكن المقاومة الضارية للقوات السوفييتية كسرت من حدة الهجوم؛ وأوقفته. فاتخذت القيادة الألمانية قرارها بزج جيشها المدرع الرابع لدعم الجيش السادس، وتحريك هذا الجيش من شمال القفقاس لتوجيه ضربته إلى جنوب ستالينغراد. وقد بدأ الجيش الالماني المدرع السادس هجومه يوم ٣١ تموز ـ يوليو ـ إلا أنه اضطر للتوقف على خط نهر اسكاي ـ ابغانبروفو يوم ١٠ آب ـ أغسطس، وتوقفت بقية الجيوش الألمانية أيضاً نتيجة لما تعرضت له من الخسائر.
وأخذت القيادة السوفييتية بزج قواتها الاحتياطية التي كانت تنقلها من عمق البلاد، كما كانت القيادة الألمانية تعزز من قواتها باستمرار، وتمكنت من العودة للهجوم يوم ٩ آب ـ اغسطس ـ بقوات الجيشين المدرعين السادس والرابع. ونشبت معارك ضارية على المشارف القريبة من المدينة، وتمكنت مجموعة متحركة قوية من خرق الدفاع السوفييتي ـ إلى الشمال من كالاتش ـ ووصلت إلى الفولغا شمال ستالينغراد. وفي القوت ذاته قام الأسطول الجوي الرابع الألماني بشن غارات مستمرة على المدينة، حولت المدينة إلى خرائب، وأشعلت النار فيها حتى أصبح ليلها نهاراً؛ وحتى أصبحت ستالينغراد وهي أشبه ما تكون بكتلة حريق هائلة.



رشقة مدفعية صاروخية في ضواحي ستالينغراد

أمضى (فاسيليفسكي) تلك الفترة القاسية وهو يعمل ممثلاً للقيادة العليا. وقد عمل الكثير مع قائد الجبهة وهيئة أركانه وقادة الجيوش والفيالق والفرق، لتنسيق التعاون وسد الثغرات، ومعالجة المواقف الخطرة والناشبة باستمرار. ووصله (يوم ٢٣ آب - أغسطس) إعلام عن نجاح القوات الألمانية باختراق الدفاع في جنوب المدينة؛ ووصولها حتى محطة (تينغون)، فتم اتخاذ الاجراءات الفورية بتشكيل قوات احتياطية من كتائب العمال وطلاب المدرسة العسكرية - السياسية، وفصائل المقاومة الشعبية، ووحدات عسكرية خاصة، وقطعات من مؤخرة جبهة ستالينغراد، فأمكن بذلك إقامة دفاع في القطاع ما بين نهري **(الدون - والفولغا)**.

وتم في ليل ٢٣ - ٢٤ آب - أغسطس تكوين مجموعة ضاربة من ثلاث فرق مشاة وفيلق مدرع ولواء مدرع (تحت قيادة قائد

الجبهة اللواء. ك. آ. كوفالينكو) بمهمة القيام فوراً بتوجيه ضربة مضادة على الاتجاه الجنوبي ـ الغربي، وسد الخرق والخروج إلى نهر الدون واستعادة الموقف. كما نظمت في الوقت ذاته ضربات مضادة على مستوى الجيوش، لتدمير القوات الألمانية التي وصلت إلى نهر الفولغا.

كان من نتيجة القصف الجوي الكثيف، انقطاع الاتصال الهاتفي مع موسكو (يوم ٢٣ آب ـ أغسطس) فتم إبلاغ القائد الأعلى ـ ستالين ـ بواسطة الراديو عن اختراق القوات الألمانية ووصولها إلى الفولغا، والتدابير المضادة التي تم اتخاذها لمعالجة الموقف. وأمكن إعادة الاتصال مع موسكو في ليل ٢٤ آب ـ أغسطس ـ، حيث تقرر بعد اتصال (فاسيليفسكي) بالقائد الأعلى ستالين، زج جيشين حتى ثلاثة جيوش من احتياط القيادة العامة في القطاع الشمالي والشمالي ـ الغربي من ستالينغراد، مع زج عدد من الفرق لدعم الحامية المدافعة عن المدينة وذلك لمجابهة تدفق القوات الألمانية.

جرت طوال يوم ٢٤ آب معارك رهيبة حول ستالينغراد، كان التفوق فيها كبيراً لمصلحة القوات الألمانية لا سيما على اتجاهات ضرباته الرئيسة. ولكن سكان المدينة والقوات المدافعة داخل المدينة قاومت بضراوة القوات الالمانية، وصدت كل الهجمات. وأصبح الوضع في منطقة ستالينغراد أشد خطورة بسبب الإغارات الجوية المستمرة، وتزايد حجم الدمار، والحرائق المشتعلة، وتعطل شبكات المياه والهاتف والمواصلات والكهرباء.

وبالرغم من ذلك، فقد استمرت المقاومة بعناد، وبدون ارتباك أو ذعر؛ ورفض قسم كبير من نساء المدينة ورجالها الرحيل عنها، وانضموا إلى المقاومة، وكان إسهامهم كبيراً في إقامة الحواجز، ونقل الذخائر والاشتراك في القتال.



المعارك في شوارع ستالينغراد

تلقى (فاسيليفسكي) أمراً من القائد الأعلى مساء يوم ٢٥ آب ـ أغسطس ـ بالتوجه إلى منطقة تجمع القوات ـ إلى الشمال من ستالينغراد ـ للإشراف على القوات التي كان يتم إرسالها لتوجيه الضربة المعاكسة المقبلة، وقد قام بهذا العمل في اليوم التالي ثم استمر بممارسة بضعة أيام أخرى. ثم جاء (غ. ك. جوكوف) وقد أسندت إليه مهمة قيادة كل القوات في جبهة ستالينغراد، وتدمير القوات الألمانية التي وصلت إلى الفولغا، واستعادة الموقف على جبهة الدفاع، وعاد (فاسيليفسكي) إلى هيئة الأركان العامة. وتم في شهر أيلول ـ سبتمبر ـ القيام بهجومين معاكسين كبيرين (بقوات الجيشين ٦٢ و٦٤). ومنذ ذلك الوقت بدأ الصراع الذي لا مثيل له من أجل تحرير مدينة ستالينغراد، وتدمير القوات الألمانية (الجيش السادس بقيادة فون باولوس).

وفقدت القوات الألمانية، في المعارك بين الدون والفولغا (خلال فترة شهر تموز وشهر تشرين الثاني ـ يوليو ونوفمبر ـ ١٩٤٢) حوالي ٧٠٠ ألف جندي وضابط، وأكثر من ألف دبابة وما زاد على ألفي مدفع وهاون وأكثر من ١٤٠٠ طائرة، الأمر الذي أرغم القيادة الألمانية على إصدار أمرها بالانتقال إلى الدفاع، والتمسك بالخطوط التي وصلتها مهما كلّف الأمر. وبذلك انتقلت المبادأة نهائياً لقبضة القيادة السوفييتية التي شرعت بالإعداد للهجوم المضاد العام، وحشد القوى والوسائط الضرورية لهذا الهجوم.

وقد كلف (جوكوف) و(فاسيليفسكي) بمهمة الإعداد لهذا الهجوم المضاد، ودراسة اتجاه الضربات المقبلة، وتحديد كل ما هو

ضروري من الإجراءات التفصيلية. وأمكن إنجاز التحضيرات مع بداية شهر تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ فعقد اجتماع بإشراف جوكوف، وحضور فاسيليفسكي يوم ٣ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ وذلك لدراسة الهجوم، وقد حضر الاجتماع قادة الجبهات والجيوش والفيالق والفرق. ثم تتابعت الاجتماعات لإجراء التعديلات ودراسة المقترحات، حتى إذا ما كان يوم ١٣ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ قدمت الخطة كاملة للقيادة العامة. وتقرر قيام الجبهة الجنوبية ـ الغربية وجبهة الدون بالهجوم صباح يوم ١٩ ـ ٢٠ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ على أن تبدأ جبهة ستالينغراد يوم ٢٠ منه. وكانت المعارك العنيفة خلال ذلك كله مستمرة، فيما كانت قوات الجبهات السوفييتية تتلقى مزيداً من الدعم يوماً بعد يوم.

وبدأت الجبهات بالهجوم في الوقت المحدد؛ إلا أن معدلات التقدم كانت أبطأ مما كان متوقعاً، وذلك بسبب المقاومة الضارية للقوات الألمانية ولكن، ونتيجة للتنفيذ الرائع للضربات على الاتجاهين المتلاقيين من جهة كلاتش، استطاعت قوات الجبهتين (الجنوبية ـ الغربية) و(ستالينغراد)، وبمساعدة فعالة من الجناح الأيمن لجبهة الدون، إحكام طوق الحصار حول التجمع الرئيسي للقوات الألمانية العاملة في منطقة ستالينغراد، وذلك يوم ٢٣ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٤٢. وكان هذا هو أول تطويق ضخم تعرضت له القوات الألمانية منذ بداية الحرب.

كان من المفروض، وفقاً للخطة الموضوعة، إقامة جبهة حصار خارجية لا تبعد كحد أدنى عن جبهة الحصار الداخلية بمسافة ١٥ ـ

٢٠ كيلومتراً، غير أن هذا الهدف لم يتحقق حتى مساء يوم ٢٣ ـ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ذلك لأن القوات السوڤييتية لم تغط من دائرة الحصار الخارجية أكثر من ٢٦٥ كيلومرتاً (من أصل ٤٥٠ كيلومتراً).

كان (فاسيليفسكي) قد أمضى نهاره مع قيادة قوات الجبهة الجنوبية ـ الغربية. وفي المساء (من يوم ٢٣ تشرين الثاني ـ نوفمبر) ـ ناقش الموقف مع قيادة الجبهة، ثم ناقشه هاتفياً مع قائدي جبهتي ستالينغراد والدون. واتصل بعدئذ بالقائد الأعلى ـ ستالين ـ فكان مما قاله له: «**سيتخذ الهتلريون ـ دون شك وبأسرع ما يمكن ـ إجراءات كافية في محاولة لإنقاذ قواتهم المحاصرة قرب ستالينغراد، ولذلك فإن أهم مهمة بالنسبة لنا هي العمل للتصفية السريعة للتجمع المعادي المحاصر، وتحرير قواتنا المشغولة بهذه العملية. وإلى أن يتم تنفيذ هذه المهمة الأساسية، فإنه يجب عزل التجمع المطوق والمحاصر لضمان حرمان القوات المعادية من الاقتراب. ولهذه الغاية فإنه من الضروري إحداث جبهة خارجية صلبة بسرعة، وتأمين قوات احتياطية كافية من القوات المتحركة وراءها، وإن قوات الجبهات الثلاث العاملة على جبهة الحصار الداخلية ستتابع منذ الصباح؛ وبدون أية إعادة للتجمع الكبير أو التحضير الإضافي، عملياتها الحازمة لتصفية العدو المحاصر**».

وافق القائد الاعلى ـ ستالين ـ على ما تضمنه تقرير (فاسيليفسكي) وأمره ببحث هذه المسألة مع قائد الجبهة الجنوبية ـ الغربية ومع قائد جبهة فارونيج على الطبيعة في مسرح العمليات،

وأن يقدم له بعد ذلك المقترحات المناسبة.

انصرف (فاسيليفسكي) فأعطى (في ليل ٢٤ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ) توجيهاته إلى قادة جبهات الجنوبية ـ الغربية والدون وستالينغراد، بشأن تصفية التجمع المحاصر في أقرب وقت. وباشرت القوات بتنفيذ واجباتها منذ صباح ٢٤ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ غير أن الهجوم لم يحقق النتائج المتوقعة. وظهر لفاسيليفسكي أن ثمة خطيئة فادحة وخطيرة قد ارتكبت، ذلك أن معلومات استطلاع الجبهات المشاركة في الهجوم، وكذلك هيئات استطلاع الأركان العامة، قد حددت قوة التجميع الألماني ـ الذي كان يقوده فون باولوس ـ في حدود ٨٥ ـ ٩٠ ألف مقاتل، في حين ظهر أنه كان يزيد على ٣٠٠ ألف مقاتل. وكذلك الأمر بالنسبة للوسائط القتالية ـ المدفعية والدبابات والأسلحة الأخرى ـ والتي قدرت بأقل مما هو متوافر بنسبة كبيرة. وقد أهمل أيضاً حساب تلك الإمدادات التي تلقتها وحدات الجيش الألماني السادس والجيش المدرع الألماني الرابع خلال عمليات الهجوم والدفاع.

وكان على (فاسيليفسكي) بعد ذلك التنقل بين الجبهتين (الجنوبية الغربية) و(فورونيج) بهدف تنسيق التعاون بين الجبهتين، لتوجيه ضربات متلاقية يتم بواسطتها تجزئة تجمع القوات الألمانية وتدميرها على التتابع، (وهي العملية التي أطلق عليها ستالين اسم ساتيرن في يوم ٢٤ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٤٢). وقد استمر فاسيليفسكي في عمله متنقلاً بين الجبهتين ـ رغم الصعوبات الكبرى التي اعترضت سير الرحلات الجوية ـ وقدمت الخطة إلى القيادة

العامة التي صادقت عليها دون تعديل يوم ٢ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٤٢ . وقد لاحظ فاسيليفسكي أنه لم يبذل اهتمام كاف لتنظيم الحصار من الجو ، ولم تقدر خطورة هذه العملية تقديراً صحيحاً حتى شهر كانون الأول ـ ديسمبر ـ فكان تنفيذ العملية يأخذ طابعاً تلقائياً متقطعاً . ولم يرتبط عمل الطيران مع نظام نيران المدفعية المضادة ، كما لم ينظم التعاون المشترك بينهما . وكانت القوات الألمانية تمتلك ـ في منطقة عمل الجيش السادس ـ خمسة مطارات صالحة تماماً ، تستقبل في وقت واحد عدداً كبيراً من الطائرات . ولقد تناقضت يوماً بعد يوم الكميات الاحتياطية من المواد الغذائية والذخيرة والوقود ، فكانت الطائرات هي التي تؤمن إمداد القوات المحاصرة بمتطلباتها . وبالاضافة إلى ذلك فقد تطلب إخلاء الأعداد الكبيرة من الجرحى والمرضى استخدام أكبر عدد من طائرات النقل ، حتى أن القيادة الألمانية استخدمت من أجل ذلك الطائرات القاذفة ، وقد أبرز ذلك أهمية إحكام الحصار الأرضي بحصار جوي .

وهكذا ، تم وضع ترتيب منتظم ـ اعتباراً من منتصف شهر كانون الأول ـ ديسمبر ـ لاستخدام الطيران بالتعاون مع المدفعية المضادة للطائرات في الصراع ضد طيران النقل الألماني . وحدّدت المسؤولية بشدة عن نظام تحطيم الطائرات الألمانية ، مع تحديد مهمات قوات النطاق الخارجي للحصار وقوات النطاق الداخلي ، فصار يجري تحطيم الطائرات عند اقترابها من النطاق وأثناء الشحن والإقلاع . وأمكن في النهاية تأمين استخدام المقاتلات والقاذفات السوفييتية ليلاً ونهاراً ، وكذلك عمل المدفعية بعيدة المدى لتدمير الطائرات الألمانية

وهي على المطارات والمهابط داخل طوق الحصار. وارتبط عمل مختلف القوى التي أشركت في الصراع ضد طيران النقل الألماني بنظام رصد وإنذار واتصال موحد، فأمكن بذلك الحدّ من عمليات الإمداد والإخلاء للقوات المحاصرة.

لقد فشلت المحاولات المتتالية التي قامت بها القوات السوفييتية لتجزئة التجمع الألماني الواقع داخل دائرة الحصار وتدميره، وذلك بسبب المقاومة الألمانية الضارية التي كانت تستند إلى تنظيمات هندسية قوية ومحصنة. وفي الوقت ذاته، قامت القيادة الألمانية بمحاولة لفك الحصار عن التجمع المطوق، ولاستعادة السيطرة على الموقف في ستالينغراد، فزجت بمجموعة (جيوش الدون ـ بقيادة الفيلد ماريشال مانشتاين وبقوة ٣٠ فرقة) ونظم مانشتاين قواته في اطار مجموعتين: مجموعة من ١٧ فرقة في مواجهة الجبهة الجنوبية ـ الغربية؛ ومجموعة من ١٣ فرقة مقابل الجيشين ٥ و٥١ من جبهة ستالينغراد. وشرعت قوات المجموعتين في هجومهما يوم ١٦ كانون الأول ـ ديسمبر ـ حتى بعد ٥ حتى ١٠ كم من القوات الواقعة داخل دائرة الحصار (الجيش السادس بقيادة فون باولوس).

وكان على (فاسيليفسكي) أن يفعل الكثير في هذه الفترة لتنسيق التعاون بين الجبهتين الجنوبية ـ الغربية وستالينغراد، وذلك لمعالجة المواقف الخطرة، ولمتابعة تنفيذ مخطط تجزئة القوات الألمانية داخل دائرة الحصار وتدميرها، ولاستقبال قوات الدعم وتنظيم زجها في القتال، ولتأمين تنسيق التعاون بين الجبهات والقوات؛ ولتحويل

مراكز ثقل الهجوم (محاور العمليات) تبعاً لتطورات الموقف. وأمكن بنتيجة هذه الاجراءات، وبنتيجة المعارك الضارية التي خاضتها القوات السوڤييتية، منع كل اتصال بين قوات مانشتاين التي حاولت اختراق دائرة الحصار، وبين قوات فون باولوس. وفي ٢٣ كانون الأول ـ ديسمبر ـ كانت قوات مانشتاين تبعد مسافة ٣٥ ـ ٤٠ كيلومتراً عن قوات فون باولوس. وحانت بذلك الفرصة لتطبيق مخطط تجزئة القوات الألمانية المحاصرة وتدميرها (مخطط ساتورن) وذلك بتنفيذ ضربات متلاقية ـ من الاتجاهات المتعاكسة ـ فانتقل جيش الحرس الثاني والجيش ٥١ للهجوم يوم ٢٤ كانون الأول ـ ديسمبر ـ وأمكن بعد خمسة أيام من الصراع المرير، تدمير القوات الالمانية في (كوتيلنيكوفو)، وتراجعت بقايا القوات الالمانية عبر سهول كالميتسك ومصب الدون (باتجاه الغرب والجنوب الغربي). وقام (فاسيليفسكي) في مساء ليلة رأس السنة، بنقل تهنئة القائد الأعلى ـ ستالين ـ إلى قوات المدرع السابع على العمل الرائع الذي انتهى بالانتصار على القوات الألمانية.

وكان على (فاسيليفسكي) في الأيام التالية، تنفيذ توجيه القائد الأعلى بتنسيق التعاون بين (جبهة فورونيج) وبين جبهتي (بريانسك ـ والجنوبية ـ الغربية)، لتنفيذ الأعمال القتالية التالية، التي وافقت القيادة على خطتها، والتي تم البدء بتنفيذها اعتباراً من يوم ١٠ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤٣.

وبعد ١٤ يوماً من الصراع القاسي، قام فون باولوس بإعلام القيادة الألمانية العليا عن الموقف بالكلمات التالية: «لا مفر من

الكارثة. أرجو من أجل إنقاذ الباقين من الناس على قيد الحياة، إعطاء الإذن بالاستسلام فوراً». ولكن هتلر رفض الموافقة على الاستسلام.

وفي يوم ٢ شباط - فبراير - دوت الانفجارات الأخيرة في معركة الفولغا، واستسلمت القوات الألمانية، وأقيمت على مرتفع (ماماييف) الأسطوري حيث دارت أعنف المعارك وأقساها، التماثيل الهائلة التي تعترف بمآثر أبطال ستالينغراد. وتلقت ستالينغراد تهنئة الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت والتي جاء فيها: «باسم شعب الولايات المتحدة الأمريكية، أسلم هذه الشهادة إلى ستالينغراد، لكي تكون دليلاً على إعجابنا بمدافعيها وحماتها البواسل، الذين ستبقى شجاعتهم وقوة عزيمتهم خلال فترة الحصار، ما بين ١٣ أيلول-سبتمبر- ١٩٤٢ و٣١كانون الثاني - يناير - ١٩٤٣ إلى الأبد مصدر إلهام لقلوب جميع الناس الأحرار. لقد أوقف انتصارهم المجيد موجة الغزو، وأصبح نقطة تحول في حرب الأمم المتحالفة ضد العدوان».

إن الحرب هي أقسى امتحان للقدرة
على قيادة القوّات.

فاسيليفسكي

الفصل الثاني

٨ ـ عام التحرير (١٩٤٣)
٩ ـ عام الانتصارات الحاسمة (١٩٤٤)
١٠ ـ الصفحة الأخيرة على جبهة الغرب
١١ ـ قيادة الحرب ضد اليابان
١٢ ـ فاسيليفسكي ـ القائد والإنسان

٨ ـ عام التحرير (١٩٤٣)

بدأت عجلة الحرب في الدوران ضد ألمانيا ولم يعد ثمة مجال لإرجاعها إلى الوراء أو إيقافها؛ وكان لا بد لها من السير على خط متسارع. فالانتصار الذي تحقق في ستالينغراد لم يكن إلا نصراً جزئياً ـ على ضخامته ـ من مجموع الانتصارات التي تحققت في إطار الهجوم الشامل، الذي قامت به القوات السوڤييتية، ما بين لينينغراد والقفقاس (القوقاز) وعلى امتداد (نهر الدون). ففي تلك الفترة من مطلع عام ١٩٤٣، كانت الأعمال القتالية السوڤييتية تسير عبر سلسلة من العمليات الهجومية التي أكملت كل واحدة منها الأخرى، من حيث التوقيت، وذلك بهدف تحرير الأراضي التي احتلتها القوات الألمانية خلال الفترة الأولى من الحرب. وكان من أبرز تلك العمليات:

١ ـ **في الجنوب**: عملية روستوف لتحرير روستوف على الدون (١ كانون الثاني ـ يناير ـ حتى ١٨ شباط ـ فبراير ـ ١٩٤٣)، ثم عملية تالتشيك ـ ستافروبول لتحرير ستافروبول (من ٣ كانون الثاني ـ يناير حتى ٤ شباط ـ فبراير)، ثم تصفية تجمع القوات الألمانية في ستالينغراد (من ١٠ كانون الثاني ـ يناير ـ حتى ٢ شباط ـ فبراير)، ثم عملية كراسنودار ـ نوفوروسيسك لتحرير منطقة كوبان بكاملها (١١ كانون الثاني ـ يناير ـ حتى ايار ـ مايو).

٢ ـ في الوسط ـ المركز ـ: عملية أوستروغوجسك ـ روسوش لدفع القوات من الغرب في منطقة روافد الدون نحو بوتودان ـ تيخاياسوشنا ـ تشورنايا (كاليتفا)، وقد نفذت (من ١٣ حتى غاية ٢٧ كانون الثاني ـ يناير)، ثم عملية فورونيج ـ كاستورنويه بهدف تحرير منطقة فورونيج (من ٢٤ كانون الثاني ـ يناير ـ حتى ١٧ شباط ـ فبراير)، ثم عملية خاركوف بهدف تحرير منطقة خاركوف (من ٢ حتى ٢٦ شباط ـ فبراير).

٣ ـ في الشمال: خرق حصار لينينغراد (من ١٢ حتى ٣٠ كانون الثاني ـ يناير)، وأمكن بذلك تحرير المنطقة حتى ديميانسك، (من ١٥ شباط ـ فبراير ـ حتى ١ آذار ـ مارس ـ). وبذلك ارتسمت الملامح الأولى للتحرير مع مطلع العام ١٩٤٣.

لقد عاش (فاسيليفسكي) هذه الأحداث جميعها ـ بصفته ممثلاً للقيادة العيا على جبهات القتال، وأدرك مدى التحول الذي طرأ على القوات المسلحة السوڤييتية وقياداتها في مجال التنظيم للحرب وإداراتها وخوض معاركها، وفي مجال تنظيم القوات وتسليحها. وكان مما أشعر (فاسيليفسكي) الجندي القديم في الجيش القيصري، اكتمال الفن العسكري لبلاده والعودة للأخذ بمبدأ القيادة الفردية للقوات بشكل كامل (منذ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ١٩٤٢)، ثم ارتداء أفراد القوات المسلحة (البرية والبحرية والجوية والأسطول) لشارات القوات النظامية (الكتافات) مع مطلع سنة ١٩٤٣. وذلك بناء على اقتراح القائد الأعلى ستالين. ويذكر ـ فاسيليفسكي ـ فيما

يذكر ـ ذلك اليوم، عندما توجه إليه ستالين بحديثه فقال له: **«هات أرنا ـ يا رفيق فاسيليفسكي ـ كيف كنتم تحملون الكتافيات في العهد القديم»**. فكان هذا الإجراء مكملاً لإجراءات ستالين الأخرى لربط حاضر الاتحاد السوڤييتي ومستقبله بماضيه (مثل إحداث أوسمة سوفوروف وكوتوزوف).

يمكن إدراك الدور الذي اضطلع به (فاسيليفسكي) في العمليات السابقة، من خلال اختيار إحدى عمليات (جبهة فورونيج)، وهي عملية (أوستروغوجسك) و(روسوش)، والتي كان هدفها تدمير تجمع القوات الألمانية في المنطقة المذكورة، مما يساعد جبهتي ستالينغراد والجنوبية ـ الغربية للهجوم على روستوف وشمال القفقاس، الأمر الذي يساعد أيضاً القوات السوڤييتية على الاقتراب من محافظة (فوروشيلوف ـ غراد) الغنية بمواردها من الفحم الحجري. وقد اشترك (فاسيليفسكي) مع قائد الجبهة (ف. إ. غوليكوف) في الإعداد للعملية وتحضيرها. وقد تضمنت الخطة تشكيل ثلاث مجموعات ضاربة اثنتان منها تقومان بتوجيه ضربة متلاقية من الشمال والجنوب، يتم التقاء طرفيها عند (اوستروغوجسك ـ روسوش). أما المجموعة الثالثة في الوسط أو المركز، فواجبها هو تقييد حرية عمل القوات الألمانية ومهاجمتها جبهياً، وإرغامها على زج قواتها الاحتياطية مما يسمح لمجموعتي التطويق بإحكام حصار القوات الألمانية. وقد بذل (فاسيليفسكي) جهداً كبيراً مع قائد الجبهة وقادة الجيوش خلال مرحلة التحضير، وعمل على تنسيق التعاون مع الجبهات المجاورة، وذلك عن طريق

ممثل القيادة العليا على هذه الجبهات (جوكوف). وكان على اتصال يومي بالقيادة العليا لإطلاعها على تطورات الموقف أولاً بأول. **وقد أرسل إلى القيادة العليا ـ وبالاتفاق مع جوكوف ـ برقية في الساعة ٢٠,٠٠ من يوم ١٩٤٣/١/٦**. تضمنت ما يلي:

«١ ـ لقد تم وضع كافة مسائل القرارات العملياتية ـ التكتيكية، المتعلقة بجيش ـ موسكالينكو، وهو الجيش الأربعين بالتعاون مع قائد الجيش شخصياً ومع قادة الفرق والألوية. ونحن الآن عند ريبالكو ـ قائد الجيش المدرع الثالث ـ وقد أجرينا مشاورات ووجهنا إرشادات إلى قادة التشكيلات. الوضع سيء في جيش ريبالكو ومجموعة الخيالة من حيث الإمداد بالذخائر والوقود. وكذلك بالنسبة للقوات المنقولة بالقطارات، والتي يجب عليها السير بعد نزولها لمدة ٤ حتى ٦ أيام سيراً على الأقدام مما قد يضر بكفاءتها. أما عن ريبالكو ذاته فيمكن القول: بأنه إنسان مطلع ويفهم الموقف بشكل لا بأس به.

٢ ـ ننظم التعاون الآن بين الجبهات والجيوش في مناطق الالتحام مع الرفاق خاريتونوف وريبالكو وفاتوتين وغوليكوف. وأما فيودورف فهو معنا وسيذهب بعد ساعتين إلى هيئة أركان الجبهة. وسنذهب اليوم مع فيليبوف إلى المجموعة الوسطى ـ المركزية».

جوكوف ـ فاسيليفسكي

ثم أرسل فاسيليفسكي إلى القائد الأعلى ـ ستالين ـ برقية يوم ١٩٤٣/١/٩ جاء فيها:

«عملت اليوم مع موسكالينكو، وتفقدت سير التحضير للهجوم في الفرق، ودرست موقف العدو على الطبيعة. يسير التحضير بشكل طبيعي، وستكون قوات الجيش جاهزة في الموعد المحدد. سيقوم موسكالينكو باستطلاع قتالي بالقوة في يوم ١١ كانون الثاني، حتى يتأكد نهائياً من صحة المعلومات المتوافرة له عن العدو؛ ويمكن أن يصبح هذا الاستطلاع في حال نجاحه هو البداية للهجوم الكبير على هذا القطاع. سنتوجه مع فيليبوف يوم ١٠ كانون الثاني ـ يناير ـ إلى زيكوف لتفقد ما يجرى لديه ولنساعده. يسير تحضير جيش ريبالكو المدرع الثالث بشكل طبيعي. لقد تحسن وصول القوات من احتياطي القيادة العامة إلى الجبهة تحسناً كبيراً في الأيام الأخيرة بواسطة الخطوط الحديدية. لم تصل قوات الفيلق المدرع الرابع وألوية الزلاجات وفرقة المدفعية المضادة للطائرات حتى الآن، وهناك صعوبات في نقل الذخائر والوقود. أتخذ التدابير المناسبة وأعتقد أننا سنتغلب على العقبات. سأبلغكم عن الجاهزية القتالية يوم ١١/١/١٩٤٣ ـ فاسيليفسكي».

قد تكون البرقيتان السابقتا الذكر كافيتين لإبراز دور (فاسيليفسكي) في مرحلة التحضير للهجوم والإعداد له. وكان دوره في مرحلة التنفيذ وإدارة الحرب أكبر من دوره في مرحلة التحضير. ولقد بدأ هذا الهجوم يوم ١٣ كانون الثاني ـ يناير ـ بانطلاق المجموعة الرئيسية ـ الشمالية ـ ثم تبعتها المجموعتان الوسطى والجنوبية في اليوم التالي (١٤ كانون الثاني ـ يناير). وسارت عمليات الهجوم بنجاح، ودارت معارك ضارية، إلا أن قوات جبهة فورونيج نجحت

في يوم ١٨ كانون الثاني ـ يناير ـ بتطويق تجمع القوات الألمانية وتشتيتها، وشكلت جبهة الحصار الداخلية التي حصرت ١٣ فرقة ألمانية وإيطالية ومجرية، ثم أكمل الحصار بنطاق حصار خارجي. وتبع ذلك توجيه ضربات متلاقية داخل دائرة الحصار انتهت بأسر ٥٢ ألف جندي وضابط، وغنمت القوات ١٧٠ دبابة و١٧٠٠ مدفع و٢٨٠٠ رشاش و٤ آلاف هاون و٦ آلاف بندقية آلية و١٥٠٠ حصان و٥٥ ألف بارودة و٦٠٠ ألف قذيفة وأكثر من ١٥٠ مستودعاً. غير أن الصراع مع القوات الألمانية استمر حتى يوم ٢٤ كانون الثاني ـ يناير ـ حيث تم الانتهاء من تصفية تجمع (أوستروغوجسك ـ روسوش) باضافة ٩ آلاف أسير إلى قافلة الأسرى السابقين. وبذلك أمكن خلال عشرة أيام من المعارك الضارية تدمير الدفاع الألماني على امتداد ٢٥٠ كيلومتراً من الجبهة. وتقدمت القوات السوفييتية بعمق ١٤٠ كيلومتراً، فبلغت المساحة الجغرافية التي تم تحريرها ٢٢,٥ ألف كيلومتر مربع.

بينما كانت موقعة (أوستروغوجسك ـ روسوش) تسير نحو نهايتها الظافرة، كان (فاسيليفسكي) قد وضع مع قائد جبهة فارونيج وجهاز قيادته الخطة للهجوم الجديد، والتي رفعها إلى القائد الأعلى مساء يوم ١٨ كانون الثاني ـ يناير ـ تحت اسم (خطة عملية فورونيج ـ كاستورنويه)، وهدفها توجيه ضربات متلاقية على الاتجاهين من الشمال والجنوب، لتطويق القوات الأساسية للجيش الألماني الثاني، وتحرير منطقة فورونيج ـ كاستورنويه. وصادق القائد الأعلى على الخطة، وبدأت القوات بتنفيذها يوم ٢٤ كانون الثاني ـ

يناير ـ وتم في اليوم الثاني تحرير مدينة (فورونيج)، وأمكن تطوير الهجوم، رغم سوء الأحوال الجوية والعواصف الثلجية، فتم احتلال مدينة (كاستورنويه) يوم ٢٨ كانون الثاني ـ يناير ـ .

ولقد توافرت المعلومات أثناء ذلك عن قيام القيادة الألمانية بنقل قوات ضخمة لدعم دفاعها عن (كورسك) و(خاركوف). **ولهذا تقرر الإسراع بدفع القوات لتطوير هجومها، فتم زج قوات جديدة. وأمكن احتلال مدينة كورسك (يوم ٨ شباط ـ فبراير)، ثم دخلت القوات مدينة خاركوف (يوم ١٦ شباط ـ فبراير) بعد معارك ضارية.** وأصدر القائد الأعلى أمره إلى (فاسيليفسكي) يوم ١٩ شباط ـ فبراير ـ بتنظيم الأعمال القتالية وتنسيق التعاون للجناح الأيسر للجبهة الغربية والجبهات الوسطى ـ المركزية ـ وبريانسك وفورونيج، لتدمير القوات الألمانية الأساسية لمجموعة جيوش الوسط. وكان (فاسيليفسكي) قد تلقى قبل ذلك بثلاثة أيام فقط، مرسوماً صدر عن هيئة مجلس السوفييت الأعلى، بمنحه اللقب العسكري (مارشال الاتحاد السوفييتي ـ يوم ١٦/٢/١٩٤٣)، وكان ذلك مباغتاً حتى لفاسيليفسكي ذاته، إذ لم يكن قد مضى على منحه رتبة (جنرال قائد جيش) أكثر من شهر واحد. ولا ريب أن ما اضطلع به فاسيليفسكي من دور كبير في تنظيم التعاون وإدارة الحرب، وما أمكن تحقيقه من نجاح بنتيجة ذلك، هو الذي دفع القيادة السوفييتية العليا لتقدير قائدها (فاسيليفسكي)، على نحو ما قدرت سواه من كبار القادة ومن ضباط الجيش الأحمر وجنوده، الذين حققوا انتصارات ضخمة، دفعت الرئيس الأمريكي ف. روزفلت

إلى إرسال البرقية التالية إلى ستالين:

«باسم شعب الولايات المتحدة الامريكية، أود أن أعرب للجيش الأحمر بمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين لتأسيسه، عن الإعجاب العميق بانتصاراته الرائعة التي لا مثيل لها في التاريخ. فخلال أشهر قليلة، وبالرغم من الخسائر الضخمة في الأعتدة ووسائط النقل والأراضي، فقد استطاع الجيش الأحمر تحقيق انتصاراته ضد أقوى عدو، وتمكن من إيقافه قرب لينينغراد وموسكو وفورونيج والقفقاس، ثم أنزل به الهزيمة الخالدة في معركة ستالينغراد، وانتقل إلى الهجوم العظيم الذي لا زال يسير بنجاح على امتداد الجبهة بكاملها، ما بين البلطيق والبحر الأسود».

هنا، وفي هذه المرحلة، أخطأت القيادة السوفييتية ـ وخاصة قائدي جبهتي فارونيج والجنوبية الغربية ـ في تقديرها لردود الفعل الألمانية. إذ سار اعتقاد بأن القوات الألمانية التي تنسحب وتعيد تنظيم قواتها، إنما تفعل ذلك باعتباره مقدمة لسحب جميع قواته من حوض الدون وما وراء الدنيبر، ولهذا انطلقت القوات بهجومها الكاسح من أجل تدمير القوات الألمانية تدميراً تاماً قبل قدوم فصل الربيع وأوحاله التي تعيق التحرك. ولكن القيادة الألمانية كانت قد عينت (فون مانشتاين) وحشدت فيلقها المدرع (س. س) في منطقة كراسنوغراد، وفيلقيها المدرعين ٤٠ و٤١ في كراسنو أرميسكويه لتوجيه ضربة متلاقية نحو بافلوغراد وبارفينكوفو، هدفها تدمير قوات الهجوم السوفييتية، وإعادة التوازن للموقف المتدهور على الجبهة الشرقية.

انطلقت الفيالق المدرعة بهجومها يوم ١٩ شباط ـ فبراير ـ وبدأ الموقف بالتدهور إلى درجة خطيرة، لا سيما بعد أن عملت القوات الألمانية على تنفيذ المرحلة الثانية من هجومها، اعتباراً من يوم ٤ آذار ـ مارس. وعملت القيادة السوڤييتية من جانبها على زج جيشين آليين ـ ميكانيكيين ـ وجيش مدرع لدعم القوات بشكل فوري على اتجاه (كورسك، بيلغورود ـ خاركوف). ولكن كافة المحاولات فشلت في إيقاف الاندفاع السريع للقوات الألمانية التي عادت فدخلت خاركوف يوم ١٥ آذار ـ مارس، ثم دخلت بيلغورود يوم ١٨ ـ آذار ـ مارس، ثم وصلت كورسك في اليوم ذاته.

لقد عملت القيادة السوڤييتية وقواتها بشكل رائع خلال هذه المرحلة، فكانت عمليات انسحاب القوات تجري بدقة وانتظام وبدون أي اضطراب، مع القيام باستمرار بهجمات مضادة حتى أمكن إيقاف تقدم القوات الألمانية، وانتقلت القوات السوڤييتية للدفاع، وهي محتفظة بزمام المبادأة. واستمرت المعارك العنيفة في منطقة كوبان فقط لكسب التفوق الجوي. أما في الوسط فقد تشكل قوس فريد في شكله حول كورسك، إذ إن رأس هذا القوس ـ أو انحناءته ـ كانت تتجه نحو القوات الألمانية، وكان يطل عليه من الشمال نتوء (أرلوف) الموجود في قبضة القوات الألمانية، وكان خط الجبهة في الجنوب يمتد تقريباً على خط عرض بيلغورود.

أفادت القوتان المتصارعتان السوڤييتية والألمانية من فترة التوقف الإجبارية لإعداد المخططات والقوات للعمليات الحاسمة.

فوضعت القيادة السوفييتية مخططها المعروف باسم (عملية كوتوزوف)، فيما وضعت القيادة الألمانية مخططها المعروف باسم (عملية القلعة). . وقد وقع هتلر مخطط العمليات يوم ١٥ نيسان ـ إبريل ـ ١٩٤٣ تحت رقم (أمر العمليات ٦) وجاء فيه: «لقد قررت حالما تسمح ظروف الطقس القيام بهجوم القلعة، وهو الهجوم الأول في هذا العام. ويجب أن يعطى لهذا الهجوم أهمية حاسمة، بحيث ينتهي بنجاح سريع وكامل. يجب على هذا الهجوم أن يضع في أيدينا زمام المبادأة خلال فصلي الربيع والصيف من العام الجاري. وعلى كل قائد وكل جندي أن يستوعب الأهمية الحاسمة لهذا الهجوم». وفي الوقت ذاته، أظهر القائد الأعلى (ستالين) وجهاز القيادة السوفييتية اهتماماً خاصاً وكبيراً في الإعداد لعملية كورسك التي حملت اسم (كوتوزوف).

اعتمدت القيادة الألمانية في تنفيذ مخططها القلعة على الحشد القوي لقواتها، حيث زجت خمسين فرقة مختارة من بين أفضل قواتها ـ منها ١٦ فرقة مدرعة وميكانيكية ـ وركزت قواتها في تجمعات ضاربة إلى الشمال من (كورسك) وجنوبها. وقد شكل التجمع المحدث على محور كورسك بالنسبة للتعداد العام للقوات الألمانية على الجبهة السوفييتية ـ الألمانية أكثر من ١٧ بالمائة من القوات البرية، وحوالي ٧٠ بالمائة من القوات المدرعة وحتى ٣٠ بالمائة من الفرق الميكانيكية ـ الآلية ـ فوصل عدد التجمعات الألمانية تقريباً، ٩٠٠ ألف شخص و١٠ آلاف مدفع وهاون و٢٧٠٠ دبابة. وانتشرت هذه القوى جميعها على قطاع من ٦٠٠ كم أي ما يعادل ١٤ بالمائة فقط من مجموع

الجبهة السوڤييتية الألمانية. وكانت تعمـل هنا أيضـاً أكثر من ألفي طائرة أو ٦٠ بالمائة من مجموع الطائرات الألمانية على جبهة الشرق. ومقابل ذلك، أجرت القيادة السوڤييتية وقواتها استعدادات ضخمة على قوس كورسك، شملت فيما شملته تنظيم دفاع قـوي وعميق مشكل من عدد من الخطوط على اتجاه كورسك بعمق ٢٥٠ ـ ٣٠٠ كيلومـتر. وحشدت في الجبهتـين المقابلتـين لكـورسـك (الجبهـة الوسطى وجبهة فورونيج) ما زاد على ١,٣ مليون مقاتل وحوالي ٢٠ ألف مدفع وهاون وأكثر من ٣٣٠٠ دبـابة و ٢٦٥٠ طـائرة. وإلى الخلف منها تمركزت جبهة السهوب المستعدة للهجوم أو الدفاع على السواء والتي كانت تضم حوالى ٥٨٠ ألف شخص وأكثر من ٩ آلاف مدفع وهاون و١٦٤٠ دبابة وقاعدة مدفعية ذاتية الحركة. وواضح أن ميزان القوى كان لمصلحة القوات السوڤييتية. ولقد جابهت القيادة السوڤييتية مشكلة استحوذت على قدر كبير من الجدل والنقاش وهي هل يجب انتظار القوات الألمانية حتى تبدأ هي هجومها بحيث يتم تدميرها أمام المواقع الـدفاعيـة قبل الانتقـال إلى الهجوم؟ أم يجب الإمساك بالمبادأة منذ البداية، والقيام بهجوم إجهاضي مسبق لتدمير القوات الألمانية وهي في مناطق حشدها؟ وأخيراً انتصر الرأي الأول القائل بانتظار القوات الألمانية حتى تبدأ هي بهجومها. ومرت فترة انتظار مرهقة، توافرت خلالها المعلومات عن اتخاذ القيادة الألمانية قراراً ببدء الهجوم في فجر يوم ٥ تموز ـ يوليو ـ وعندئذ قررت قيادة الجبهات السوڤييتية توجيه ضربة نارية معاكسة (بالطيران والمدفعية) في ليل ٥ تموز ـ يوليو (معاكس التمهيد). ولقد حققت هذه الضربة

النارية نتائج جيدة؛ إذ باغتت القوات الألمانية مباغتة تامة. وبالرغم من ذلك، فقد انطلقت القوات الألمانية للهجوم في الموعد المحدد لها من فجر يوم ٥ تموز ـ يوليو ـ وهو الهجوم الذي استمر أسبوعاً (حتى يوم ١٢ تموز ـ يوليو) وانتهى إلى الفشل، إذ إن المقاومة الضارية للقوات السوفييتية نجحت في إيقاف تقدم القوات الألمانية التي لم تخترق أكثر من ١٢ كم على الوجه الشمالي لقوس كورسك وحتى ٣٥ كم على الوجه الجنوبي منه؛ وقد قدر لماريشال الاتحاد السوفييتي أن يشهد ذلك الصراع الجبار بين أسطولين فولاذيين ـ على الوجه الجنوبي لقوس كورسك في يوم ١٢ تموز ـ يوليو. وبعث إلى القائد الأعلى بتقريره الذي جاء فيه:

«بناء على توجيهاتكم، أنا موجود منذ مساء يوم ١٩٤٣/٧/٩ مع قوات روتميستروف وجادوف، على اتجاهي بروخوروفكا والجنوبي. ويستمر العدو بشن هجمات مدرعة كثيفة وهجمات معاكسة ضد قواتنا المدرعة حتى هذا اليوم ١٩٤٣/٧/١٢.

ولقد أحدثت القوات الألمانية خرقاً يوم ٧/١١، هدد بشكل خطير مؤخرة قوات روتميستروف وفيلق جادوف مما تطلب زج لواءين ميكانيكيين من الفيلق الخامس مع القطعات المستقلة لدى روتميستروف في منطقة: شاخوفو؛ وافدييفكا؛ وألكساندروفسكايا. كما أن الخرق الذي حدث في جيش جادوف يوم ١٩٤٣/٧/١٢، قد أرغمنا على زج بقية قطعات الفيلق الميكانيكي الخامس في منطقة فيسيولي، وفاسيليفكا، وبيتروفكا. وقد أدى هذا وذاك إلى إضعاف قوى الضربة الأساسية لروتميستروف إلى درجة كبيرة من جبهة

بروخوروفكا في الاتجاه الجنوبي الغربي. ولقد استنتجت من خلال مراقبتي لسير المعارك الجارية، ومن اعترافات الأسرى، أن القيادة الألمانية لن تتخلى عن فكرة الاختراق إلى أوبويان ثم إلى كورسك بأي ثمن، وذلك على الرغم من الخسائر الضخمة التي نـزلت بقواتها البشرية وبوسائطها القتالية، خاصة في الدبابات والطيران. وقمت البارحة بمراقبة شخصية في القطاع الجنوبي الغربي من بروخوروفكا، حيث اشتبك فيلقانا المدرعان ١٨ و٢٩، ضد قوة زادت على مائتي دبابة ألمانية. وشاركت في المعركة مئات المدافع، وجميع ما نملك من مدافع ر. س. فغطت دبابات العدو المحترقة ودباباتنا أرض المعركة. وقد خسر فيلق روتميستروف التاسع والعشرين المدرع ٦٠ بالمائة من دباباته نهائياً، أو خرجت مؤقتاً من القتال بعد معارك اليومين الاخيرين، كما خسر الفيلق الثامن عشر حوالي ٣٠ بالمائة من دباباته. أما خسائر الفيلق الميكانيكي الخامس فهي خسائر زهيدة. ومن المتوقع بالنسبة لنهار الغد أن يستمر خطر خرق الدبابات الألمانية في الجنوب من منطقة شاخوفو ـ أفدييفكا ـ ألكسندروفكا. وسأتخذ خلال الليل كافة التدابير حتى أزج هنا الفيلق الميكانيكي الخامس بكامله، مع اللواء الميكانيكي ٣٢ وأربعة أفواج، وذلك نظراً لقوى العدو المدرعة الضخمة على اتجاه بروخوروفكا. وقد وضعت هنا مهمة محددة لقوات روتميستروف بالاشتراك مع فيلق المشاة ـ جادوف ـ وهي تدمير القوات الألمانية في منطقة ستوروجيفويه وسوفخوز ـ كومسوموليتس الواقع إلى الشمال منها، ثم الوصول إلى خط غريازنويه ـ ياسنايا ـ بوليانا. وتأمين اتجاه بروخوروفكا بقوة وصلابة.

ليس من المستبعـد أن تقع هنـا أيضاً في نهار الغـد معركـة تصادمية بالدبابات. فلا زالت القوات الألمانية العاملة ضد جبهـة فورونيج تمتلك أكثر من ١١ فرقة مدرعة، يتم دعمها بـالدبـابات بشكـل منتظم. وقـد كشف الأسرى الذين تم استجـوابهم اليوم النقاب عن امتلاك الفرقة المدرعة الألمانية ١٩ لأكثر من ٧٠ دبابـة سليمة، ولدى فرقة الرايخ ١٠٠ - مائة دبابة تقريباً - وقد تم تزويد هذه الأخيرة بالدبـابات مـرتين بعـد ١٩٤٣/٧/٥. لقد تـأخرت بارسال تقريري اليوم بسبب عودتي متأخراً من الجبهة».

الساعة ٢,٤٧ - يوم ١٩٤٣/٧/١٤ - مقر قيادة جيش الحرس المدرع الخامس - فاسيليفسكي.

بدأت المرحلة الثانية لملحمة كورسك (أو صراع القلعة ضد كـوتوزوف) يـوم ١٢ تموز - يـوليـو -، واستمـرت حتى ٢٣ آب - أغسطس -. وقد تم في الأسبوع الأول (أي حتى ١٨ تموز - يوليو) تدمير تجمع القوات الألمانية في أورلوف. ثم بدأت القوات السوڤييتية هجومها المضاد حتى تم تحريـر بيلغورود - خـاركوف من جـديد. وأنزلت القوات المسلحة السوڤييتية بنتيجة موقعة كـورسك هـزيمة ساحقة (فانتصر كوتوزوف على القلعة)، ودمرت للقوات الألمانيـة على أرض كورسك ٣٠ فرقة منها ٧ فرق مدرعة. وبلغت خسائر القوات الألمانية أكثر من نصف مليون مقاتل و١٥٠٠ دبابة و٣ آلاف مدفع وأكثر من ٣٥٠٠ طائرة مقاتلة، مما حمل المؤرخ الألماني الغربي على القول:

«كانت المعركة الضخمة على قوس كورسك بداية أزمة قاتلة بالنسبة للجيش الألماني».

لقد خسر الألمان معركة كورسك، إلا أنهم لم يخسروا الحرب، ولا زالت لديهم قوات مقاتلة ضخمة، وأصبح هدفهم التالي هو المحافظة على حوض الدون، وهذا ما أشار إليه الفيلد مارشال كيتل في تقرير له: «إن ترك حوض الدون وأوكرانيا الوسطى سيجر وراءه فقدان أهم المطارات، وخسائر كبيرة في الفحم والمواد الغذائية وموارد الطاقة والخامات». ولهذا جعل الألمان من حوض الدون منطقة دفاعية حصينة، وكان الحد الأمامي لخط الدفاع الرئيسي قد غطي بخطوط متتالية من حواجز الأسلاك الشائكة وحقول الألغام. كما نظم الألمان خطوطاً دفاعية لدعم حواجز الأنهار: كرنيكا؛ وموكري يلانتشيك، وكونكا، وبيردا، وكاليمؤس، وفولتشيا، وسامارا.

مقابل ذلك، كانت القيادة السوفييتية العليا قد وضعت خطة شاملة للهجوم على الجبهة من فيليكي حتى البحر الأسود. وقد شملت هذه الخطة:

١ ـ عملية سمولينسك ـ للاستيلاء على سمولينسك وروسلافل والبدء بتحرير بيلوروسيا، وقد نفذت في الفترة من ٧ آب ـ أغسطس ـ حتى ٢ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ.

٢ ـ عملية حوض الدون وهدفها تحرير حوض الدون، وقد نفذت من ١٣ آب ـ أغسطس ـ حتى ٢٢ أيلول ـ سبتمبر ـ.

٣ ـ عملية تحرير أوكرانيا ـ لاختراق التحصينات الدفاعية الألمانية والوصول حتى نهر الدنيبر، وقد نفذت في الفترة من ٢٥ ـ آب ـ أغسطس ـ حتى ٣٠ أيلول ـ سبتمبر ـ.

٤ ـ عملية تشيرينغوف ـ بريبياتسك لتحرير منطقة تشيرينغوف، وقد نفذت في الفترة من ٢٦ آب ـ أغسطس ـ حتى ١ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ.

٥ ـ عملية بريانسك، وهدفها التقدم من المرتفعات الروسية الوسطى إلى حوض ديسنا، وقد نفذت من ١ أيلول ـ سبتمبر ـ حتى ٣ تشرين الأول ـ أكتوبر.

٦ ـ عملية نوفوروسيسك ـ تامان، وهدفها تحرير القفقاس ـ القوقاز ـ وقد نفذت في الفترة من ١٠ أيلول ـ سبتمبر ـ حتى ٩ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ.

٧ ـ عملية ميليتوبول، وهدفها الوصول إلى برزخ القرم، وقد نفذت من ٢٦ أيلول ـ سبتمبر ـ حتى ٥ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ.

٨ ـ عملية إنزال كيرتش لاحتلال قاعدة في القرم الشرقي، وقد نفذت مع العملية السابقة.

لقد تم تنفيذ هذه العمليات بنجاح، ولكن بعد جهود جبارة مضنية، وبعد تضحيات كبيرة على كافة المستويات. وتم التحول الجذري مع اقتراب فصل الخريف لعام ١٩٤٣. وتقدمت موجة الحرب نحو الغرب، وخلفت القوات السوڤييتية وراءها المعارك من

أجل الحواجز المائية الكبرى ـ على الفولغا وعلى الدون ـ وعلى عشرات الأنهار التي اتخذ الألمان من كل واحد منها خطاً دفاعياً صلباً.

وها هي القوات الألمانية وقد وصلت إلى نهر الدنيبر، تبذل محاولة جديدة لتنظيم دفاع مستفيدة من قوة المانع المائي. ولذلك كانت مهمة القيادة السوفييتية وقواتها هي منع القوات الألمانية من تنظيم دفاعها على ضفاف نهر الدنيبر، وعدم إعطائها الفرصة لتحويل أراضي أوكرانيا إلى صحراء محترقة، والوصول بأسرع ما يمكن إلى المجرى الأوسط والأسفل لنهر الدنيبر، واحتلال قواعد (رؤوس جسور) على الضفة المقابلة. ولقد كان هذا الموضوع بدقة هو محور المناقشة بين القائد الأعلى ـ ستالين ـ وبين ماريشال الاتحاد السوفييتي ـ فاسيليفسكي ـ حيث أقر القائد الأعلى مقترحات فاسيليفسكي، وأمره بتنسيق التعاون مع قائدي الجبهة الجنوبية ـ الغربية، والجبهة الجنوبية. وقد حقق هذا التعاون ثماره فأمكن إحباط المقاومات الألمانية؛ وأمكن حتى نهاية شهر أيلول ـ سبتمبر ـ الوصول إلى الدنيبر ـ على امتداد جبهة ٧٠٠ كم تقريباً ـ وتم احتلال عدد من رؤوس الجسور على ضفته اليمنى، حيث أعقب ذلك وقوع معارك ضارية، في محاولة كل طرف للسيطرة على الموقف، والمحافظة على توازن الجبهة واستقرارها. ولكن القوات السوفييتية نجحت في خرق الدفاع الألماني (في معركة يوم ٣ تشرين الأول ـ اكتوبر ـ على نهر مولوتشنايا)ثم طورت الأعمال الهجومية التي انتهت بتدمير التجمعات الرئيسة للقوات الألمانية.

وعلى أثر هذه النجاحات، ونتيجة لتقدم الجبهات

السوفييتية، فقد تقرر تبديل أسماء الجبهات يوم ٢٠ تشرين الأول اكتوبر ـ ١٩٤٣، فأصبح اسم الجبهة الوسطى ـ المركزية ـ هو (بيلوروسيا) وأصبح اسم جبهة كالينين هو (البلطيق الأولى)، وأصبح اسم جبهة البلطيق هو (البلطيق الثانية) وأصبح اسم جبهة فورونيج هو (أوكرانيا الأولى)، وأصبح اسم جبهة السهوب هو (أوكرانيا الثانية)، وأصبح اسم الجبهة الجنوبية ـ الغربية هو (أوكرانيا الثالثة)، وأصبح اسم الجبهة الجنوبية هو (أوكرانيا الرابعة). وبقيت هذه التسميات هي المستخدمة حتى بعد تحرير كل الأراضي السوفييتية من القوات الألمانية.

٩ ـ عام الانتصارات الحاسمة (١٩٤٤)

انتهت حملة الخريف للقوات السوفييتية بالنجاح (في العام ١٩٤٣). حيث تم في نهاية شهر أيلول ـ سبتمبر ـ تحرير الضفة اليسرى من أوكرانيا بكاملها تقريباً. كما تم في الفترة من ١٦ ـ ٢٥ أيلول ـ سبتمبر إخراج القوات الألمانية من نوفوروسيسك وبريانسك وسمولنسك. ووصلت القوات السوفييتية في بداية شهر تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ إلى برزخ القرم حيث أقيمت قاعدة مقابل مدينة كيرتش. ولم تخمد المعارك على مشارف كيروفوغراد وكريفوي روغ حتى ٢٠ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ، كما حررت (غوميل) في نهاية تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ وفي النهاية، ابتدأت عملية (جيتومير ـ بيرديتشيف) التي مهدت لتحرير الضفة اليمنى من أوكرانيا وذلك قبل رأس السنة الجديدة بفترة قصيرة، وأمكن خلال خمسة أشهر من

الهجوم المتواصل تقريباً تدمير ١١٨ فرقة ألمانية. إلا أن الجيش الألماني لا زال يمتلك رغم ما نزل به من الهزائم، قوة دفاعية ضخمة، إذ توافرت المعلومات للقيادة السوفييتية بأن لدى ألمانيا على الجبهة السوفييتية ١٩٨ فرقة وستة ألوية وثلاثة أساطيل جوية، بالإضافة إلى ٣٨ فرقة و١٨ لواء لحلفاء ألمانيا. وقد بلغ تعداد هذه القوات ٤,٩ مليون مقاتل، وهي مسلحة بأكثر من ٥٤ ألف مدفع وهاون و٥٤٠٠ دبابة ومدفع اقتحام و٣ آلاف طائرة. ومقابل ذلك، كان لدى الاتحاد السوفييتي ـ مع مطلع ١٩٤٤ ـ جبهات ضمت ٦,١ مليون مقاتل و٨٩ ألف مدفع وهاون وأكثر من ألفي قاعدة مدفعية صاروخية و٤٩٠٠ دبابة ومدفع اقتحام و٨٥٠٠ طائرة مقاتلة.

كانت القيادة السوفييتية العليا، وهيئة أركانها، قد أعدت خلال حملة الخريف خطتها لعمليات السنة التالية (١٩٤٤)، والتي عرفت باسم (الضربات العشر)، كانت الست الأولى منها مرتبطة بفكرة استراتيجية واحدة، وبسلسلة من الأحداث الواقعية، وهدفها طرد الألمان نهائياً من أوكرانيا، أما السابعة فكانت تكملة لتلك العمليات. ثم جاءت العملية الثامنة لتشكل تتويجاً للعمليات كلها. وهذه العمليات هي:

١ ـ كورسون ـ أوكورزون ـ شيفتشينكو (من ٢٤ كانون الثاني ـ يناير ـ حتى ١٧ شباط ـ فبراير ـ ١٩٤٤).

٢ ـ روفين ـ لوتسك (من ٣٠ كانون الثاني ـ يناير حتى ١١ شباط ـ فبراير ـ).

٣ ـ نيقوبول ـ كريفوي روغ (من ٣٠ كانون الثاني ـ يناير حتى ٢٩ شباط ـ فبراير).

٤ ـ بروسكوروفو ـ تشيرنوفيتسك (من ٤ آذار ـ مارس حتى ١٧ نيسان ـ أبريل).

٥ ـ أومان ـ بوتوشان (من ٥ آذار ـ مارس حتى ١٧ نيسان ـ أبريل).

٦ ـ بيريزينغوفو ـ سنيغيريوف (من ٦ حتى ١٨ آذار ـ مارس).

٧ ـ عملية أوديسا (من ٢٦ آذار ـ مارس حتى ١٤ نيسان ـ أبريل).

٨ ـ عملية القرم (من ٨ نيسان ـ أبريل حتى ١٢ ـ أيار ـ مايو).

كانت العمليات السابقة قد انطلقت بالاستناد إلى عمليتين رئيستين. فقد انطلقت مجموعة ضاربة من جبهة أوكرانيا الأولى للهجوم يوم ٢٤ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٤٣، وتمكنت خلال الأيام الثلاثة الأولى من الاستيلاء على نقطة الاستناد القوية في رادوميشل، ثم طورت الهجوم، فتمكنت في بداية كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤٤ من تحرير نوفوغراد، وفولينسكي، وبيرديتشيف، وبيلايا تسيركوف. ثم جاءت العملية الثانية التي حملت اسم (جيتومير ـ بيرديتشيف)، والتي انتهت في ١٥ كانون الثاني ـ يناير ـ وأمكن بواسطتها الاندفاع غرباً بعمق ٨٠ حتى ٢٠٠ كم، غير أن

جناحها الأيسر بقي كالسابق عند الدنيبر في منطقة (رجيتسيف).

لقد كانت مخططات الأعمال القتالية متشابهة، بصورة عامة، وتتلخص بضرب طوق من الحصار على التجمعات الألمانية الكبرى بضربات متلاقية، وتمزيق هذه التجمعات بضربات متلاقية أو ضربات متباعدة داخل دائرة الحصار. وأظهرت القوات كفاءة عالية في تنفيذ واجباتها القتالية، غير أن صعوبات طارئة أعاقت، في كثير من الحالات، عمليات التنفيذ؛ وأولها (الوحل الربيعي).وقد ذكر (فاسيليفسكي) ما صادفه ـ على سبيل المثال ـ أثناء تنفيذ عملية (نيقوبول ـ كريفوي روغ) بقوله: «لقد منعتنا الأوحال الشديدة من الاستيلاء على جميع طرق انسحاب العدو، غير أن اسلحته الثقيلة وأعتدته الحربية وقعت في أيدينا. لقد رأيت كثيراً من الوحل في حياتي، غير أني لم أشاهد أبداً مثل ذلك الوحل وانعدام الطرق الذي صادفنا في فصل الشتاء من العام ١٩٤٤ ـ لا قبل ولا بعد ـ كنا نجر حتى الجرارات والقاطرات، واضطر رجال المدفعية إلى سحب المدافع بأنفسهم، وقام المواطنون بمساعدة المقاتلين على نقل القنابل والقذائف بأيديهم من موقع إلى موقع لمسافة عشرات الكيلومترات». وعاد (فاسيليفسكي) للحديث عن هذه الصعوبات فقال: «اشتدت العاصفة يوم ١٨ شباط ـ فبراير، وتوقفت حركة وسائط النقل الآلية تقريباً بسبب شدة الصقيع والغمر الثلجي، وأصبحت مناورة القوات صعبة جداً. كنا نحتاج للتنقل بين مقرات الجبهة إلى ساعة ونصف بالسيارة، قاطعين المسافة عبر السهوب المكشوفة بخط مستقيم. أما الآن فقد بتنا نحتاج ليوم كامل لقطع هذه المسافة ذاتها.

وأصبح من المحال بعد ذلك سبر الجليد الذي ظهر فجأة على الدنيبر؛ ولم يعد بالمستطاع معرفة ارتفاع مستوى الماء. واستغرق نقل فيلق إلى الجنوب من نيقوبول مدة ثلاثة أيام. وظهر أنه من المحال تأمين الإمداد للقوات على الضفة اليمنى، غير أن جبهة أوكرانيا الثالثة استمرت في تقدمها نحو الأمام بخطوات بطيئة؛ وذلك بالرغم من الصعوبات التي لا تصدق؛ ولم تتمكن، لا مقاومة الطبيعة ولا المقاومة اليائسة للألمان، من إيقاف المقاتلين».

لقد عمل (فاسيليفسكي) طوال فترة هجوم الشتاء ممثلاً للقيادة على جبهات أوكرانيا الأربع، حتى وصلت القوات السوڤييتية إلى الحدود الدولية للبلاد، ونقلت الحرب إلى رومانيا، وبذلك جاءت الفرصة المناسبة تماماً لتصفية تجمع القوات الألمانية في القرم، حيث كانت القيادة الألمانية قد احتفظت في هذه المنطقة بقوة من ٢٠٠ ألف مقاتل - ضابط وجندي - ومعهم ٣٦٠٠ مدفعاً وهاون و٢١٥ دبابة ومدفع اقتحام و١٤٨ طائرة. وكانت القيادة الألمانية تعلق أملاً كبيراً على تمسكها بالقرم. ولهذا فقد كان متوقعاً أن يأخذ الصراع هنا طابعاً عنيفاً للغاية.

ولقد اضطلع (فاسيليفسكي) بدوره في تنسيق التعاون بين القوى المكلفة بالهجوم على جبهة القرن - بأمر من القائد الأعلى - وكانت هذه القوى تضم بصورة أساسية (جبهة أوكرانيا الرابعة بقيادة الفريق ف. إ. تولبوخين. وجيش الحرس الثاني بقيادة غ. ف. زاخاروف. والجيش ٥١ بقيادة كرايزر). وبعد دراسة الموقف رفع (فاسيليفسكي) إلى القائد الأعلى تقريره عن التحضير

للعملية ـ يوم ٤ آذار ـ مارس ـ ١٩٤٤ والذي تضمن ما يلي :



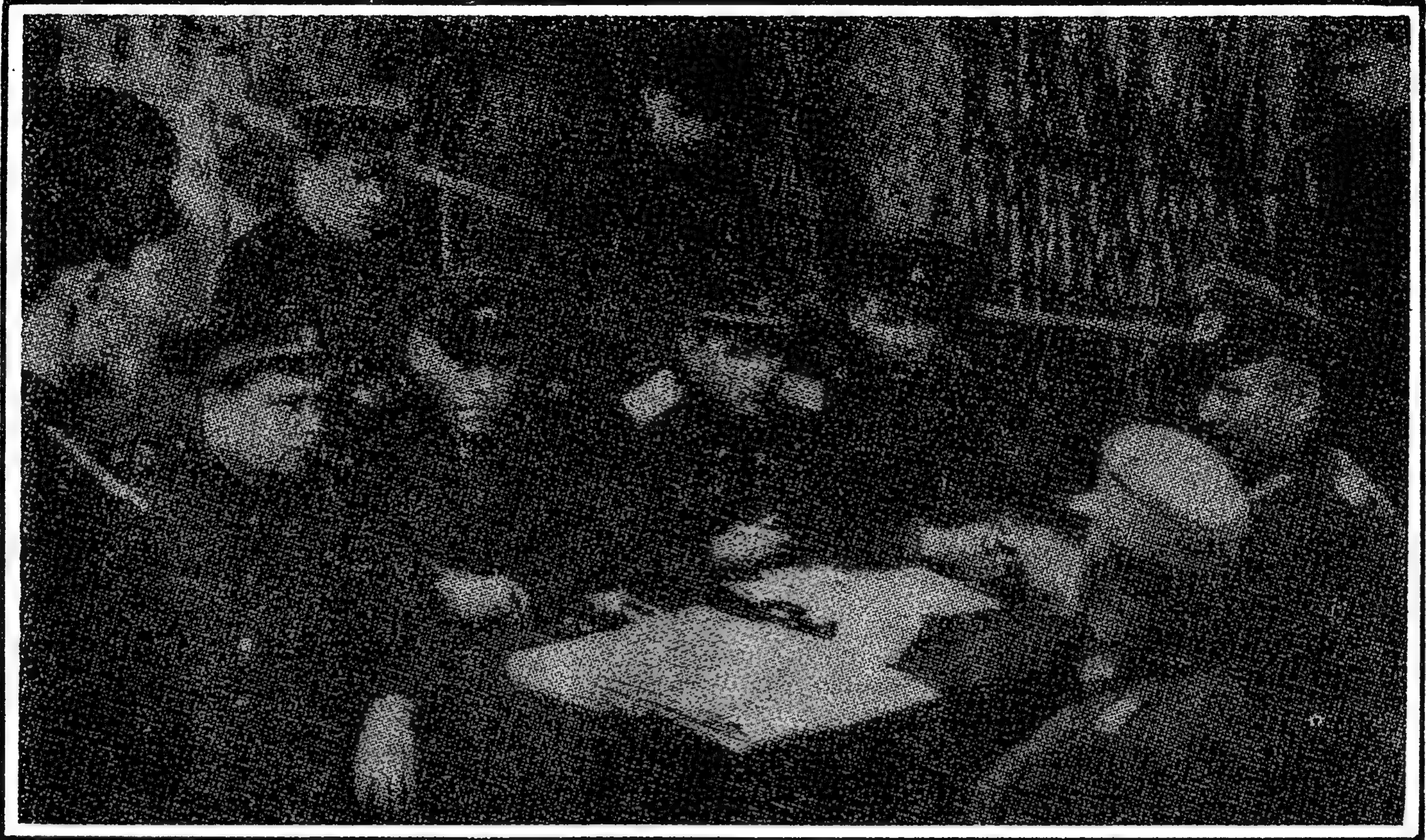
آ. م. فاسيليفسكي وف. إ. تولبوخين في مركز قيادة جيش الحرس الثاني في ضواحي سيفاستوبول. أيار ١٩٤٤

«كنت اليوم أنا وتولبوخين(*) عند كرايزر على ـ سيفاش ـ وقد استدعيت إلى هناك زاخاروف من ـ بيريكوب ـ وتابعت على الطبيعة استعداد القوات لعملية القرم. لقد عطلت الأمطار التي هطلت بالأمس واليوم الطرق عن العمل تعطيلاً نهائياً، وتقف كافة وسائط النقل على الطرق وهي غارقة في الوحل، وهم يعملون ـ إلى حد ما ـ بواسطة الجرارات فقط. اضطررنا إلى التخلي عن السيارات

(*) جاء في التقرير ذكر الأسماء الاصطلاحية؛ حيث كان اسم زاخاروف هو (أبوخوف). وفاسيليفسكي هو (الكساندروف) ومالينوفسكي هو (روديونوف) إلخ..

للوصول إلى منطقة عمل كرايزر ـ وطرنا على طائرة (يو ٢). لا يمكن البدء بالعملية إذا ما بقيت حالة الطرق كما هي عليه الآن، اذ لن تتمكن من أن نؤمن للقوات المتحركة المدافع والقذائف، حتى ولا المطابخ والمواد الغذائية. وبالإضافة إلى ذلك فقد عملت العواصف في نهاية شهر شباط ـ فبراير ـ على تدمير المعابر التي ستتأخر عملية إعادة بنائها بسبب الحاجة لنقل الخشب. ولذلك، وعلى أساس ما شاهدته شخصياً، وبالاستناد إلى تقارير المشتركين المباشرين في التحضير للعملية، فإنني أعتبر بأنه لن يكون بالمستطاع البدء بتنفيذ عملية القرم قبل ١٥ حتى ٢٠ آذار ـ مارس. ولن نتمكن قبل هذا التاريخ من إقامة معبرين كبيرين على نهر سيفاش، ونقل كل ما هو ضروري. أرجو الموافقة على المواعيد المقترحة. أعطيت كافة التوجيهات الضرورية للتحضير من أجل تنفيذ العملية، وسيعملون فوراً في كافة الجيوش على تدقيق جميع المسائل بناء على توجيهاتي. سأطير مجدداً اليوم ٤ آذار ـ مارس إلى مقر قيادة مالينوفسكي، حتى أتمكن من العودة إلى زاخاروف قبل بدء العملية بمدة خمسة أيام. فاسيليفسكي».

تلقى فاسيليفسكي أمراً هاتفياً من القائد الأعلى ستالين في يوم ٢٨ آذار ـ مارس، بالتوجه في الساعة ١٠,٠٠ من صباح اليوم التالي (٢٩ آذار ـ مارس) إلى محطة قطار (كريفوي روغ)، لمقابلة كليمنت ـ ي ـ فوروشيلوف، وتنسيق التعاون معه بين قوات جبهة أوكرانيا الرابعة، وبين جيش الساحل المستقل في المراحل الأولى من عملية القرم. ووصل فاسيليفسكي في الموعد المحدد، فاستقبله



أ.م. فارسيليفسكي وإ. د. تشيرنياخوفسكي يستجوبان الهتلريين الأسرى، أركان جبهة بيلوروسيا الثالثة، تموز ١٩٤٤.

كليمنت بغريموفتش في مقطورته، بما عرف عنه من حرارة اللقاء وكرم الضيافة. ثم أطلعه فوروشيلوف على تفاصيل ما جرى في مؤتمر طهران، الذي كان قد انتهى منذ أمد وجيز. وبعد مناقشة الأسس العامة للتعاون تقرر الانتقال إلى ميليتوبول للاجتماع في الساعة ١٠,٣٠ من اليوم التالي (٣٠ آذار - مارس) في مقر قيادة جبهة أوكرانيا الرابعة. وحضر هذا الاجتماع قائد الجبهة (تولبوخين) ورئيس هيئة أركانه وقائد الجيش الجوي الثامن العامل معه. وتركز تنسيق التعاون على أساس اختراق الدفاع الألماني في شمال (كيرتش)، وتدمير التجمع الألماني هناك على التتابع، وعدم السماح لقواته بالانسحاب إلى مواقع (آك - موناي) الحصنية، ومن ثم تطوير

الضربة اللاحقة على اتجاه (سيمفيروبول ـ سيفاستوبول). ورفع فاسيليفسكي تقريره إلى القائد الأعلى بما تم الاتفاق عليه، وبالاستعدادات الجارية لتنفيذ الهجوم.

حشدت القيادة السوفييتية لعمليات القرم قوات ضمت ٣٣٠ ألف مقاتل ومعها ٦٥٧٥ مدفعاً وهاوناً و٥٦٠ دبابة ومدفع اقتحام وألف طائرة.

اندفعت قوات جبهة أوكرانيا الرابعة للهجوم في عملية القرم يوم ٨ نيسان ـ أبريل. ولحق بها جيش الساحل يوم ١١ نيسان أبريل ـ ١٩٤٤، وذلك بعد أن قُرِىء على قوات الجبهة أمر المجلس العسكري بالانتقال إلى الهجوم والذي جاء فيه: «إننا نقاتل على أرض مضرجة بدماء آبائنا وإخواتنا في سنة ١٩٢٠، ولتتزود بطولتنا من الشهرة العالمية لمقاتلي فرونزه ومن شهرة السلاح الروسي».

سارت عمليات الاختراق والتطويق والتدمير للقوات الألمانية بنجاح. وجرت معارك ضارية أظهرت فيها القوات الألمانية كعادتها عناداً وبأساً شديدين. وقد رجع كليمنت. ي. فوروشيلوف إلى موسكو بناء على أمر القائد الأعلى في يوم ١٦ نيسان ـ أبريل، وبقي (فاسيليفسكي) المسؤول الوحيد عن عمليات القرم حتى نهايتها، وذلك بعد أن تم دمج جيش الساحل المستقل بقوات جبهة أوكرانيا الرابعة. وكان التعاون بين فاسيليفسكي، ممثل القيادة العليا، وبين قائد جبهة أوكرانيا الرابعة تولبوخين، مثمراً وناجحاً للغاية، فتم تذليل كافة العقبات بسهولة، لا سيما خلال الصراع العنيف أثناء

تنظيف الغابات الشمالية الشرقية من البحر الأسود، وخلال الصراع حول سيفاستوبول، حيث أخذت المعارك شكل اشتباكات عنيفة والتحامات ضارية بالسلاح الأبيض. وكان كل تقدم يحمل تجديداً لتلك المعارك التي قلما حدث شبيه لها في عنفها وضراوتها.

وأخيراً وبعد تمهيد مدفعي لمدة ساعة ونصف، رافقه دعم كثيف بنيران طيران الجبهة كله، انطلقت القوات جميعها في الساعة ١٠,٣٠ من صباح يوم ٧ أيار ـ مايو ـ باقتحامها العام لمنطقة سيفاستوبول الحصينة. ودارت أعنف المعارك ـ لا سيما عند جبل الرخام ـ واستمرت الاشتباكات الضارية في الليل والنهار. ووصلت البرقية التالية من القائد الأعلى ستالين في صباح يوم ١٠ أيار مايو ـ:

إلى ماريشال الاتحاد السوڤييتي فاسيليفسكي، إلى جنرال الجيش تولبوخين. لقد خرقت قوات جبهة أوكرانيا الرابعة بدعم الضربات المكثفة للطيران والمدفعية، وبنتيجة معارك هجومية استمرت ثلاثة أيام، دفاع الألمان الثابت والمحصن بقوة، والمؤلف من ثلاثة نطاقات من المنشآت الاسمنتية المسلحة. ومنذ عدة ساعات خلت استولت انقضاضاً على القلعة والقاعدة العسكرية البحرية الهامة على البحر الأسود ـ مدينة سيفاستوبول وبذلك تمت تصفية آخر معقل لمقاومة الألمان في القرم، وتنظيف القرم كلية من المحتلين الألمان النازيين».

لقد نجحت القوات السوڤييتية في تحريرالقرم بعد ٣٥ يوماً من

الصراع المستمر، بينما اضطرت القوات الألمانية والرومانية لحصار سيفاستوبول وخوض الصراع ضدها طوال ٢٥٠ يوماً. وقد حيت العاصمة ـ موسكو ـ خمس مرات مقاتلي الجيش والأسطول الذين حرروا القرم من المحتلين الألمان، وذلك يوم ١٠. أيار ـ مايو ـ ١٩٤٤.

كانت لدى (فاسيليفسكي) رغبة شدة لمشاهدة سيفاستوبول وزياراتها في اليوم الأول لتحريرها. وبينما كان يجتاز أحد خنادق الألمان في منطقة جبال ميكينزييف، مرت سيارته فوق لغم. ومن عجب أن يتفجر هذا اللغم بعد يومين كانت قد مرت خلالهما على هذا الطريق مئات المركبات والسيارات. وأدى الانفجار إلى انفصال المحرك والعجلتين الأماميتين عن الهيكل، وانقذف (فاسيليفسكي) بضعة أمتار بعيداً عن السيارة، وأصيب برض قوي في رأسه، وبجراح في وجهه من شظايا زجاج السيارة المتكسر. أما سائقه فأصيب في ساقه اليسرى، بينما لم يصب مرافقاه وأحد القادة الذين كانوا معه بأي أذى. وقد نقل (فاسيليفسكي) إلى المؤخرة حيث أجريت له الإسعافات الأولية، ونقل بعدها إلى موسكو، حيث احتفظ به الأطباء في سريره لبعض الوقت.

هكذا، ومع بداية فصل الصيف لعام ١٩٤٤، كانت القوات السوفييتية قد انتهت من اجلاء القوات الألمانية عن منطقتي لينينغراد وكالينين وجزء من بيلوروسيا، وأوكرانيا جميعها تقريباً مع القرم وجزء من مولدافيا. وانتقلت الأعمال القتالية في القطاع الجنوبي من الجبهة إلى خارج حدود الإتحاد السوفييتي، وأصبحت تجري في الأراضي

الرومانية. وأثناء ذلك تطورت القوات المسلحة السوڤييتية تـطوراً كبيراً في تنظيمها وتسلحها. وأصبح لدى القيادة العليا من القوات الاحتياطية جيشان آليان ـ ميكـانيكيان ـ كـاملان، وجيش مـدرع وجيش جـوي بالإضـافـة إلى إكـمال تشكيـلات المشـاة والخيـالـة والمدرعات والمدفعية والجوية، وبات بالمستطاع المضي لتنفيذ المخطط الذي سبق وضعه خلال فترة الشتاء من العام ١٩٤٤، بهدف تحرير بيلوروسيا. وقد قدمت هيئة الأركان العامة إلى القيادة العليا كافة الحسابات الدقيقة لما يحتاجه تنفيذ هذا المخطط من القوات العسكرية والأعتدة الحربية الاحتياطية والتسلح والذخائر والوقود والتجهيزات والمواد الغذائية وغيرها من الموارد المادية.

كانت القيادة الألمانية تتوقع أن تقوم القوات السوفييتية خلال حملة الصيف لعام ١٩٤٤ بتوجيه ضربتها الرئيسة في الجنوب، بينما ستقتصر الأعمال القتالية في بيلوروسيا على عمليات محـدودة تحمل طابع الإعاقة والإشغال، وإن القوات السوڤييتية لن تكون قادرة على شن هجوم واسع عـلى امتداد الجبهـة كلها. وقـد أفادت القيـادة السوڤييتية من هذا الاعتقاد الخاطىء للقيادة الألمانية، وعملت على دعمه وتعزيزه، فأبقت في الجنوب معظم جيوشها المدرعة، وقامت بعرضها بشكل استعراضي؛ بينما كانت تتابع تنظيم الأعمال الدفاعية في القطاع الأوسط من الجبهة بشكل محموم، وفي وضح النهار. أما في الجنوب، فكانت تتم الاستعدادات ليلاً وبشكل سري للغاية. **وقد أنجزت هيئة الأركان العامة خطتها للعملية في ٢٠ أيـار ـ مايـو ـ ورفعتها إلى القائد الأعلى ـ ستالين ـ الذي وافق عليها يـوم ٣٠**



فيما بين معركتين. مقاتلو جبهة بيلوروسيا الثالثة في ضواحي مينسك

أيار - مايو - وأطلق عليها الاسم الاصطلاحي (باغراتيون)(*) بطل معركة (بورودينو)(**) ولقد تميزت خطة (باغراتيون) بمجموعة من الخصائص التي لم تتوافر بسواها. ومن أبرزها وضوح الهدف الاستراتيجي العسكري، وثانيها الجرأة، وثالثها البساطة.

(*) باغراتيون: (PYOTR BAGRATION) بطل من أبطال روسيا القيصرية. برز اسمه في معركة موسكوفا وقتل فيها (١٧٦٥ - ١٨١٢).

(**) بورودينو: (BORODINO) مدينة تقع بين موسكو وسمولنسك اشتهرت في المعركة التي وقعت فيها بين الجيش الكبير الذي قاده نابوليون بونابرت وبين الجيش الروسي يوم ٧- أيلول - سبتمبر- ١٨١٢. وهي المعركة التي عرفت باسم معركة (موسكوفا). وقد تولى الجنرال الشهير كوتوزوف القيادة بعد مقتل باغراتيون.

ففي مجال وضوح الهدف الاستراتيجي ـ العسكري، لوحظ عند وضع الخطة أن تكون شاملة لمتطلبات مجرى الحرب بعد إنجاز الأعمال القتالية التي تضمنتها الخطة، وكذلك عدد العمليات الكبير الذي سيتم تنفيذه في آن واحد، وبشكل متتال، بحيث كانت هذه العمليات تظهر وكأنها منفصلة بعضها عن بعض، بينما كانت ترتبط في الواقع بعضها ببعض برباط وثيق لبلوغ الأهداف السياسية ـ الاستراتيجية ـ العسكرية.

أما من حيث (جرأة الخطة) فقد برزت من خلال تحديد أهداف العمليات دون خوف من ردود الفعل المحتملة للقيادة الألمانية وقواتها.

وأما من حيث (البساطة) فقد برزت من خلال استثمار شكل الجبهة السوفييتية ـ الألمانية الملائم بالنسبة للقوات السوفييتية على مسرح بيلوروسيا للعمليات القتالية. فقد كان شكل الجبهة في (بيلوروسيا) في ذلك الوقت عبارة عن نتوء ضخم باتجاه الشرق بمساحة ٢٥٠ ألف كيلومتر مربع، وقوس كبير يحيط بمدينة (مينسك)، وجهه الشمالي باتجاه (فيلكي ـ لوكي)، أما الشرقي فكان يطل من الجهة الألمانية على منطقتي سمولنسك وغوميل، والجنوبي يمتد بمحاذاة نهر بريبيات. وكان هذا النتوء المشرف على الجناح الأيمن لجبهة أوكرانيا الأولى، يهدد من الشمال مواصلات هذه الجبهة، ويسهل الدفاع عن المحاور المؤدية إلى بولونيا وبروسيا الشرقية. ونظراً لأهمية مسرح (بيلوروسيا) بالنسبة لألمانيا، فقد حشدت فيه القيادة الألمانية ٣٨ فرقة في النسق الأول والثاني مع الاحتفاظ بقوة ١٤

فرقة احتياطية بالإضافة إلى عدد من التشكيلات الأخرى التي ضمت بمجموعها ٨٠٠ ألف جندي وضابط ومعهم ٩٥٠٠ مدفع و٩٠٠ دبابة ومدفع اقتحام و١٣٠٠ طائرة مقاتلة. ومقابل ذلك حشدت القيادة السوڤييتية في جبهتها ١,٣ مليون مقاتل و٦٤٤٥ مدفعاً (من عيار ٧٦ مم فأكثر) و٦٨٩ قاعدة مدفعية صاروخية و١٨١٠ دبابة و١٨٦٤ طائرة مقاتلة.

لقد اشترك (فاسيليفسكي) في التخطيط لعملية (باغراتيون) خلال مراحلها المختلفة، حتى إذا ما اقترب موعد تنفيذها، غادر موسكو وقد حمل معه آخر توجيهات القائد الأعلى ـ ستالين ـ وتعليماته، ووصل في الساعة ١٦,٠٠من مساء يوم ٤ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٤ إلى هيئة أركان جبهة بيلوروسيا الثالثة(*) الواقعة في غابة من منطقة سمولنسك ـ قرب بلدة كراسنويه ـ حيث جهز هناك مقر لقيادة فاسيليفسكي توافرت له وسائط الاتصال الضرورية ـ سلكياً ولاسلكياً ـ بصورة دائمة ومضمونة مع القيادة العامة ومع هيئة الأركان العامة وكافة قادة الجبهات والجيوش. وتابع فاسيليفسكي الاستعدادات في الجبهة والجيوش والفيالق والفرق، وأجرى التعديلات الضرورية، مع الاتصال يومياً بالقائد الأعلى لتقديم

(*) تجدر الإشارة إلى أنه جرى يوم ٢٤ نيسان ـ أبريل ـ ١٩٤٤ تغيير في تسمية الجبهات وتنظيمها ـ وذلك في إطار الإجراءات التنظيمية الضخمة والهادفة لتحسين قيادة القوات وإعدادها للمراحل اللاحقة. فأصبحت الجبهة الغربية تحمل اسم (جبهة بيلوروسيا الثالثة) وحملت اسم (جبهة بيلوروسيا الثانية) مجموعة الجيوش التي كانت تعمل على اتجاه موغيليوف.

تقريره عن تطورات التحضيرات للمعركة المرتقبة.

وكان من المقرر البدء بالعمليات يوم ١٤ حزيران - يونيو - بحيث تتوافق عمليات الهجوم مع عمليات الهجوم على جبهة الغرب (بعد إنزال الحلفاء في النورماندي يوم ٦ حزيران - يونيو -). ثم أجل ستالين هذا الموعد حتى يوم ٢٣ حزيران - يونيو - ثم تقرر تأخيره يوماً آخر (حتى يوم ٢٤ حزيران - يونيو -) وذلك حتى تنهي قوات الجبهات استعداداتها.

حضر فاسيليفسكي إلى موسكو، بناء على أمر القائد الأعلى ستالين، لمناقشة الاستعدادات للعملية، ودراسة العمليات التالية. وأمضى أيام ١٧ و١٨ و١٩ حزيران - يونيو - في هيئة الأركان العامة، حيث تابع عمله لتأمين متطلبات الجبهتين التابعتين له مباشرة: (جبهة البلطيق الأولى بقيادة تشيرنياخوفسكي، وجبهة بيلوروسيا الثالثة بقيادة باغرامیان). ثم عاد إلى مقر قيادة جبهة البلطيق الأولى يوم ٢٠ حزيران - يونيو - ثم انتقل في اليوم التالي لتفقد بقية القوات، ورفع تقريره إلى القائد الأعلى:

«وصلت استعدادات القوات في جبهتي البلطيق الأولى وبيلوروسيا الثالثة، حتى مرحلتها النهائية. وستخرج القوات خلال ليل ٢٣ حزيران - يونيو - إلى قواعد انطلاق الهجوم. وسنقوم طوال اليوم بإجراء استطلاع بالقوة على كافة القطاعات، وسنكرر الاستطلاع ليلاً، وسنبدأ الهجوم في الموعد المحدد بدقة. ولم يبق غامضاً سوى موضوع فرقة القاذفات (تو ٢) التي لن تصل إلى الجبهة

حتى يوم ٢٣ حزيران ـ يونيو ـ وكنت قد خططت لاستخدامها في الأيام الأولى من العملية لمساعدة قوات باغراميان التي لا تملك ولا قاذفة واحدة».

وأقبل اليوم الذي طال انتظاره، لكن مخطط عمليات (باغراتيون) لم ينفذ على جبهتي البلطيق الأولى وبيلوروسيا الثالثة، كما كان يريده فاسيليفسكي ويتمناه. إذ إن الأحوال الجوية السيئة جابهت مخطط العمليات خلال المرحلة الأولى من تنفيذه، فقد غطت الغيوم الكثيفة وجه السماء، مما أعاق عمل الطيران بعيد المدى إلى حد كبير. ولكن المدفعية التي عملت بشكل رائع استطاعت تقديم الدعم المطلوب للمشاة، وأمكن التغلب على المقاومة الضارية للقوات الألمانية والتقدم بثبات وبحزم، حتى إذا ما كان يوم ٢٦ حزيران ـ يونيو ـ استطاعت قوات ذراعي الضربة المتلاقية من الشمال والجنوب أن تحكم الحصار حول (فيتيبسك)، حيث دارت أعنف المعارك التي انتهت بتدمير قوى المقاومة الألمانية. ورددت محطات إذاعة الجبهة كافة تهنئة العاصمة ـ موسكو ـ للقوات التي حررت فيتيبسك، وانبأت عن التحية الرسمية بعشرين طلقة من ٢٢٤ مدفعاً. وفي اليوم ذاته كان الطوق قد أحكم حول (بوبرويسك) وجرى تحريرها. وفي اليوم التالي (٢٧ حزيران ـ يونيو) أنهت القوات تحرير (أُورشا) من القوات الألمانية، وتبعتها مدينة (ليبيل) في اليوم التالي. والتقت قوات جبهتي بيلوروسيا الثالثة والأولى بضربة متلاقية ـ في مينسك يوم ٣ تموز ـ يوليو ـ ولكن الصراع استمر حتى ١٢ تموز ـ يوليو ـ حيث تم أسر ٣٨ ألف جندي وضابط ألماني

(ومعهم ١١ قائداً برتبة جنرال من قادة الفيالق والفرق)، وقام الأنصار بعرض الانتصار في مدينة مينسك يوم ١٦ تموز ـ يوليو ـ. وبذلك استطاع مخطط باغراتيون أن يحقق هدفه بتحرير عاصمة بيلوروسيا (مينسك) وبتحرير (بولوتسك).

بينما كان فاسيليفسكي يتابع تنسيق التعاون وإدارة الحرب تلقى أمراً باستقبال رئيس البعثة العسكرية البريطانية في موسكو ـ الجنرال بيروز ـ الذي وصل إلى الجبهة يوم ٦ تموز ـ يوليو ـ ثم تبعه بعد بضعة أيام رئيس البعثة العسكرية الأمريكية الجنرال دين. وكان الهدف من الزيارتين هو الاطلاع على الموقف على جبهة بيلوروسيا، وتقديم المعلومات عن تطورات الحرب على جبهة النورماندي، وتنسيق التعاون بين القيادات العسكرية للحلفاء. وقد استقبل فاسيليفسكي ضيفيه في محطة قطار كراسنايا، ورافقهما إلى مقر قيادة جبهة بيلوروسيا الثالثة (الفريق تشيرنياخوفسكي)، ثم قاما بزيارة قطاعات الجبهة، وزارا معسكرات الأسرى الألمان.

عندما كانت عملية (باغراتيون) في المرحلة النهائية من تنفيذها، باشرت جبهات الاتجاه الاستراتيجي المركزي ـ الأوسط ـ بتطهير أراضي الجمهوريات الاتحادية (لاتفيا وليتوانيا). وأصدرت القيادة العليا أوامرها إلى الجبهات بتطوير الخرق الذي حدث في الجبهة الألمانية وإنزال ضربات باتجاهات متباعدة. فتلقت جبهتا بيلوروسيا الثانية والثالثة اللتان كانتا تقاتلان في الوسط أمراً بالهجوم نحو الغرب. أما جبهات الأجنحة فقد انتشرت على شكل مروحة استراتيجية، حيث قامت جبهة البلطيق الأولى بالهجوم على الاتجاه

عملية البلطيق الهجومية ١٤ أيلول - ٢٢ تشرين الأول

الشمالي الغربي، ثم انحرفت نحو الشمال، فيما وجهت جبهة بيلوروسيا الأولى هجومها نحو الجنوب الغربي.

وهكذا ومع منتصف شهر تموز - يوليو - ١٩٤٤، امتدت جبهة الصراع من بحر البلطيق حتى جبال الكاربات. وكان الانتصار الكبير في بيلوروسيا هو الذي رسم الملامح الكاملة لانتصار الحملة الصيفية كلها، لا سيما وأن الهجوم في فنلندا والذي افتتحت به هذه الحملة، كان يقترب من نهايته الظافرة.

لقد أصبحت جبهات البلطيق هي المسرح الرئيسي للعمليات بعد الانتهاء من (عمليات باغراتيون) فمنحت لفاسيليفسكي الصلاحيات والسلطات لتنسيق التعاون بين جبهتي البلطيق الأولى (الفريق إ. خ. باغراميان) والبلطيق الثانية (الفريق تشيرنياخوفسكي)(*). وقد شرع فاسيليفسكي على الفور بزيارات قيادة جبهتي البلطيق الأولى والثانية، وعمل على دراسة الموقف مع القائدين ومع هيئتي أركانهما، وأخذ في معالجة المتطلبات والتعديلات الضرورية لتطوير الأعمال القتالية على جبهة البلطيق.

(*) كان ماريشال الاتحاد السوفييتي. جوكوف - في هذه الفترة قد أصبح هو المسؤول عن تنسيق التعاون بين جبهات بيلوروسيا الأولى وبيلوروسيا الثانية وجبهة أوكرانيا الأولى.

١٠ ـ الصفحة الأخيرة على جبهة الغرب

اتصل (فاسيليفسكي) بالقائد الأعلى ـ ستالين ـ يوم ١٢ تموز ـ يوليو ـ ١٩٤٤، وأطلعه على تطورات الموقف على جبهة بيلوروسيا، ثم أعلمه بنتيجة دراسة الأعمال القتالية المقبلة، وتقدم إليه بعد ذلك باقتراحاته: «إعفاء جبهة البلطيق الأولى من القيام بالضربة الرئيسة بجناحها الأيسر على اتجاه كاوناس، والموافقة على تركيز الجهد على الجناح الأيمن مقابل (دفينسك) بقوة الجيشين ٥١ والحرس الثاني، مما يساعد على تطوير هذه الضربة لاحقاً باتجاه ريغا. وإن هذا التعديل بنقل ثقل الجهد الرئيسي سيساعد على الإسراع بخرق الدفاع الألماني في هذه القطاع، والوصول إلى شواطىء بحر البلطيق. كما أن قطع المواصلات من البلطيق إلى بروسيا الشرقية، وعزل مجموعة جيوش الشمال عن ألمانيا، سيضعف من مقاومة الجيشين الألمانيين العاملين في البلطيق، وهما الجيش ١٦ والجيش ١٨، الأمر الذي سيساعد جبهتي البلطيق الثانية والثالثة على الهجوم من محافظة (بسكوف) باتجاه خليج (ريغا) ـ».

استمع ستالين إلى مقترحات فاسيليفسكي، ووافق عليها. وسأل عن الموعد المتوقع لإنهاء التحضيرات والبدء بالتنفيذ، فأعلمه فاسيليفسكي بأن يوم ٢٠ تموز ـ يوليو ـ سيكون موعداً مناسباً للبدء بالهجوم.

انصرف فاسيليفسكي لتنظيم عملية نقل الجيوش، بالتعاون مع قادة الجبهات، وحدد للجبهات واجباتها، وخطوط الفصل فيما

بينها، وتنسيق التعاون بين الجبهات والجيوش والجبهات المجاورة، مع متابعة تطورات الأعمال القتالية للجبهات. غير أن الموقف على الجبهة أرغم (فاسيليفسكي) على تركيز اهتمامه الأساسي على جبهة بيلوروسيا الثالثة التي كانت تنفذ أنذاك عملية فيلنوس. فقد كانت عاصمة ليتوانيا السوفييتية (فيلنوس) تشكل عقدة محصنة ضخمة للألمان على مشارف بروسيا الشرقية. وكان الجيش المدرع الألماني الثالث، والذي تمزق في ضواحي (فيتبسك)، قد انسحب إلى هنا نحو الخط الحديدي فيلنوس ـ ليدا، وأعاد إكمال قواته بقوات نقلت من القطاعات الأخرى للجبهة، فما كان من الجيش الخامس من جبهة بيلوروسيا الثالثة إلا أن قام يوم ٧ تموز ـ يوليو ـ بحركة التفاف من شمال فيلنوس، ووصل عبر شيفالا حتى نهر فيليا، وتجاوز الخط الحديدي إلى كاوناس قرب بلدة (فيغيس) وتابع اندفاعه وهو يصد الهجمات المدرعة المعاكسة الألمانية. وقام جيش الحرس المدرع الخامس بتثبيت تجمع القوات الألمانية في فيلنوس وفصله عن الجبهة. وأثناء ذلك قام جيش الحرس الحادي عشر بحركة التفاف إلى الجنوب من فيلنوس، واخترق إلى لينتفاريس وتراكاي، واتصل بالجيش الخامس قرب فيليا. وبذلك تم تطويق تجمع القوات الألمانية الذي ضم ١٥ ألف مقاتل. واندفعت القوات السوفييتية دون توقف نحو كاوناس وسوفالكي، وباءت بالفشل كافة محاولات القوات الألمانية لفك طوق الحصار عن القوات المطوقة، وخلال ذلك، قام الجيش ٣١ باحتلال مدينة ليدا.

استقبلت مدينة (فيلنوس) القديمة القوات السوفييتية يوم ١٣

تموز ـ يوليو ـ وتوغلت التشكيلات المتقدمة في عمق (٩٠) تسعين كيلومتراً إلى الغرب منها، مقتربة من نهر نيهان. وظلت قوات جبهة بيلوروسيا الثالثة تقاتل حتى نهاية شهر تموز ـ يوليو ـ من أجل اقامة رؤوس جسور على الضفة الغربية لنهر نيهان. ولقد تميزت الأيام العشرة الأخيرة من شهر تموز ـ يوليو ـ بنجاحات كبيرة للقوات السوفييتية، حيث دمرت قوات جبهة أوكرانيا تجمع القوات الألمانية قرب برودي، وحررت لفوف وبيريه ميشل وستانيسلاف وعبرت نهر فيسلا واستولت على قاعدة ساندومير، فيما عبرت جيوش جبهة بيلوروسيا الأولى نهر بوغ الغربي وحررت بريست وخيلم ولوبلين، ثم وصلت إلى (وارسو) وعبرت نهر فيسلا واستولت على قاعدتي ماغنوشيفسك وبولافسك. وحررت قوات جبهة بيلوروسيا الثانية بيلوستوك، واقتربت جبهة بيلوروسيا الثالثة من مدينة كاوناس. . أما قوات جبهة البلطيق الأولى فقد احتلت بانيفيجيس وشولاباي وميتافا (يلغافا)، وكذلك دفينسك (داوغافبيلس) وذلك بالتعاون مع جبهة البلطيق الثانية التي استولت على ريزينكه، واقتربت من سهول لوبان المنخفضة. أما جيوش جبهة البلطيق الثالثة فاحتلت أوستروف وبسكوف وأخذت بتحرير جنوب إيستوينا. واستولت قوات جبهة لينينغراد على مدينة نارفا. وقد برزت في ظروف هذا الهجوم الواسع مهمات جديدة أمام الجبهات، شملت، فيما شملته، تحرير أقاليم البلطيق بشكل نهائي، وضرب بروسيا الشرقية وتوطيد الموقف في بولونيا والاستعدادات لتحرير أوكرانيا ما وراء الكاربات.

وأخذت القيادة العليا الموقف في قبضتها، فلم تعد مهمة

ممثليها تنسيق التعاون بين الجبهات، وإنما قيادة عمليات هذه الجبهات بصورة مباشرة. وهكذا أسندت إلى جوكوف يوم ٢٩ تموز - يوليو - مهمة قيادة ثلاث جبهات: (جبهتي بيلوروسيا الثانية والأولى وجبهة أوكرانيا الأولى)، كما أسندت إلى فاسيليفسكي قيادة ثلاث جبهات أيضاً (جبهتي البلطيق الثانية والأولى وجبهة بيلوروسيا الثالثة).

ما إن تسلم فاسيليفسكي قيادته، حتى واجهته مشكلة الحاجة لإعادة التنظيم لقوات جبهاته، إذ إن التقدم السريع لقوات الجبهات قد شكل خطوطاً متعرجة، تخللتها ثغرات عميقة. وحصل على دعم من القيادة (الجيش المدرع الحرس الخامس، وفيلق مدرع). وأثناء ذلك توافرت المعلومات عن قيام القوات الألمانية بتنظيم خط دفاعي على نهر ميمل، وحشد ٧ فرق، مع حشد فرق أخرى في الغابات الواقعة إلى الجنوب من ريغا؛ للهجوم نحو ميتافا، بالإضافة إلى تجمع آخر للهجوم (غربي شياولاي). ولقد شنت هذه القوات هجومها يوم ١٦ آب - أغسطس - ونجحت في استعادة ريغا وتكوين ممر بعرض خمسين كيلومتراً، حيث ظهر خط دفاعي نظمه الألمان بطول ألف كيلومتر - يمتد من خليج نارفا حتى بحيرة فيرست - يارفا ثم إلى الجنوب حتى نهر غاويا ومرتفعات فيدزيمسك ونهاية بحدود بروسيا الشرقية.

انصرف فاسيليفسكي لمعالجة الموقف، فوضع مخططه الاستراتيجي لعمليات البلطيق. وقد شمل هذا المخطط تنفيذ أربع عمليات تقوم بها الجبهات التابعة لقيادته. وهذه العمليات:

١ ـ عملية ريغا (وحدد موعدها من ١٤ حتى ٢٧ أيلول ـ سبتمبر ـ).

٢ ـ عملية تالين (وحدد موعدها من ١٧ حتى ٢٦ أيلول ـ سبتمبر ـ).

٣ ـ عملية مونزوند (وحدد موعدها من ٣٠ أيلول ـ سبتمبر ـ حتى ٢٤ تشرين الثاني ـ نوفبر ـ).

٤ ـ عملية ميمل (وحدد موعدها من ٥ حتى ٢٢ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ).

وتنفيذاً لهذا المخطط، سحبت جبهة بيلوروسيا الثالثة من قيادته، وكلف بقيادة جبهات البلطيق الثلاث جميعها، اعتباراً من يوم ٢٩ ـ آب ـ أغسطس ـ، ثم صدر إليه الأمر يوم ٣٠ أيلول ـ سبتمبر ـ بأن يضم إليه جبهة بيلوروسيا الثالثة.

كانت القوات الألمانية المقابلة لقوات جبهات البلطيق تضم ٧٠٠ ألف ضابط وجندي وحوالي ٧ آلاف مدفع وهاون وأكثر من ١٢١٦ دبابة ومدفع اقتحام وحوالي ٤٠٠ طائرة مقاتلة. ومقابل ذلك كانت جبهات فاسيليفسكي قد ضمت ٩٠٠ ألف مقاتل وحوالي ١٧٥٠٠ مدفع وهاون وأكثر من ٣ آلاف دبابة ومدفع اقتحام وما زاد على ٢٦٠٠ طائرة (فاذا ما أضيف الطيران بعيد المدى وطيران البحرية فإن العدد يرتفع حتى ٣٥٠٠ طائرة). وكان من المفروض أن تبدأ هده القوات هجومها يوم ١٤ أيلول ـ سبتمبر ـ غير أن عاصفة فولاذية انطلقت بقوة متعاظمة في منتصف شهر أيلول ـ سبتمبر ـ.

وكتب فاسيليفسكي في تقريره الذي رفعه للقائد الأعلى يوم

١٨ أيلول ـ سبتمبر ـ ما يلي:

«قام العدو في قطاع جيش الحرس السادس بهجوم منذ ١٧ أيلول على اتجاه الشرق، وبلغ مجموع الدبابات التي اشتركت في المعركة مائتي دبابة. تمكن العدو قبل وصول القوات المدرعة والمضادة للدروع من جانبنا إلى منطقة القتال من خرق دفاعنا بعمق ٥ كليومتر. وأمكن إيقاف العدو بعد أن دمرت له حوالي ٦٠ دبابة ومدفع اقتحام. وقد جدد العدو هجماته منذ الساعة ١٠,٠٠ من صباح ١٨/٩/١٩٤٤ وقد أحبطت جميع هجماته حتى الساعة ١٣,٠٠».

إن مطالعة هذا التقرير، ومعرفة حجم القوى والوسائط التي زجها الألمان في هجومهم، يظهر أن هذا الهجوم هو أضعف من أن يعيق عمليات جبهات البلطيق المتفوقة. وعلى هذا فقد انطلقت لتنفيذ عملياتها التي استمرت خمسة عشر يوماً، وانتهت بتحرير (ريغا) من جديد. وقد حوصرت القوات الألمانية (٣٨ فرقة) إلى أن اضطرت للاستسلام. جرى تقويم نتائج الحملة السوفييتية لفصل الصيف من العام ١٩٤٤ وخريفه، وما نجم عنها من نتائج سياسية، فتبين أنها حققت أهدافها جميعها.

لقد أنزلت هذه الحملة ضربات قاضية بالتحالف النازي، فخرجت فنلندا من الحرب نتيجة هزيمة القوات الفنلندية على برزخ (كاريليا)(*) وفي كاريليا الجنوبية في يوم ٥ أيلول ـ سبتمبر ـ. كما أن

(*) كاريليا: (CARÉLO-FINLANDAISE) جمهورية من جمهوريات الاتحاد =

هزيمة القـوات الرومـانية قـد فجرت الانتفـاضة التي انـدلعت في رومانيا، حيث أعلن الرومانيون خروجهم من الحرب، ثم أعلنوا بعد يومين الحرب على ألمانيا. وخرجت بلغاريا من الحرب يوم ٨ أيلول ـ سبتمبر ـ وأعلنت الحرب على ألمانيـا في ذلك اليـوم ذاته. ووقفت القوات السوڤييتية في مركز الجبهة السوڤييتية ـ الألمانية على حدود بروسيا الشرقية، على نهر فيسلا وفي جبال الكاربات.

انتهت حملة الخريف بوقوف القوات السوڤييتية على أبواب بـروسيـا الشرقيـة. والمعـروف أن بـروسيـا بقيت هي القـاعـدة الاستراتيجية للهجوم على روسيـا (سنة ١٩١٤) وسنـة (١٩١٨) عنـدما حـاولت القوات القيصريـة ضرب بيتروغـراد. ومن هنـا انطلقت الفيالق الألمانية ـ النازية ـ سنة ١٩٤١. وقد استحـوذت بروسيا الشرقية على اهتمام القيادة الألمانية العليا من خلال أهميتها الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية. وقد بقيت قيادة هتلر العامة هنا حتى سنة ١٩٤٤، حيث أعد للفوهـرر ملاجىء عميقـة تحت الأرض أطلق عليها الألمان اسم (وكر الذئب ـ قرب راستينبورغ).

بـذلت القيادة الألمـانية جهـداً كبيراً لـلاحتفـاظ بـبروسيـا، وتنظيمها لتحمي بقوة وصلابة المداخل إلى ألمانيـا الوسـطى؛ ومن أجل ذلك شيدت على أراضيها، وفي المناطق المتاخمة لها في القسم الشمالي من بولونيا، عدداً من التحصينات القوية هندسياً مع مواقع

= السوڤييتي في البلطيق. تشكلت من جمهورية كاريلي القديمـة (CARÉLIE) ومن كاريلي الفنلندية. وعاصمتها بيتروزافودسك: (PÉTROZAVODSK)

جبهية وعقد ضخمة للدفاع، دعمت بمنشآت ممتدة لمسافات طويلة. كما تم تجديد القلاع القديمة ودعمها، وربطت التحصينات جميعها من الناحية الهندسية ومن ناحية التعاون وتبادل الدعم بالنيران؛ وبلغ عمق التحصينات الهندسية ١٥٠ حتى ٢٠٠ كم. وقد ساهمت خصائص بروسيا الشرقية وطبيعتها في دعم الدفاع وتقويته، بفضل ما توافر لها من البحيرات والمستنقعات والأنهار والمجاري والأقنية والمنشآت الحجرية الصلبة. وكان التنظيم الهندسي للدفاع أكثر إحكاماً وقوة على اتجاهات غومبينين واينستربورغ وكينيغسبرغ. وحشدت ألمانيا للدفاع عن بروسيا الشرقية (في إطار مجموعة جيوش الشمال) قوات ضمت ٥٨٠ ألف جندي وضابط بالإضافة إلى ٢٠٠ ألف مقاتل في التنظيم الشعبي، ومعهم ٨٢٠٠ مدفع ومدفع هاون و٧٠٠ دبابة ومدفع اقتحام و٥١٥ طائرة.

كلفت القيادة السوفييتية العليا للهجوم على بروسيا الشرقية قوات جبهتيها (بيلوروسيا الثالثة والبلطيق الأولى) بصورة أساسية. وقد ضمت قوات الهجوم: مليوناً وستمائة ألف مقاتل، ومعهم ٢١٥٠٠ مدفع ومدفع هاون، و٣٨٠٠ دبابة ومدفع اقتحام تقريباً، وأكثر من ثلاثة آلاف طائرة. وتلخصت الخطة الأساسية لعمليات هذه القوات بتطويق القوات الألمانية وتدميرها على أجزاء.

انطلقت جبهة بيلوروسيا الثالثة للهجوم يوم ١٣ كانون الثاني - يناير - ١٩٤٥، وتبعتها في اليوم التالي جبهة بيلوروسيا الثانية. ودارت معارك ضارية، انتهت بإلحاق هزائم قاسية بالقوات الألمانية على اتجاه الضربات الرئيسية. واخذت هذه القوات اعتباراً

من يوم ١٨ كانون الثاني ـ يناير ـ بالانسحاب من خط إلى خط وهي تزج عند كل خط بقوات جديدة إلى المعركة. وعند نهاية شهر كانون الثاني ـ يناير ـ كانت القوات السوڤييتية قد نجحت في حصار أربع فرق ألمانية في شبه جزيرة زيملاندا، وطوقت خمس فرق مع قطعات حامية القلعة في كينيغسبرغ، وحوصرت حوالي ٢٠ فرقة إلى الجنوب الغربي من كينيغسبرغ، وفي الوقت ذاته كانت قوات جبهة البلطيق الأولى قد استولت على الميناء البحري الكبير (ميمل ـ أوكلايبيدا يوم ٢٨ كانون الثاني ـ يناير). وبذلك حرمت القيادة الألمانية من إمكانية القيام بضربات من بروسيا الشرقية على القوات السوڤييتية المهاجمة على اتجاه برلين. وفقدت القوات الألمانية خلال هذه المرحلة ٥٢ ألف جندي وضابط ممن وقعوا في أسر القوات السوڤييتية. غير أن عمليات الهجوم توقفت بسبب المقاومة الضارية وبسبب الاستنزاف الكبير بالقوى والوسائط، فأعادت القوات تنظيمها، وبدأت المرحلة الثانية من الهجوم يوم ١٠ شباط ـ فبراير ـ في محاولة لتصفية تجمع القوات الألمانية في (هايلسبيرغ) المحصنة، والتي كانت تضم أكثر من ٩٠٠ منشأة دفاعية من الإسمنت المسلح، بالإضافة إلى عدد كبير من المنشآت الدفاعية الترابية والخشبية، والموانع المضادة للدبابات والمشاة، وهذا مما ساعد القوات الألمانية على إبداء مقاومة مذهلة. وقد تابع فاسيليفسكي الموقف، وقدم تقريره للقائد الأعلى ـ ستالين ـ يوم ١٨ شباط ـ فبراير ـ وبعد ذلك سمح ستالين لفاسيليفسكي بقضاء إجازة لمدة يومين في موسكو ـ مع عائلته ـ ووافق على ذهابه إلى المسرح، وطلب إليه العودة لمقابلته في اليوم التالي (١٩ شباط ـ

فبراير). ومضى فاسيليفسكي مع عائلته لقضاء السهرة في مسرح (البولشوي). وبينما هو يتابع المشاهد، تقدم إليه مرافقه بهدوء وأعلمه أن القائد الأعلى يطلب التحدث إليه على الهاتف. وأسرع فاسيليفسكي، فأبلغه ستالين نبأ مقتل قائد جبهة بيلوروسيا الثالثة (إ. د. تشيرنياخوفسكي) وأعلمه أن القيادة تعتزم تعيينه لقيادة هذه الجبهة. وفي اليوم التالي. وقبل سفر فاسيليفسكي إلى الجبهة، قابله ستالين، وقدم له بعض التوجيهات، وتمنى له النجاح في مهمته، وسلمه مغلفين، قرأ في أولهما:

«أمر صادر عن القيادة العامة، ١٨ شباط ـ فبراير ـ:

١ ـ نظراً لوفاة قائد قوات جبهة بيلوروسيا الثالثة جنرال الجيش إ. د. تشيرنياخوفسكي على أثر جرح بليغ، يعين آ. م فاسيليفسكي ـ مارشال الاتحاد السوفييتي ـ قائداً لقوات جبهة بيلوروسيا الثالثة. وعلى المارشال فاسيليفسكي أن يباشر قيادة قوات الجبهة خلال فترة لا تتجاز يوم ٢١ شباط ـ فبراير ـ ١٩٤٥.

٢ ـ يكلف رئيس هيئة أركان الجبهة الفريق بوكروفسكي بتسيير مهمات قائد قوات الجبهة ريثما يصل المارشال فاسيليفسكي إلى الجبهة.

٣ ـ يلغى أمر القيادة العامة الصادر بتاريخ ١٩٤٥/٢/١٧ بشأن تكليف مارشال الاتحاد السوفييتي فاسيليفسكي بقيادة عمليات جبهتي البلطيق الأولى وبيلوروسيا الثالثة».

أما المغلف الثاني فقد كان يحمل مباغته استثارت مشاعر

فاسيليفسكي إلى حد بعيد فقد تضمن:

«قرار لجنة الدولة لشؤون الدفاع بتعديل قرارها الصادر يوم ١٠ تموز - يوليو - ١٩٤١ بتشكيل هيئة القيادة العليا. وتثبت تشكيلها على النحو التالي:

القائد العام الأعلى ومفوض الشعب لشؤون الدفاع. إ. ف. ستالين.

نائب مفوض الشعب لشؤون الدفاع مارشال الاتحاد السوفييتي غ. ك. جوكوف.

نائب مفوض الشعب لشؤون الدفاع مارشال الاتحاد السوفييتي. آ. م. فاسيليفسكي».

لقد عمل (فاسيليفسكي) طوال الحرب رئيساً لهيئة الأركان العامة، ونائباً لمفوض الشعب لشؤون الدفاع، غير أنه لم يعتبر رسمياً عضواً في هيئة القيادة العليا (وكذلك الأمر بالنسبة لجوكوف). إنه تقدير من القيادة، وهو تقدير مثير على كل حال.

وصل (فاسيليفسكي) إلى مقر هيئة أركان جبهة بيلوروسيا الثالثة يوم ٢٠ شباط - فبراير - وشرع على الفور بممارسة دوره القيادي، والاضطلاع بواجباته ومسؤولياته، وأخذ في وضع مخططه لتصفية تجمع القوات الألمانية في (هايلسبيرغ) و(زيملاند) و(كينيغسبرغ). ولكن القيادة الألمانية أسرعت بالتحرك، وزجت بقوات جديدة يوم ٢٠ شباط - فبراير - وبدأت هجومها الذي استمر حتى ٢٧ شباط - فبراير - والذي نجح في إقامة ممر يصل تجمع

(كينيغسبرغ) بتجمع (زيملاند). ولكن الصراع لم يتوقف، وتمكنت القوات السوڤييتية حتى منتصف شهر آذار ـ مارس ـ من تدمير تجمع القوات الألمانية في (هايلسبيرغ) الحصينة، حيث قتل من الألمان خلال أسبوعي القتال العنيف حوالي ٩٣ ألفاً وأسر ٤٦ ألف جندي وضابط، وتم الاستيلاء على ٦٠٠ دبابة ومدفع اقتحام و٣٥٦٠ مدفع ميدان، و١٤٤٠ رشاشاً و١٢٨ طائرة.

جاء الآن دور تجمع (كينيغسبرغ). ووضع فاسيليفسكي مخطط العمليات ليتم تنفيذه على ثلاث مراحل: التحضير للهجوم واستنزاف قوة الحامية الألمانية بالنيران والهجمات المحدودة، ثم خرق الدفاع الخارجي، وبعد ذلك تطوير الخرق وتجزئة التجمع الألماني وتدميره.

بدأ الهجوم يوم ٦ نيسان ـ أبريل ـ ودارت معارك ضارية عند كل خندق وعند كل موقع. وأظهر المقاتلون الألمان عناداً لا يمكن تصوره، وزج فاسيليفسكي بكل وسائط الدعم الناري المتوافرة (الطيران والمدفعية)، ووصل الصراع ذروته صباح يوم ٩ نيسان ـ أبريل ـ حيث فتحت فوهات خمسة آلاف مدفع حممها. وقد جرى تكثيف النيران بضربات ١٥٠٠ طائرة، حولت أرض المعركة إلى جهنم. وسقطت كينيغسبرغ، وأسرت القوات السوڤييتية ٩٢ ألف أسير ألماني ـ بينهم ١٨٠٠ قائد وضابط ـ واستولت على ما يزيد على ٣٥٠٠ مدفع وهاون و٩٠ دبابة و١٣٠ طائرة وعدد ضخم من السيارات والجرارات والمستودعات الطافحة بالمواد المختلفة. وبينما كانت القوات تقوم بإحصاء الغنائم، حيَّت موسكو (في ليل ١٠

نيسان ـ ابريل ـ ١٩٤٥) انتصار قواتها في كينيغسبرغ بأربع وعشرين طلقة مدفعية من ٣٢٤ مدفعاً(*).

انتهت مهمة (فاسيليفسكي) على جبهة الغرب، باجتياح القوات السوفييتية لمدن بروسيا الشرقية. وأثناء ذلك كانت جبهات سوفييتية أخرى (بقيادة جوكوف) تتابع تقدمها نحو برلين. ولما لم يبق لأحد ذراعي ستالين ما يفعله على جبهة الغرب، فليبسطه نحو الشرق.

لقد أفاد (فاسيليفسكي) من ممارسته العملية لقيادة الجبهات قيادة مباشرة، خلال الفترة الأخيرة من الحرب في أوروبا، وبات باستطاعته ممارسة الدور على نطاق أكثر اتساعاً، وعلى جبهة أكثر بعداً. وهكذا تقرر نقل فاسيليفسكي ليعمل قائداً للقوات السوفييتية في الشرق الأقصى.

١١ ـ قيادة الحرب ضد اليابان

أصدرت القيادة السوفييتية العليا (ستالين) أمراً يوم ٣٠ تموز ـ يوليو ـ ١٩٤٥، بتسمية ماريشال الاتحاد السوفييتي (آ. م. فاسيليفسكي) قائداً عاماً للقوات السوفييتية في الشرق الأقصى. وفي اليوم الأول من شهر آب ـ أغسطس ـ تلقى (فاسيليفسكي) أمراً يقضي بتسلمه لقيادة جبهات (ما وراء البايكال، والشرق الأقصى وقوات مجموعة بريمورسك وأسطول المحيط الهادىء). وفي اليوم

(*) كانت كينيغسبرغ هي العاصمة السابقة لملوك بروسيا. وقد أصبح اسمها بعد استيلاء القوات السوفييتية عليها هو (كالينينغراد) KALININGRAD-KOENIGSBERG.

التالي (٢ آب ـ أغسطس ـ) تلقى (فاسيليفسكي) التوجيه التالي:

تأمر القيادة العامة العليا بما يلي:

فتسمي اعتباراً من يوم ٥ آب ـ أغسطس ـ ١٩٤٥:

مجموعة قوات بريمورسك (القائد ـ مارشال الاتحاد السوفييتي ميريتسكوف. ك. آ) باسم (جبهة الشرق الأقصى الأولى).

٢ ـ جبهة الشرق الأقصى (القائد ـ جنرال الجيش بوركايف. م. آ.) باسم (جبهة الشرق الأقصى الثانية).

٣ ـ مجموعة الفريق فاسيليفسكي للعمليات باسم (أركان القائد العام للقوات السوفييتية في الشرق الأقصى).

٤ ـ يعين الفريق (ايفانوف. س. ب) رئيساً لهيئة أركان القائد العام للقوات السوفييتية في الشرق الأقصى.

وتلقى (فاسيليفسكي) توجيهاً يوم ٧ آب ـ أغسطس ـ ١٩٤٥، يقضي بأن تبدأ قوات جبهات ما وراء البايكال، والشرق الأقصى الأولى والثانية، أعمالها القتالية اعتباراً من يوم ٩ آب ـ أغسطس ـ وذلك لتنفيذ المهمات المحددة بأمر القيادة العامة، والصادر يوم ٢٨ حزيران ـ يونيو ـ وأن تبدأ العمليات القتالية لطيران كافة الجبهات منذ صباح يوم ٩ آب ـ أغسطس ـ، وأن تقوم القوات البرية لجبهتي ما وراء البايكال والشرق الأقصى الأولى باجتياح حدود منشوريا صباح يوم ٩ آب ـ أغسطس ـ، وأن تحوّل قوات جبهة الشرق الأقصى الثانية، وأسطول المحيط الهادىء إلى درجة الاستعداد القتالي رقم ١، وأن تبدأ بزرع حواجز الألغام بناء على

توجيهات ـ فاسيليفسكي ـ وإيقاف حركة المراكب الفردية، وتوجيه الناقلات إلى مراكز التجمع، ثم تنظم حركة الملاحة بقوافل تسير تحت حماية المراكب الحربية، وأن تنتشر الغواصات، وتبدأ قوات الأسطول عملياتها القتالية منذ صباح يوم ٩ آب ـ أغسطس ـ.

وهكذا؛ بدأت القوات السوڤيتية أعمالها القتالية ضد القوات اليابانية في الشرق الأقصى. ولكن لا بد من العودة إلى الوراء لاستقراء المراحل الأولى لهذا الصراع، والاستعداد له، والظروف التي أحاطت به.

كانت اليابان قد بدأت الحرب ضد الاتحاد السوڤييتي (في خالخين غول) و(عند بحيرة خيسان) وانتهت تلك الحرب بفشل القوات اليابانية، وتوقيع معاهدة عدم الاعتداء بين اليابان والاتحاد السوڤييتي في نيسان ـ أبريل ـ ١٩٤١.

إلا أن اليابان ضاعفت من حجم قواتها الموجودة في منشوريا (جيش كوانتونغ) خلال فصل الصيف من العام ١٩٤١، كما أنها وقعت مع ألمانيا وإيطاليا (حلف دول المحور)، وعملت على تمديد أجله (في ٢٥ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٤١)، مما وضعها في حالة حرب مع الاتحاد السوڤييتي. وقد رغبت ألمانيا من حليفتها اليابان القيام بهجوم من الشرق لوضع الاتحاد السوڤييتي بين طرفي كماشة (أو بين المطرقة الألمانية والسندان الياباني)، لكن اليابان امتنعت عن القيام بهجوم واسع ضد الاتحاد السوڤييتي؛ وذلك إما بسبب انشغالها في حربها مع الولايات المتحدة الأمريكية، وعدم

رغبتها في فتح جبهتين كبيرتين للدولتين العظميين، وإما بسبب الانتصارات التي حققتها القوات السوفييتية بعدئذ في موسكو وستالينغراد وعلى بقية الجبهات. ولكن ذلك لم يمنع اليابان من القيام ببعض الأعمال الاستفزازية؛ وعلى سبيل المثال: فقد قامت القوات اليابانية بقصف السفن التجارية السوفييتية (سيمفيروبول) و(سيرجي لازو) و(سفير ستوي) و(كريتشيت) وأغرقت سفينتي (بيريكوب) و(مايكوب) خلال شهر كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٤١، ثم تابعت أعمالها بعد ذلك بحيث وصل عدد السفن التجارية السوفييتية التي أغرقتها اليابان حتى نهاية الحرب إلى حدود (١٧٨) سفينة. وفي الوقت ذاته، كان الجهاز الديبلوماسي الياباني يمارس نشاطاً استخبارياً ـ جاسوسية ـ في أقاليم الاتحاد السوفييتي طوال فترة الحرب. وكان (معهد البكتريولوجيا ـ التابع لجيش كوانتونغ ـ والذي حمل اسم فصيلة منشوريا رقم ٧٣١)، يعمل على اتخاذ التدابير والاجراءات لاستخدام السلاح البكتريولوجي على نطاق واسع ضد الاتحاد السوفييتي وجمهورية منغوليا والصين. وكانت القيادة العليا في الاتحاد السوفييتي تتابع الأعمال العدوانية اليابانية، ولكنها تتجاهل الاستفزازت رغبة منها في تجنب الصراع على جبهتين في وقت واحد. إلا أنها اضطرت إلى الاحتفاظ بثلاثين حتى أربعين فرقة، على حدود الشرق الأقصى، وذلك في أقسى ظروف الحرب وأصعبها، عندما كانت هناك حاجة ملحة لزج كل جندي وكل قوة ضد القوات الألمانية. وكان أمراً طبيعياً أن تتقدم القيادة السوفييتية بالإعلان عن عزمها على الاشتراك في الحرب ضد

اليابان مع حلفائها (أمريكا وانكلترا) في مؤتمر طهران (في كانـون الثاني ـ ينايـر ـ ١٩٤٣)، ثم في مؤتمر يـالطا (في شبـاط ـ فبرايـر ـ ١٩٤٥) حيث تم التوقيع على (اتفاقية الدول الكبرى الثلاث بشأن مسائل الشرق الأقصى) وهي الاتفـاقية التي تضمنت قيـام الاتحاد السوڤييتي ببدء الحرب ضد اليابان بعد انقضاء شهرين أو ثلاثة أشهر على استسلام ألمانيا.

أخذت القيادة السوڤييتية في إرسال قوات دعم جديدة خلال الفترة ما بين آذار ـ نيسان (مارس ـ أبريل ـ ١٩٤٥)، شملت فيما شملته ٦٧٠ دبابة ت ٣٤ وأعتدة قتالية أخرى. كما أرسلت في نهاية شهر نيسان ـ أبريل ـ قوات تم اختيارها من بين القوات التي توافرت لها خبرات قتالية جيدة في ظروف طبيعية مشابهة للظروف الجغرافية والمناخية في الشرق الأقصى، فتم نقل أربعة جيوش من الغرب إلى الشرق (٥٣ و٥٩ وجيش الحرس المدرع السادس والجيش الخامس) حتى شهر تموز ـ يوليو ـ ١٩٤٥. ورافق ذلك إجراء تنقـلات على مستوى القيادات. ففي ٢٥ نيسـان ـ أبريل ـ أسندت قيـادة جبهة الشرق الأقصى إلى الفـريق (م. آ. بـوركـايف) وعـيِّن (ف. إ. شيفشينكو) رئيساً لهيئة أركان جبهة الشرق الأقصى.

أعلنت الحكـومة السـوڤييتية، عـلى لسان مفـوض الشعب للشؤون الخارجية؛ عن إلغاء معاهدة عدم الاعتداء مع اليابان يوم ٥ ـ نيسان ـ أبريل ـ ١٩٤٥، وأبلغته إلى السفير الياباني في موسكو.

كـان (فـاسيليفسكي) لا يـزال في منـطقـة البلطيق (في ٢٧

نيسان ـ أبريل ـ ١٩٤٥) عندما تم استدعاؤه للقيادة من أجل وضع خطة الحرب ضد اليابان. فوصل إلى موسكو يوم ١٠ أيـار ـ مايو ـ ووجد أن هيئة الأركان العامـة غارقـة تمامـاً في إعداد المخـططات للعمليات القادمة في الشرق الأقصى، بهدف: «**تدمير القوة الضاربة الأساسية للعسكرية اليابانية ـ جيش كانتونغ ـ وطرد اليابانيين من المقـاطعات الشـمالية ـ الشرقيـة من الصين ـ منشـوريا ـ وكـوريـا الشمالية**».

كان الجيش الياباني (كانتونغ) يعمل تحت قيادة قائد توافرت له كفاءة عالية وخبرة قتالية واسعة (هو جنرال الجيش اوتودزو يامادا)، ورئيس هيئة أركانه (العميد هيبو سابا روخاتا) وكان هـذا الجيش يشكـل أساس القـوات اليابـانية المسلحـة العاملة في (منشـوريـا) و(كوريا). وقد بلغ عدد أفراد هذا الجيش مع القوات المتحالفة معه (من قوات الحاكم مانتشجو ـ غو) وقوات منغوليا الداخلية ومقاطعة سويوان، ما يزيـد على المليـون والنصف المليون، إلا أن القـوات اليابانية كانت متخلفة عن القوات السوڤييتية من حيث كمية الأعتدة والوسائط القتالية ونوعيتها المتفوقة. وقد نظمت هذه القوات في إطار ثلاث جبهات (جبهة منشوريا الشرقية)، والتي انتشرت عـلى خط الحدود السوڤيياتية في (بريموريه)، و(جبهة منشوريا الغربية) والتي أعدت على اتجاه منغوليا ـ منشوريا، و(الجبهة الخامسة) في ساخالين الجنوبية وجزر الكورال ـ أو الكوريل ـ.وخصصت قـوات جيشين جويين لدعم جيش كانتونغ: الجيش الجوي الثاني لتغطية منشوريا والجيش الجوي الخامس لتغطية كوريا. وقد اعتمدت هذه القوات

على الموارد الطبيعية والمواد الخام والمواد الغذائية الغنية في منشوريا وكوريا، وعلى الصناعة الحربية المنشورية التي كانت تنتج بشكل أساسي كل ما هو ضروري لحياة جيش كوانتونغ ونشاطه القتالي.

وكان يوجد في الأراضي التي يعمل فيها جيش كوانتونغ ١٣٧٠٠ كيلومتر من الخطوط الحديدية و٢٢ ألف كيلومتر من الطرق المعبدة للسيارات، و٤٠٠ مطار و٨٧٠ مستودعاً عسكرياً ضخماً، ومعسكرات جيدة التجهيز، ومعدة لتأمين جيش يبلغ عدد أفراده (١,٥) مليون مقاتل، تأميناً إدارياً وفنياً.

عمل العسكريون اليابانيون في أراضي منشوريا (على حدود الاتحاد السوڤييتي وعلى حدود جمهورية منغوليا) على تنظيم وإنشاء ١٧ منطقة محصنة - منها ثمان في الشرق مقابل منطقة بريموريه السوڤييتية -. وكانت كل منطقة محصنة تمتد على جبهة ٢٠ حتى ١٠٠ كيلومتر وبعمق ٤٠ كيلومتراً. ولم تكن جميعها مجهزة لدعم الدفاع فقط، بل من أجل تهيئة الظروف المناسبة لحشد القوات وتوزيعها وانتشارها؛ فكان كل الخط في مناطق الحدود المحصنة يتكون من ثلاثة مواقع، كما بنيت ٤ مناطق محصنة في كوريا وواحدة مقابل ساخالين الشمالية. وتمت تغطية جزر الكورال - الكوريل - ببطاريات من المدفعية الساحلية التي وضعت مرابضها في مرابض بنيت بالإسمنت المسلح، مع إقامة حاميات عسكرية للدفاع، تم تمركزها وانتشارها في منشآت دفاعية متطورة وثابتة - دائمة -.

كانت الفكرة الدفاعية للقادة اليابانيين تتلخص بمنع وإحباط محاولات القوات الأنغلو- أمريكية بالإنزال في الجزر اليابانية،

وتأمين الدفاع الحازم عن المنجزات اليابانية في الصين وكرويا. وقد رفضت اليابان تصريح بوتسدام الذي أعلنته الولايات المتحدة وانكلترا والصين ـ والذي طلب إلى اليابان إلقاء السلاح والاستسلام دون قيد ولا شرط ـ. واعتمدت اليابان في رفضها هذا على جيشها البري القوي وعلى صناعتها الحربية الضخمة، حيث بلغ مجموع أفراد القوات المسلحة اليابانية ـ بما فيها جيش كوانتونغ ـ عند مطلع صيف ١٩٤٥، ما زاد على ٧ ملايين جندي وأكثر من ١٠ آلاف طائرة وحوالي ٥٠٠ قطعة حربية بحرية.

وضعت القيادة السوڤييتية خطتها للهجوم على أساس الإفادة من شكل الحدود السوڤييتية المنشورية لتوجيه ضربة حاسمة للقوات اليابانية في منشوريا وكوريا، وذلك بتوجيه الضربة على اتجاهات ثلاثة: ضربتين تصادميتين رئيسيتين تقوم بهما جبهة ما وراء البايكال، أي من جهة النتوء الشرقي لأراضي جمهورية منغوليا الشعبية ومن منطقة (بريموريه السوڤييتية)، وضربة مساعدة من منطقة جنوب غربي (خاباروفسك) وذلك من أجل تطويق القوات الرئيسة لجيش كانتونغ وتدميرها. ونظراً لإشتراك قوات ثلاث جبهات سوڤييتية بالإضافة إلى قوات الأسطول، ونظراً لبعد مسرح العمليات بعداً كبيراً ونظراً أيضاً لاتساع أبعاد مسرح العمليات وظروفه الطبيعية المعقدة، فقد عملت القيادة العليا على تشكيل قيادة استراتيجية لإدارة حرب الشرق الأقصى بهدف تنسيق التعاون بين قوات الجبهات واستخدام أسطول المحيط الهادي بالشكل الأمثل، وفي القوت المناسب لصالح الجبهات الثلاث.

خط الجبهة في ٩ آب ١٩٤٥
اتجاه ضربات القوات السوفيتية
اتجاه ضربات القوات السوفيتية المنغولية
اتجاه ضربات الجيش الصيني
الإنزال الجوي السوفيتي
اتجاه وعمليات ضربات قوات إنزال أسطول المحيط الهادي
أسطول المحيط الهادي

تحطيم جيش كوانتونغ الياباني من ٩ آب إلى ٢ أيلول ١٩٤٥

وصدر الأمر إلى (فاسيليفسكي) بتولي رئاسة هذه القيادة، وعين (العميد إ. ف. شيكين) رئيساً لهيئة أركانه، ودعم بعدد من كبار قادة الجيش السوڤييتي لدعم هذه القيادة (مثل قائد القوات الجوية آ. آ. نوفيكوف. ونواب قادة قوات الإشارة والمدفعية والمؤخرة وسواهم).

استطاعت القيادة السوڤييتية أن تحشد حتى ما قبل الهجوم على اليابان ٢٧ فرقة و٢١ لواء وعدداً من التشكيلات والوحدات المستقلة (علاوة على الجيوش الأربعة التي سبقت الإشارة إليها وهي الجيوش ٥ و٣٩ و٥٣ والحرس المدرع السادس). فإذا ما أضيف إلى ذلك القوات المشتركة من الجيش المنغولي وهي ٤ فيالق مدرعة وميكانيكية، فإن حجم القوات يصل إلى ٨٠ فرقة مشاة ومدرعة وخيالة و٣٠ لواء ضمت جميعها ما زاد على ١,٥ مليون مقاتل و٢٦ ألف مدفع وهاون و٥٥٠٠ دبابة وعربة مدفعية ذاتية الحركة وما زاد على ٣٨٠٠ طائرة مقاتلة. وقد تطلب نقل العربات والدبابات إلى الشرق الأقصى جهداً كبيراً، ساعدت في إنجازه القوات البحرية الأمريكية التي أخذت على عاتقها تأمين نقل السيارات والمركبات إلى المرافىء السوڤييتية في الشرق الأقصى.

أمضى (فاسيليفسكي) شهر حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٥ بكامله وهو يعمل في هيئة الأركان العامة مع قادة الجبهات لتدقيق خطة حملة الشرق الأقصى، حتى تكون متوافقة مع القرارات الاستراتيجية التي وضعتها القيادة العامة. وفي ٢٧ حزيران ـ يونيو ـ تم إنجاز العمل، ووضعت التوجيهات النهائية لقادة الجبهات، وصادقت عليها القيادة

العامة يوم ٢٨ حزيران ـ يونيو ـ.

وتضمن التوجيه إلى قائد جبهة ما وراء البايكال ما يلي: تدمير جيش كانتونغ والدخول السريع إلى منشوريا الوسطى بالتعاون مع قوات مجموعة بريمورسك وجبهة الشرق الأقصى واحتلال مناطق (تشيفين وموكدين وتشانتشون وتشجالانتون) والاعتماد في العملية على الضربة المباغتة، واستخدام تشكيلات الجبهة المتحركة وبالدرجة الأولى جيش الحرس المدرع السادس.

أما التوجيه إلى قائد جبهة بريمورسك فقد تضمن: الدخول إلى منشوريا الوسطى بالتعاون مع قوات جبهة ما وراء البايكال وجبهتي الشرق الأقصى لتدمير جيش كانتونغ واحتلال مناطق (هاربين وتشانتشون وسايسين).

وتضمن التوجيه إلى قائد جبهة الشرق الأقصى: تقديم الدعم الفعال لقوات جبهة ما وراء البايكال ومجموعة بريمورسك في تحطيم جيش كوانتونغ واحتلال هاربين.

وصل (فاسيليفسكي) إلى (تشينا) يوم ٥ تموز ـ يوليو ـ وقام بتسليم التوجيهات إلى قادة الجبهات، ثم شرع بزيارة القطاعات الأساسية في جبهة ما وراء البايكال، واستطلاعها مع قائد الجبهة (ر. يا. مالينوفسكي). وقام بدراسة الموقف على الطبيعة، وناقش قادة الجيوش والفيالق والفرق. وأدخل التعديلات الجوهرية على القرارات المتخذة سابقاً. كما عمل على تقليص ـ أو ضغط ـ مواعيد قيام القوات بتنفيذ الواجبات الأساسية وفقاً لما حدده التوجيه، وعلى

سبيل المثال: فقد ظهر أنه بالمستطاع أن يقوم جيش الحرس المدرع السادس بعبور نهر هينغان الكبير خلال فترة لا تتجاوز اليوم الخامس بعد البدء بالعملية وليس في اليوم العاشر منها. وجرى كذلك تقليص مواعيد وصول الجيوش الآلية ـ الميكانيكية ـ إلى سهل منشوريا تقليصاً كبيراً. وحدد موعد قيام الجيش ٣٦ باحتلال منطقة هايلار المحصنة في اليوم العاشر من بداية العملية بدلاً من اليوم الحادي عشر.

وكان على الجيش ٣٦ بعدئذ الهجوم باتجاه تسيتسكارا. وتم وضع الجيش ٥٣ إلى اليمين قليلاً وخلف جيش الحرس المدرع السادس وصدر إليه الأمر بالسير وراءه دون تخلف. وتم إلغاء وحذف خمسة أيام من جدول مواعيد العمليات الأولية للقوات العاملة على الجناح الأيمن للجبهة ـ وبالتخصيص للجيش السابع عشر الذي كان عليه أن يحتل منطقة (رابان شان) بعد عبوره لنهر هينفان الكبير ـ.وجرى أيضاً تقليص مواعيد وصول مجموعة الخيالة الميكانيكية من القوات السوفييتية ـ المنغولية إلى منطقتي (كاليغان ودولونور) إلى حد كبير. وقد أجريت خلال شهر تموز ـ يوليو ـ تمارين على مستوى الجيوش الآلية في مواقف قريبة جداً من المهمات القتالية التي كان عليها أن تنفذها قريباً. وقامت الجبهات بعمل هائل لتحسين التأمين المادي والفني للقوات.

ظهرت خلال ذلك كله أهمية تشكيل القيادة العامة في الشرق الأقصى باعتبارها هيئة للقيادة الاستراتيجية للقوات. فقد أعطى وجود هذه القيادة إمكانية تنفيذ توجيهات القيادة العامة العليا على

مستوى العمليات، وإجراء حساب دقيق لكافة التبدلات في الموقف الاستراتيجي ـ والعملياتي، والموقف السياسي العسكري، والرد على هذه التبدلات في الوقت المناسب؛ وكذلك تقديم المساعدة الضرورية للجبهات في مكانها.

وكان اتصال القائد العام الأعلى ـ ستالين ـ مع قائد الشرق الأقصى ـ فاسيليفسكي ـ ومع قادة الجبهات العاملة، اتصالاً مستمراً، ومباشراً؛ حتى عندما كان موجوداً في (بوتسدام)، حيث اتصل ستالين بفاسيليفسكي يوم ١٦ تموز ـ يوليو ـ ١٩٤٥، وسأله عن سير الاستعدادات للعملية، وعما إذا كان بالمستطاع تقديم موعد الهجوم بعشرة أيام. إلا أن فاسيليفسكي أجاب ستالين بأن تجميع القوات، ونقل ما هو ضروري لها من الوسائط لا يسمحان بمثل هذا التعجيل، ورجاه الإبقاء على التوقيت السابق. وبقي (فاسيليفسكي) على اتصال مستمر مع القائد العام الأعلى (ستالين) وإبلاغه بشكل منتظم عن سير الاستعداد للعمليات القتالية، ثم مباشرة عن الصراع الذي نشب مع القوات اليابانية، حيث عملت شبكة الاتصالات الهاتفية دون توقف ودون أن تصاب بأي عطل. وقد اتصل به عشية الهجوم (يوم ٨ آب ـ أغسطس ـ) وأبلغه عن جاهزية القوات السوفييتية للبدء بالأعمال القتالية في موعدها المحدد (صباح يوم ٩ آب ـ أغسطس ـ)، حيث انتشرت الأعمال القتالية للجبهات ونفذت على النحو التالي:

ـ **في جبهة ما وراء البايكال بقيادة (ر. يا. مالينوفسكي)** قام الجيش الشعبي الثوري المنغولي (بقيادة الماريشال خور لوغين تشوي

بالسان) بتوجيه ضربة من ساينشاندا في صحراء غوبي على قوات (الأمير دي فان)، ومجموعة (سويو) العسكرية، باتجاه كالغان (تشجان تسازياكوي). وقامت مجموعة الخيالة الميكانيكية السوفييتية ـ المنغولية المختلطة (بقيادة الفريق بليوف)، بتوجيه ضربتها من (غوبي) الشمالية باتجاه مدينة دولونور (دولون)، في حين تحرك الجيش السابع عشر من (يوغودزير ـ خيد) باتجاه (تشيفين)، بهدف تحطيم قوات الجناح الأيسر للجيش الياباني ٤٤. وقد أصبح (جيش كوانتونغ) بنتيجة التنفيذ الناجح لهذه الخطة، معزولاً عن الجبهة اليابانية الشمالية العاملة في منطقة بيكين، وفقد إمكانية الحصول على المساعدة من الجنوب. أما الجيش ٥٣ وجيش الحرس المدرع السادس، فقد انطلقا للهجوم على اتجاه موكدين (شيشيان) حيث مقر هيئة أركان الجبهة اليابانية الثالثة، وضربا الجناح الأيمن للجيش الياباني ٤٤، بينما انطلق الجيش ٣٩ من نتوء (تامتساك ـ بولاك) فحطم الجيش الياباني ٣٠ والجناح الأيمن للجيش الياباني المستقل الرابع، وتقدم بمحاذاة الخط الحديدي إلى (تشانتشون)، حيث مقر هيئة أركان جيش كوانتونغ، وسار للقائه من جهة الشرق الجيش الخامس من جبهة الشرق الأقصى الأولى. كما سار الجيش ٣٦ من داوريا عبر (خايلار) موجهاً ضربته باتجاه (تسيتسكار) على مركز الجيش المستقل الرابع. وقام الجيش الجوي ١٢ بدعم جبهة ما وراء البايكال دعماً فعالاً وقوياً. وقد قطعت قوات جبهة ما وراء البايكال مناطق صعبة المسالك، ولم تكن هناك خرائط متوافرة ومقبولة حتى لدى الصينيين واليابانيين، مما اضطر دائرة الخرائط للعمل بشكل

جدي لتأمين القادة بالوسائل اللازمة. ولم يكن اليابانيون يتوقعون نجاح القوات السوفييتية في قطع مئات الكيلومترات في تلك الظروف الصعبة خلال أسبوع واحد. ولقد كان عامل المباغتة في الهجوم حاسماً، كما أن الضربة القوية التي تلقاها جيش كوانتونغ من الشمال الغربي، جعلته فاقداً لتوازنه الذي لم يتمكن من استعادته.

أما على جبهة الشرق الأقصى الثانية بقيادة بوركايف، فقد قامت ست مجموعات عسكرية غير كبيرة بتغطية الخط الحديدي إلى ما وراء البايكال (من مصب نهر شيلكا حتى مصب نهر زيا)، وتقدم الجيش الثاني من هضبة (بورنيسك) عبر هينغان الصغرى من الشمال باتجاه تسيتسيكار، فيما قام الجيش الخامس عشر بالهجوم من (بيروبيدجان)، بمحاذاة مجرى نهر (سونانت) نحو (هاربين). وفي الوقت ذاته تقدم فيلق المشاة المستقل الخامس من بيكين محاذياً لقوات الجيش ١٥، وهو يقاتل باتجاه (بوبي). وقام الجيش ١٦ بتوجيه ضربته من ساخالين الشمالية باتجاه ساخالين الجنوبية. واحتلت القطعات العسكرية لمنطقة (كامتشاتكا) الدفاعية جزر الكوريل، فيما عمل الجيش الجوي العاشر على تقديم الدعم لقوات الجبهة. ولقد تعاونت هذه الجبهة تعاوناً وثيقاً مع الأسطول والتشكيلين البحريين؛ واشترك البحارة وجنود الأنهار بإنزال القوات في جزر الكوريل وساخالين الجنوبية وفي عبور نهري (آمور - و - أوزوري) وفي الأعمال القتالية على نهر (سونغاري). وكان إنزال قوات المظليين في تايوهارا (يوجني - ساخالينسك)، والذي لم يكن يتوقعه اليابانيون أبداً، بمثابة نقطة تحول حاسمة في قتال ساخالين، ولم يكن القتال هنا

أقل روعة من حيث السرعة والجرأة والكفاءة القتالية، مما كانت عملية روعة الأعمال القتالية في الإنزالات البحرية في جزر إيتورب وكوناشير وشيكوتان.

وعلى جبهة الشرق الأقصى الأولى: قام الجيش ٣٥ بتوجيه ضربته من غوبيروف وليسو ـ زافودسك باتجاه (لينكوو)، فيما قام الجيش الأول بالهجوم من بحيرة (خانك) عبر مولين ومودانتزان باتجاه (هاربين) حيث التحم مع الجيش ١٥. وقام الجيش الخامس باختراق غروديكوف إلى غيرين. وتقدم الجيش ٢٥ عبر فانتسين، مع الالتفاف نحو بانتزي باتجاه كوريا؛ ثم بمحاذاة بحر اليابان حتى وصل إلى خط العرض ٣٨ الشهير (والذي أصبح فيما بعد هو خط الحدود بين جمهورية الصين الشعبية الديموقراطية وكوريا الجنوبية)، وضرب الجبهة اليابانية ١٧، فيما عمل الجيش الجوي التاسع على تقديم الدعم لهذه الجبهة. كما تعاون معها القسم الأساسي من قوات أسطول المحيط الهادىء المتمركز في قاعدة مدينة (فلاديفوستوك). وكانت العمليات المنسقة للقوات المتحركة من البر مع قوات الإنزال البحري من أجل احتلال الموانىء الكورية (يوكي وراسبن وسيسين وغينزان)، سريعة وناجحة. كما تميز المظليون الذين تم إنزالهم في (هاربين) و(غيرين) و(خامخينغيه) في مؤخرة اليابانيين البعيدة، بالإقدام والجرأة، مما سهل عليهم إثارة الاضطراب في وسط القوات اليابانية، التي كانت تعاني من هزيمة جيش كوانتونغ في الجبهة.

أعلنت جمهورية منغوليا الشعبية الحرب ضد اليابان يوم ١٠ ـ آب ـ أغسطس ـ وتطور الهجوم المشترك بنجاح منذ الساعات

الأولى. وسار هجوم القوات السوفييتية بنجاح، على كافة الاتجاهات. واقتربت القطعات المتقدمة من جبهة ما وراء البايكال ـ في يوم ١١ آب ـ أغسطس ـ من المنحدرات الغربية لسلسلة جبال هينغان الكبرى، بينما اجتازتها القطعات المتقدمة لقوات المجموعة الرئيسة ووصلت سهل منشوريا الأوسط. وعند نهاية يوم ١٤ ـ آب ـ أغسطس ـ وصلت قوات جبهة ما وراء البايكال بعد أن قطعت مسافة تتراوح بين ٢٥٠ حتى ٤٠٠ كم إلى المناطق الوسطى من منشوريا، وتابعت تقدمها باتجاه عاصمتها تشانتشون، وباتجاه المركز الصناعي الضخم (موكدين). وحققت جبهتا الشرق الأقصى الأولى والثانية نجاحاً مماثلاً في تقدمهما في عمق منشوريا، مما مزق جيش كوانتونغ شر ممزق.

اتخذت الحكومة اليابانية قرارها بالاستسلام يوم ١٤ ـ آب ـ أغسطس ـ وقد أدركت أن قواتها المسلحة قد باتت وهي أمام هزيمة مؤكدة، واستقالت وزارة الرئيس (سوزوكي). غير أن قوات جيش كوانتونغ استمرت في مقاومتها، فأصدرت هيئة الأركان العامة السوفييتية بياناً يوم ١٦ ـ آب ـ أغسطس ـ، جاء فيه:

«١ ـ إن الاعلان الذي أصدره أمبراطور اليابان يوم ١٤ ـ آب ـ أغسطس ـ باستسلام اليابان ما هو إلا مجرد تصريح عام بالاستسلام غير المشروط، ولم يصدر بعد الأمر إلى القوات المسلحة بايقاف الأعمال القتالية، ولا زالت القوات المسلحة اليابانية مستمرة في مقاومتها كالسابق، وبالتالي فإن القوات المسلحة اليابانية لم تستسلم بعد عملياً.

٢ ـ لا يمكن قبول استسلام اليابان إلا في اللحظة التي يصدر فيها أمبراطور اليابان أمره إلى قواته المسلحة بإيقاف الأعمال القتالية وإلقاء السلاح، وإلا عندما يوضع هذا الأمر موضع التنفيذ العملي.

٣ ـ وعلى أساس ما تقدم، فإن القوات المسلحة السوڤييتية تتابع في الشرق الأقصى عملياتها الهجومية ضد اليابان».

وفي اليوم التالي (١٧ آب ـ أغسطس ـ)، أصدر القائد العام لجيش كوانتونغ (الجنرال اوتودزو يامادا)، أمره ببدء المفاوضات مع القيادة العامة السوڤييتية في الشرق الأقصى. وأذاع الراديو في الساعة ١٥,٠٠ من اليوم ذاته التصريح التالي، الصادر عن هيئة أركان يامادا: «لقد أصدرنا، نحن قيادة جيش كوانتونغ، أمرنا صباح هذا اليوم بأن تتوجه طائراتنا حاملة ممثلينا فيما بين الساعة العاشرة والرابعة عشرة ـ حسب توقيت طوكيو ـ إلى المدن التالية ـ وذلك بهدف الوصول بسرعة إلى تنفيذ الأمر بإيقاف الأعمال القتالية: مودانتسزيان؛ وميشان؛ ومولين. ولإجراء الاتصال مع قيادة الجيش الأحمر. وتأمل هيئة أركان جيش كوانتونغ ألا يثير هذا التدبير أي سوء تفاهم».

وصلت إلى (فاسيليفسكي) في الساعة ١٧,٠٠ من يوم ١٧ ـ آب ـ أغسطس ـ برقية صادرة عن القائد العام لجيش كوانتونغ، أعلمه فيها بأنه قد أصدر أمره إلى القوات اليابانية بإيقاف الأعمال القتالية فوراً، وتسليم الأسلحة إلى القوات السوڤييتية. ثم قامت طائرة يابانية في الساعة ١٩,٠٠ فألقت على مقر قيادة جبهة الشرق

الأقصى الأولى، كتابين يتضمنان نداء هيئة أركان الجبهة الأولى من جيش كوانتونغ بإيقاف الأعمال القتالية كلها. ولكن الجنرال (فاسيليفسكي) أجاب على ذلك ببرقية أرسلها إلى (الجنرال يامادا) جاء فيها:

«لقد توجهت هيئة أركان جيش كوانتونغ إلى هيئة أركان القوات السوفييتية في الشرق الأقصى، باقتراح بالراديو لإيقاف الأعمال القتالية، ولكنها لم تذكر أية كلمة عن استسلام القوات المسلحة اليابانية في منشوريا، وتحولت القوات اليابانية في الوقت ذاته للهجوم المضاد في عدد من قطاعات الجبهة السوفييتية ـ اليابانية. وإني أعرض على قائد جيش كوانتونغ إيقاف الأعمال القتالية اعتباراً من الساعة ١٢,٠٠ من يوم ٢٠ آب ـ أغسطس ـ على امتداد الجبهة كلها، وإلقاء السلاح والاستسلاك للأسر. ولقد حددت الموعد المذكور أعلاه حتى تتمكن هيئة أركان جيش كوانتونغ من إيصال الأمر بإيقاف المقاومة والاستسلام للأسر إلى كافة قواتها. وسوف تتوقف القوات السوفييتية عن الأعمال القتالية وذلك حالما تبدأ القوات اليابانية بتسليم السلاح».

وأصدر ـ فاسيليفسكي ـ في الوقت ذاته أمراً إلى قائد جبهة الشرق الأقصى الأولى بأن يرسل ضباطاً من هيئة أركانه إلى مطاري (مولد تسزيان ـ و ـ مولين)، بعد تفويضهم بإبلاغ ممثلي هيئة أركان جيش كوانتونغ بأن القوات السوفييتية لن تتوقف عن الأعمال القتالية إلا عندما تبدأ القوات اليابانية بالاستسلام للأسر. وأجاب (يامادا)

بواسطة الراديو في الساعة ٣,٣٠ من يوم ١٨ آب ـ أغسطس ـ بأنه مستعد لتنفيذ كافة شروط الاستسلام للأسر.

أصدر (فاسيليفسكي) أمره إلى قادة جبهات ما وراء البايكال والشرق الأقصى الأولى والثانية يوم ١٨ آب ـ أغسطس ـ ، والذي تضمن ما يلي: «لقد انهارت مقاومة اليابانيين، ونظراً لأن الوضع الصعب للطرق يعيق بشدة التقدم السريع للكتلة الرئيسة لقواتنا أثناء تنفيذ الواجبات المحددة لها، ولأنه من الضروري الاستيلاء بسرعة على مدن تشانتشون وموكدين وغيرين وهاربين، فإن عليكم تشكيل مجموعات قتالية صغيرة وسريعة الحركة وجيدة التجهيز؛ يتم إعدادها إعداداً خاصاً واستخدامها لتنفيذ الواجبات، دون الخوف من ابتعادها عن قواتها الرئيسة».

وهكذا تم تشكيل هذه المجموعات ـ الفصائل ـ في جميع الجبهات من القطعات المدرعة ووحدات المشاة الميكانيكية، أو المحمولة على السيارات والمسلحة بالمدفعية ذاتية الحركة والأسلحة المضادة للدروع. وقد اندفعت هذه المجموعات لاحتلال الأهداف العسكرية والصناعية الهامة، وقبول استسلام الحاميات اليابانية. كما تم إنزال قوات للمظليين في مدن موكدن ـ موكدين ـ وتشانتشون وبورت آرثر ودالتي وهاربين وغيرين، ودخلت القوات المتقدمة ـ المجموعات ـ في أثر إنزال المظليين، وتبعتها وحدات جيش الحرس المدرع السادس إلى موكدين، وتشانتشون وبورت آرثر ودالتي.. واستسلم الجنود اليابانيون للأسر. كما أسر المظليون عندما استولوا على مطار موكدين يوم ١٧ آب ـ أغسطس ـ أمبراطور منشوريا

(هنري ـ بو ـ إي)(*) بينما كان يستعد وحاشيته ومستشاروه اليابانيون للسفر إلى اليابان. كما أسرت قوات المظليين في مطارها بين يوم ١٨ آب ـ أغسطس ـ رئيس هيئة أركان جيش كوانتونغ (العميد هيبو سابورو). وجرت المفاوضات معه لتنسيق التعاون بشأن المسائل المتعلقة باستسلام جيش كوانتونغ بكامله، والتوجه برفقة الأشخاص الذين تختارهم القيادة اليابانية على طائرة سوڤييتية إلى مركز قيادة جبهة الشرق الأقصى الأولى. ووافق (هيبوسابورو) على هذا العرض، وتم لقاء فاسيليفسكي معه ومع القنصل الياباني في (هاربين ـ مياكافا) في الساعة ١٥,٣٠ من يوم ١٩ آب ـ أغسطس ـ. وعرض فاسيليفسكي طلباته بشأن ترتيب الاستسلام، وتم تحديد مراكز التجمع والاستسلام وطرق التحرك ومواعيده.

وقبل (هيبوسابورو) بكافة الشروط، والتي كان منها استسلام القوات اليابانية مع ضباطها بشكل منظم، وأن تقوم القيادة اليابانية

(*) هنري بو. إي ـ من الأسرة التسينية ـ ولد سنة ١٩٠٦؛ وتم تنصيبه امبراطوراً على منشوريا سنة ١٩٣٣؛ ودعم بقوات يابانية. وكان الجنرال الياباني إيوسيوكا مستشاره الدائم ومرافقه الخاص. كما كانت السفارة اليابانية برئاسة قائد جيش كوانتونغ تتعاون معه تعاوناً وثيقاً. وقد أسرته القوات السوڤييتية؛ فقضى في الأسر مدة خمس سنوات قبل أن تسلمه إلى سلطات جمهورية الصين الشعبية بناء على طلبها. وقد احتفظ به حتى سنة ١٩٥٨ في معسكر لكبار المعتقلين. حيث أصدرت حكومة بكين أمرها بالعفو عنه. وأصبح عضواً في المجلس الشعبي الاستشاري لعموم الصين. وانصرف للعمل في حديقة النباتات التابعة لأكاديمية علوم جمهورية الصين الشعبية؛ وكتابة مذكراته. وأعلنت الصحافة الصينية نبأ وفاته في سنة ١٩٦٧.

بتأمين الطعام للأسرى، ولهذا عليها أن تستسلم مع مطابخها واحتياطاتها من المواد الغذائية. وانتهت العملية بأسر ١٤٨ جنرالاً يابانياً و٥٩٤ ألف ضابط وجندي. وعند نهاية شعر آب ـ أغسطس ـ تمت عملية نزع أسلحة جيش كوانتونغ وبقية القوى الموجودة في منشوريا وكوريا الشمالية بشكل كامل؛ كما تمت بنجاح عمليات الاستيلاء على ساخالين الجنوبية وجزر الكورال ـ الكوريل ـ.

لقد استمرت حملة القوات السوفييتية في الشرق الأقصى مدة ٢٤ يوماً، في حين لم تستمر الأعمال القتالية لأكثر من سبعة أو ثمانية أيام. وكان من أول نتائجها انتصار الحركة الشيوعية في الصين وكوريا الشمالية وفييتنام الشمالية. ولقد أثارت هذه النتيجة السريعة والحاسمة جدلاً كبيراً في وسط قيادات الحلفاء السوفييت والأمريكيين. فبينما يرى السوفييت أنهم بتدخلهم قد أنقذوا عشرات الآلاف ـ وحتى مئات الآلاف ـ من الجنود الأمريكيين الذين كان يحتمل سقوطهم لولا إلحاق الهزيمة بالقوات اليابانية، فإن الأمريكيين يعتقدون بأن القوات السوفييتية لم تفعل شيئاً أكثر من استثمار نتائج القصف الذري لليابان، الأمر الذي أرغم اليابان على الاستسلام، من قبل أن تبدأ القوات السوفييتية الحرب. وإقراراً بالواقع، فقد سقطت القنبلة الذرية الأولى على مدينة (هيروشيما) يوم ٦ آب ـ أغسطس ـ أي قبل بدء هجوم القوات السوفييتية في الشرق الأقصى بمدة ثلاثة أيام. كما تم إسقاط القنبلة الذرية الثانية على مدينة (ناغازاكي) يوم ٩ آب ـ أغسطس ـ أي في ذات اليوم الذي بدأت فيه القوات السوفييتية أعمالهاالقتالية. والمعروف عن اليابانيين شدة

بأسهم في القتال، وعنادهم في الحرب، وكفاءتهم القتالية العالية في الصراع المسلح، في حين أخذ هجوم القوات السوفييتية شكل مسيرة شاقة وطويلة، إلا أنها خالية من أخطار الحرب وأهوال الحرب. ولقد أكد القادة السوفييت أن الروح المعنوية للقوات اليابانية كانت منهارة تماماً.

ولا ريب إذن في أن (النار الذرية) قد مارست دورها في إحباط الإرادة القتالية لليابانيين، وأرغمتهم على الاستسلام المهين. وكان التدخل القوات السوفييتية دوره في تعجيل استسلام اليابانيين للقوات الروسية، الأمر الذي لم يكن ليحدث بمثل هذه السهولة أبداً لولا استخدام (النار الذرية) واستثمار نتائجها المادية والمعنوية.

وبالرغم من ذلك كله، فقد أظهرت القيادة الاستراتيجية في الشرق الأقصى (بقيادة فاسيليفسكي) كفاءة عالية في تنظيم الحرب وإدارتها على نحو ما سبق عرضه. ولا بد من الإشارة مرة أخرى هنا، إلى أن تنسيق التعاون بين العملاقين الكبيرين: الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي، ونجاحهما في تحطيم الأنظمة الفاشية الديكتاتورية في الغرب (ألمانيا وحليفتها أيطاليا) قد انعكس بصورة إيجابية على صفحة الصراع اليابانية، وكان له دوره الحاسم في إنهاء الحرب بسرعة وبطريقة حاسمة.

١٢ ـ فاسيليفسكي ـ القائد والإنسان

ووضعت الحرب أوزارها، وانصرف فاسيليفسكي لعمله في الجيش، وأصبح رئيساً لهيئة أركان الجيش، ثم وزيراً للدفاع. ولم تكن هذه المناصب على أهميتها معادلة لما تسلمه من قيادات أو مارسه من عمل في ظروف الحرب. ولكن الحرب أتعبته، وتركت في جسمه أثرها، فمضى لقضاء بقية سنوات عمره مع رفيقة دربه الطويل ـ زوجته ـ ولكتابة (قضية العمر) التي عاش بها وعاش لها، وللاحتفال ما بين فترة وأخرى بمناسبة من المناسبات التي تبعث السعادة في الذكريات الماضية.



مكافأة أخرى. م. إ. كالينين
وآ. م. فاسيليفسكي
تشرين الأول ١٩٤٥

وليس غريباً أن يرتبط قدر (فاسيليفسكي) بقدر (جوكوف) وبقدر (ستالين). فعندما غربت شمس حياة ستالين، لم يبق على (فاسيليفسكي) ورفاقه ممن عاشوا حياة الحرب وأحداثها إلا الانتقال إلى الظل، حيث حياة الهدوء والاستقرار، بعد حياة الصخب والضجيج. فماذا فعل فاسيليفسكي في حياته الصاخبة؟ وماذا قدم (لقضية العمر)؟ . . .

لقد تميزت حياة فاسيليفسكي القيادية بعدد من السمات الشخصية التي مكنته من تحقيق النجاح، والتي أهلته لممارسة دوره ـ فاعلاً ومنفعلاً ـ بالأحداث الصاخبة التي عاشها، والتي لم يكن أقلها أهيمة: الحذر الشديد، والثقة المطلقة بالذات، والقدرة على الإفادة من ميزات الآخرين وخصائصهم ـ بصرف النظر عن مشاعرهم وطبائعهم ـ، والتعلم من الآخرين والرغبة في نقل المعرفة، والقدرة على ضبط النفس حتى في أحرج المواقف وأصعبها. وقد يبدو لأول وهلة أن ثمة تناقضاً بين (طبيعة فاسيليفسكي الحذرة) وبين (ثقته المطلقة بالذات)، غير أن تحليل سلوك فاسيليفسكي، ودراسة مواقفه تبرز ذلك التكامل، وتنفي ظاهرة التناقض. فعندما أسندت القيادة إلى فاسيليفسكي منصب (قائد الفوج) وهو لا يزال في بداية حياته العسكرية، رفض تسلم هذا المنصب وما يتبعه من أعباء ومسؤوليات، وفضل البقاء في منصب نائب قائد الفوج (قائد ثان) وليس ذلك هرباً من المسؤولية، ولا رغبة في تحميل الأخطاء إلى الآخرين بالبقاء في المنصب الثاني، وإنما رغبة في التعلم من قادة توافرت لهم خبرة أكثر في ممارسة القيادة.

وهكذا، وبعد أن تعلم (فاسيليفسكي) متطلبات قيادة الفوج وأعماله، أمضى زهاء عشر سنوات وهو يتنقل في قيادات الأفواج، حتى تولى قيادة أفواج فرقته جميعها. وكذلك فعندما كلفته القيادة بقيادة فوج، كان يعاني من اضطراب في قيادته، أحجم عن قبول المنصب لأول وهلة ـ تجنباً للفشل المحتمل ـ ولكن عندما قبل المنصب، عمل على بذل كل جهد مستطاع حتى نقل الفوج إلى مستوى طليعة أفواج الفرقة تدريباً وانضباطاً واستعداداً قتالياً. وكذلك الأمر أيضاً عندما تم ترشيح فاسيليفسكي لاتباع دورة في كلية القيادة والأركان، اعتذر عن قبول الترشيح وبذل قصارى جهده حتى تم إعفاؤه من هذا الترشيح، في حين كان يتمنى كل قائد يطمح للمستقبل أن يتمكن من الالتحاق بهذه الدورة.



إ. ف. ستالين، ك.ك. روكوسوفسكي وآ. م. فاسيليفسكي على منصة ضريح ف.إ. لينين أثناء أحد الاستعراضات.



في قصر المؤتمرات في الكرملين يوم الذكرى الخمسين لتأسيس الجيش السوڤييتي
من اليسار إلى اليمين
ن. آ. شيلوكوف،
آ. م. فاسيليفسكي
آ. آ. غريتشكو،
س. م. بوديوني.

وإذن؛ فان موقف الحذر الذي هو من طبيعة (فاسيليفسكي)، لم يكن إلا وسيلته للتعلم وللإفادة من خبرات الآخرين؛ وللتزود من موارد المعرفة والعلم العسكري إلى الدرجة الكافية والتي تضمن النجاح. ولهذا، فعندما كان (فاسيليفسكي) يقبل العمل الموكل إليه، كان يقبل عليه وهو واثق من النجاح ثقة لا حدود لها، وقد أعد للنجاح عدته وهيأ له متطلباته وظروفه، وهنا يظهر التكامل بين (الحذر) وبين (الثقة). فالحذر ما هو إلا وسيلة مرحلية لدعم الثقة بمتطلباتها، وهي ليست الثقة الناجمة عن التهور أو عن سوء تقدير الأمور، والتي غالباً ما تورد صاحبها مورد الهلاك. ولقد كان شأن (فاسيليفسكي) في الحرب، كشأنه في السلم؛ فهو لا يقبل إجراء أي تعديل على مخططاته، أو الجدول الزمني المحدد لأعماله، إلا بعد دراسة لكافة الظروف بشكل موضوعي - على الطبيعة - (إنها الحرب؛ والحرب لا يصلح لها إلا الرجل المكيث، المتمهل، الذي يعرف وقت الإحجام والوقت المناسب للكر والهجوم). ويظهر من

ذلك أن طبيعة (فاسيليفسكي) الحذرة، لم تكن ناجمة عن الخوف أو الجبن أو الهروب من تحمّل المسؤولية، بقدر ما كانت ناجمة عن تقدير صحيح وعقلاني لمتطلبات الأمور.

لقد كان (فاسيليفسكي) يبحث باستمرار عن النجاح ـ حتى لو كان نجاحاً محدوداً في حدود الرتب الدنيا والمسؤوليات المحدودة ـ وليس من المهم بالنسبة له الوصول إلى الشهرة بسرعة، أو تسلم المناصب القيادية على عجل. إن الوقت متاح أمامه، والفرص لا بد وأن تكون مؤاتية، بشرط أن يستثمر عامل الوقت لإعداد الظروف المناسبة للنجاح. ولعل ذلك يفسر أسباب نجاح فاسيليفسكي في الأعمال التي اضطلع بها طوال سنوات الحرب. ولقد كان التعلم والتعليم هو أساس كل نجاح حققه (فاسيليفسكي) في حياته العسكرية، وهو لا يشعر إلا بالفخر والاعتزاز تجاه كل من قدم له العلم والمعرفة، وكل من يسر له سبل الحصول على الخبرة العملية. ولطالما أشاد، وقد وصل إلى أعلى المراتب العسكرية، واحتل أرفع المناسب القيادية، بفضل أولئك الذين كانوا معلمين له وموجهين. ويمكن هنا التوقف عند أحد الشواهد الكثيرة التي تبرز هذه الحقيقة وتؤكدها. ففي يوم ١٠ ـ نيسان ـ ابريل ـ ١٩٤٤، تلقى (فاسيلفسكي) أعلى وسام تمنحه القيادة السوفييتية، وهو (وسام النصر)، وذلك بحسب ما جاء في نص الأمر: «تقديراً للتنفيذ الناجح لمهمات القيادة العامة العليا في قيادة العمليات القتالية على مستوى كبير، والتي تحققت بنتيجتها نجاحات باهرة في قضية تدمير المحتلين الألمان الفاشيين».

وتلقى فاسيليفسكي برقيات التهنئة من عدد من القادة ـ رفاقه في السلاح ، غير أنه توقف عند واحدة منها ، فها هي برقية من رئيس هيئة الأركان السابق شابوشنيكوف والـذي كان فـاسيليفسكي قد عمل تحت قيادته في أول عمل أسند إليه في هيئة الأركان العامة ، وكان ـ شابوشنيكوف ـ يومها مريضاً ، فأسرع فاسيليفسكي لإرسال برقية شكر جاء فيها : «**أشكركم يا عزيـزي بوريس ميخائيلوفيتش على التهنئة . إن تنفيذي الناجح لأوامر القيادة العامة العليا ، وبالتالي مكافأتي الرفيعة جداً ، هما إلى حد كبير نتيجة لعملي سنوات طويلة تحت قيادتكم المباشرة . أتمنى لكم الصحة من كل قلبي المعترف بجميلكم . آ . فاسيليفسكي**» .

وإذا كـان ـ فاسيليفسكي ـ يعمـل بكـل جهـده للتعلم من الآخرين ، والاقتباس من خبرتهم وتجاربهم ، فإنه كان يعمل بجهد أكبر لتطوير ما تعلمه وما اقتبسـه بهدف نقله لمن هم دونـه معرفـة وخبرة ، ولوضع هذه المعرفة والخبرة موضع التطبيق العملي . ولهذا فإنه لم يكن مجرد أداة نقل ـ إذا ما جاز التعبير ـ بل إنه كان مبدعاً في النقل والتعلم وإيصال المعرفة وتعميمها . وقد توافرت له الدقة في الملاحظة لاكتشاف مواطن الخطأ والصواب بسرعة ، مما كان يساعده على تقويم الأخطاء وتصحيحها بسرعة ، والعمل على دعم ما هـو صحيح وتطويره . وبقي محافظاً على نهجه هذا طوال حياته القيادية . ولقد ارتبطت هذه الفضيلة عند (فاسيليفسكي) بفضيلة أخرى هي اكتشـافه لمـزايا الآخـرين وصفاتهم وطبـائعهم ، واعترافـه بالمـزايا والخصائص المتوافرة للآخرين وامتداحها . فهو في حديثه عن القادة

ممن عرفهم، يذكر لهم فضائلهم ويعترف لهم بجهودهم وإبداعهم. والمهم من الأمر هو أن هذه الفضيلة كانت تساعد ـ فاسيليفسكي ـ على إيجاد الصيغة المناسبة للتفاهم مع الآخرين ـ من القادة ـ بسرعة، والإفادة من قدراتهم وإمكاناتهم، ووضعها جميعها لخدمة الهدف المشترك وهو تحقيق النجاح.

لقد عمل (فاسيليفسكي) في القيادات، وفي هيئات الأركان، لمدة طويلة، فاكتسب بذلك القدرة على التعامل مع مشكلات القيادات وهيئات الأركان، فإذا كان عمل القيادة يعتمد على (القرار)، فإن عمل هيئة الأركان يعتمد على (تنفيذ القرار) وإعداد متطلباته، وتنسيق التعاون بين القوى المشتركة جميعها لبلوغ الهدف.

ولقد تميز فاسيليفسكي بقدرة عالية على تنسيق التعاون بين الفيالق والجيوش والجبهات في جميع أنواع القتال (التصادمي والهجومي والدفاعي)، وعلى كافة المستويات. وكان لا بد من الاصطدام ـ ما بين فترة وأخرى ـ بعقبات كثيرة، كان من شأن بعضها أحياناً أن يستنزف قدرة الصبر لدى الإنسان القائد، وأن يدفعه ليفقد السيطرة على أعصابه. غير أن فاسيليفسكي استطاع دائماً المحافظة على رباطة جأشه، ولقد شهد له بذلك رؤساؤه ومرؤوسوه على السواء. فهو القائد الهادىء دائماً حتى في أقسى الظروف وأشدها حلكة وظلاماً؛ وهذا لا يعني بداهة أنه كان فاقد الإحساس ـ متبلد ـ وإنما كان على النقيض من ذلك، فقد تميز بإحساسه المرهف، ومشاعره الرقيقة؛ إلا أنه توافرت له القدرة لضبط انفعالاته ومشاعره وأحساسيه، إلى درجة مكنته من الاحتفاظ

بتفكيره الهادىء والمتزن في كافة الظروف والأحوال.

لقد تشكلت في ظروف الحرب قائمة لا نهاية لها ولا حصر، ضمت أسماء القادة ممن كان لهم دورهم الحاسم في صنع أحداث الحرب، وفي التأثير على مسيرتها ومجراها. ولقد شهدت قائمة هؤلاء القادة صعوداً وهبوطاً وتأرجحاً؛ كان بعضهم في بداية الحرب يحتل مرتبة القمة، ثم تدحرج عنها ليفسح المجال لمن هو أكثر كفاءة وأوفر قدرة. وكان بعضهم في مرتبة أدنى ثم صعد إلى إحدى القمم ولم يتجاوزها إلى القمة الأعلى، وسقط بعض آخر من القمة إلى الحضيض. ويمكن التحدث عن أخطاء أدت إلى ظهور مثل هذه الظواهر.

كما يمكن التحدث عن تقلب في مزاج القائد الأعلى - ستالين - مارس دوره في إبعاد البعض عن (خط الذرى). كما يمكن التحدث أيضاً عن ضربات الحظ عندما تصيب البعض من القادة، وتجافي الآخرين، ممن توافرت لهم كفاءة تؤهلهم للصعود نحو ذرى القيادات. ولكن ذلك كله يشكل استثناء محدوداً في إطار الحشد الضخم لجموع القادة الذين أبرزتهم ظروف الحرب، وبقيت القاعدة الاساسية في الصعود معتمدة على (الكفاءة الشخصية). وإذا كان ماريشال الاتحاد السوفييتي - جوكوف - قد احتل المرتبة الأولى في ذروة إدارة الحرب وقيادتها، فقد احتل فاسيليفسكي المرتبة الثانية، وعلى المستوى ذاته، ولم يصل إلى هذه المرتبة إلا بعد جهد مستمر، وعلى خط صعود ثابت، لا تأرجح فيه ولا اهتزاز، لا تعثر فيه ولا سقوط، تقدم مطرد، ونجاح متلاحق. وكان لا بد عبر هذه المسيرة

الثابتة من ظهور اختلافات في وجهات النظر بينَ القادة، تجاه بعض المواقف. ولكن (فاسيليفسكي) برهن المرة بعد المرة أنه كان على حق في مواقفه. فبينما كان القادة الآخرون يعتمدون في تحليلهم ومواقفهم على ما كان يقع تحت أبصارهم (على مستوى الجيوش أو حتى على مستوى الجبهة)، كان هو ـ فاسيليفسكي ـ يعتمد على رؤيته الشاملة للموقف على كافة الجبهات، وعلى ما كان يحدث على مؤخراتها، دون إهمال لمتطلبات التأمين المادي والتقني للقوات، ودون إهمال لتطورات الموقف السياسي ـ الاستراتيجي على مستوى الحرب عامة. ولا ريب أن بقاء فاسيليفسكي على اتصال مستمر مع القيادة العليا ـ الاستراتيجية ـ ومع هيئة الأركان العامة، قد وفر له الظروف المناسبة لرؤية الأحداث بصورتها الشاملة. ولكن المهم ـ بالنسبة لفاسيليفسكي، هو أن هذه الصورة الشاملة لم تحجب عن عينيه رؤية التفاصيل الدقيقة، لما تحتويه الصورة من جزئيات دقيقة، إلا أنها مؤثرة تأثيرًا كبيراً في (صنع القرار ـ وتنفيذه).

وتبقى بعد ذلك صورة فاسيليفسكي الإنسان في علاقاته مع أهله وأقاربه ومرؤوسيه ورؤسائه؛ وهي علاقات تأثرت في ظروف التحولات الاجتماعية الناجمة عن (الثورة الروسية) وما طرحته من قيم جديدة، إلا أن ـ فاسيليفسكي ـ بقي مستمراً في البحث عن وسيلة للتوفيق بين قيمه القديمة وبين القيم الجديدة في اطار (العلاقات الإنسانية الشاملة).

بسام العسلي

قـراءات

إن الفظاظة ليست علامة من العلامات المميزة لشخصية القائد العسكري.

فاسيليفسكي

---

١ ـ لماذا لم يصبح فاسيليفسكي قساً؟

٢ ـ فاسيليفسكي وحديث عن القيادة.

٣ ـ توجيه للعمليات (خطوط الفصل).

٤ ـ نداء فاسيليفسكي إلى حامية (كينيغسبيرغ) بالاستلام.

٥ ـ القائد في مواجهة (مأزق).

٦ ـ قادة عرفهم فاسيليفسكي وعمل معهم:

أ ـ تيموشنكو. ب ـ روكوسوفسكي.

ج ـ زاخاروف. د ـ تشويكوف.

هـ ـ سوكولوفسكي. و ـ يريمنكو.

ز ـ كونيف. ح ـ موسكالينكو.

ط ـ مالينوفسكي. ي ـ باغراميان.

قراءات
١

لماذا لم يصبح فاسيليفسكي قساً؟

كان والد (فاسيليفسكي) قساً في أحد الأديرة. وعندما انتسب فاسيليفسكي إلى الحزب الشيوعي، قطع كل علاقة له بأسرته، تنفيذاً لتعليمات الحزب وأوامره. ومضت على ذلك سنوات. وذات يوم، وبينما كان فاسيليفسكي يتناول طعام الغذاء على مائدة ستالين، باغته ستالين بالسؤال التالي: **لماذا لم تصبح قساً بعد تخرجك من المدرسة الدينية الكنسية؟**». وأجاب فاسيليفسكي وقد شعر ببعض الاضطراب:

ـ «لم تكن لدي الرغبة، ولا عند والدي، في أن يصبح أحد الإخوة الأربعة رجل دين».

وهنا علق ستالين على ذلك وهو يبتسم بشاربيه: «هكذا، هكذا، انتم لم تكن لديكم مثل هذه الرغبة. هذا واضح. أما أنا وميكويان فقد أردنا أن نصبح خوارنة ـ قسساً ـ ولكنهم لم يقبلونا لسبب ما، ولم نعرف لماذا حتى الآن». ثم عاد ستالين فوجه حديثه إلى فاسيليفسكي: «قل لي من فضلك! لماذا لا تساعد أنت ولا إخوتك والدكم من الناحية المادية؟ إني أعرف أن أحد إخوتك طبيب، وآخر مهندس زراعي، والثالث طيار قائد وحالته جيدة. أعتقد أنه باستطاعتكم جميعاً أن تساعدوا والديكم. ولو فعلتم ذلك لكان العجوز قد تخلى منذ فترة طويلة عن كنيسته. فقد كانت الكنيسة

ضرورية بالنسبة له حتى يعيش بشكل ما». وأجاب فاسيليفسكي:

«لقد قطعت كافة العلاقات مع أهلي منذ عام ١٩٢٦ ـ ونحن الآن في ربيع سنة ١٩٤٠ ـ ولو تصرفت خلاف ذلك، لما كنت الآن في عداد حزبنا على ما أعتقد، وربما لم تتح لي فرصة الخدمة في جيش العمال والفلاحين، ولما أصبحت بصورة خاصة في إطار هيئة الأركان العامة. ولقد تلقيت رسالة من والدي للمرة الأولى قبل بضعة أسابيع ـ وكانت كافة استمارات خدمتي التي ملأتها تشير إلى أنه ليست لي أية علاقة مع والدي ـ فقمت بتسليم هذه الرسالة فوراً إلى أمين منظمتي الحزبية الذي طلب مني المحافظة على سلوكي السابق في علاقتي مع أهلي».

وتظاهر ستالين بالدهشة؛ وكذلك فعل أعضاء المكتب السياسي الذين كانوا حضوراً على مائدة الغداء. وقال ستالين: «يجب عليك إعادة علاقتك بأهلك مجدداً وعليك أن تقدم لهم مساعدة مادية منتظمة؛ وسأطلب السماح بذلك من المنظمة الحزبية لهيئة الأركان العامة».

ومضت سنوات. وذات يوم أيضاً، بوغت فاسيليفسكي من جديد عندما سأله ستالين: «أين هما والداك؟ وكيف يعيشان؟» فأجاب فاسيليفسكي: «لقد توفيت والدتي. أما والدي ذو الثمانين عاماً، فيعيش عند ابنته الكبرى في كينيشما، والتي كانت معلمة سابقة وفقدت زوجها وابنها أثناء الحرب الوطنية العظمى». فقال ستالين: «ولماذا لا تضم والدك، وربما أختك إليك؟ ربما أصبحت حالهم هنا

ليست أسوأ من حالهم هناك؟»(*).

قراءات

٢

فاسيليفسكي ـ وحديث عن القيادة

أحب أن أقول قبل كل شيء بضع كلمات في موضع (القائد العسكري) ذاته. وأعتقد أن وجهة نظرنا في أدب الحرب والتي تربط مفهوم (القائد العسكري) بالقيادة على المستوى الاستراتيجي، وعلى مستوى العمليات هي وجهة نظر صحيحة. وإنه لأمر صحيح أيضاً اعتبار أولئك القادة الذين أبدعوا في فن الحرب وأظهروا موهبة مميزة، وأبدوا شجاعة وإرادة للنصر في ميادين القتال، هم من طبقة القادة العسكريين الذين يعتبرون نموذجاً (للقائد العسكري).. وليس للعمر ـ أو السن ـ دخل في ذلك، وإن الكفاءة وأهلية القيادة هي مسألة شخصية لا علاقة للعمر فيها.

إن الحرب هي أقسى امتحان للقدرة على قيادة القوات. ومن الطبيعي جداً أن لا يجتاز جميع القادة المعينين لقيادة الجبهات أو الجيوش هذا الامتحان بشرف، وينزعوا الاعتراف بهم كقادة عسكريين. وكان المقياس النهائي للعمل القيادي العسكري الناجح خلال سنوات الحرب، بالطبع، هوفن تنفيذ المهمات الاستراتيجية على مستوى عمليات الجبهات والجيوش، وإنزال الهزائم الكبيرة

(*) قضية العمر ـ ترجمة سعيد أحمد ـ ص ١٢٩ ـ ١٣٠.

بالعدو. وقد تمكن قادة الجبهات والجيوش بشكل عام من القيام بذلك بنجاح، وهذا ما تؤكده كافة العمليات الهجومية؛ حيث كانت كل واحدة منها برهاناً على الشجاعة والتصميم الحازم، ومثالاً رائعاً لتنظيم تلك العمليات وتأمينها مادياً ومعنوياً، وتنسيق التعاون بين مختلف أنواع صنوف القوات المشتركة فيها، والكفاءة العليا في قيادتها أثناء سير العمليات، وكذلك الاستجابة الفورية والصحيحة لجميع التبدلات المعقدة في الموقف القتالي والعملياتي. وبنتيجة هذه الأعمال كان يتم ضرب العدو لا بالعدد بل المهارة والكفاءة.

بدهي ألا يتشابه القادة جميعاً؛ فلكل طريقته الخاصة في أسلوب قيادته العسكرية، ولكل نهجه في تنظيم علاقاته مع القادة المرؤوسين ومع الضباط في هيئة الاركان، وذلك تبعاً لخبرته السابقة ولما يتوافر له من ميزات شخصية.

هناك البعض ممن يحاولون المطابقة بين قوة الشخصية والفظاظة ـ القسوة ـ لدى القائد العسكري. وقد يتصادف بالطبع ظهور تصرفات فظة لدى بعض القادة العسكريين أحياناً، ولكن لا يجوز الخلط بين قوة الشخصية والفظاظة. وأنا أعتبر أن الفظاظة ليست علامة من العلامات المميزة لشخصية القائد العسكري؛ وهي ليست عنصراً من عناصر قيادة القوات. **إن القضية كلها ـ في نظري ـ هي في مقدرة القائد العسكري على التحكم بنفسه. وصلت مرة من الجبهة إلى القيادة العامة. كانت الأمور تسير بشكل جيد على الجبهة وكان القائد الأعلى ـ ستالين ـ راضياً عن العمل وأذكر أنه قال مازحاً:**

ـ «يا رفيق فاسيليفسكي؛ ها أنت تقود كل هذه الجمهرة من القوات؛ وتفعل ذلك بشكل لا بأس به، رغم أنك لم تؤذ ذبابة في حياتك».

وأقول بصراحة، إنه لم يكن من السهل دائماً الاحتفاظ بالهدوء، وعدم السماح للنفس بالصراخ ورفع الصوت. ولكن.. يصادف أنك تشد قبضتك إلى درجة الألم. تسكت وتمسك عن السباب والصراخ. إن القدرة على التصرف بوقار في معاملة المرؤوسين هي صفة أكيدة من صفات القائد العسكري.

قراءات
٣

توجيه للعمليات (خطوط الفصل)

تميز فاسيليفسكي بقدرته على اكتشاف الأخطاء التي يقع فيها القادة بسرعة؛ فكان يسرع لتقويم الأخطاء ويصدر التعليمات والدروس المستخلصة ويعممها، مما أسهم في تطوير فن الحرب. وكانت هذه التعليمات والتوجيهات كثيرة؛ منها هذا التوجيه في التعامل مع (خطوط الفصل) التي تحدد قطعات العمل بين القوات (الجبهات والجيوش):

«ينظر قادة الجبهات والجيوش أحياناً أثناء تنفيذ العمليات الهجومية، إلى الخطوط المحددة لهم، وكأنها حواجز وفواصل لا يمكن تجاوزها أو تخطيها ـ حتى لو كانت مصالح القضية والموقف المتبدل أثناء سير العملية يتطلبان ذلك ـ وبالنتيجة تسير جيوشنا أثناء الهجوم

إلى الأمام بشكل مستقيم ضمن خطوطها المحددة لها، دون أن تلتفت إلى جوارها، وبدون إجراء المناورة التي يتطلبها الموقف، ودون أن تساعد بعضها بعضاً، فتسهل بذلك على العدو المناورة، وتقدم له توجيه الضربات المتفرقة إلى قواتنا القائمة بالهجوم.

توضح القيادة العامة أن خطوط الفصل لا تحدد سوى مسؤولية القادة عن قطاع أو منطقة مكانية معينة، ينفذون فيها المهمة القتالية التي تلقوها، ولكن لا يجوز النظر إليها على أنها حواجز ثابتة لا يجوز للجيش تجاوزها أو تخطيها. إن الموقف يتبدل كثيراً خلال سير العمليات، ويجب على القائد أن يستجيب بشكل سريع وصحيح لتلك التبدلات، وأن يناور بتشكيلاته أو جيوشه، دون أن يأخذ عندئذ بعين الاعتبار الخطوط الفاصلة المحددة له.

إن هيئة القيادة العامة العليا، إذ تقوم بهذا الإيضاح، تسمح لقادة الجبهات وتعطيهم الحق بتغيير الخطوط الفاصلة بين جيوش الجبهة أثناء سير العمليات، وتبديل اتجاه ضربات جيوش معينة حسب الموقف، بشرط أن يبلغوا القيادة العامة بذلك فيما بعد.

على قادة الجبهات إيضاح مضمون هذا التوجيه فوراً لكافة قادة الجيوش*

هيئة القيادة العامة العليا

إ. ستالين **آ. فاسيليفسكي**

(*) قضية العمر - ص ٦٣١ - ٦٣٢

قراءات
٤

نداء فاسيليفسكي إلى حامية كينيغسبيرغ بالاستسلام

اجتاحت القوات السوفييتية أقاليم (بروسيا الشرقية)، ولم يبق سوى مجموعة ألمانية من ٨ فرق ـ من بينها فرقة مدرعة ـ. وكانت نتيجة الصراع مقررة مسبقاً؛ ولكن فاسيليفسكي رغب في تجنب الصراع توفيراً للجهد؛ فوجه يوم ١١ نيسان ـ أبريل ـ ١٩٤٥ النداء التالي:

«إلى القادة ـ الجنرالات ـ والضباط والجنود الألمان الباقين في زيملاندا ـ من قائد القوات السوفييتية في جبهة بيلاروسيا الثالثة ـ مارشال الاتحاد السوفييتي فاسيليفسكي:

إنكم تعلمون جيداً أن الجيش الألماني بكامله قد تعرض للهزيمة التامة. وقد وصلت القوات الروسية الآن إلى ڤيينا وضواحي برلين، كما وصلت القوات الحليفة إلى مسافة ثلاثمائة كيلومتر شرقي الراين، واحتلت بريمين وهانوفر وبراون شفيغ واقتربت من لايبزيغ وميونيخ. إن نصف ألمانيا بيد الروس والحلفاء. وقد سقطت في قبضتهم إحدى أقوى قلاع ألمانيا (وهي كينيغسبرغ) في مدة ثلاثة أيام. وقد قبل قائد حامية القلعة جنرال المشاة ـ لاش ـ الشروط التي اقترحتها للاستسلام، واستسلم مع القسم الأكبر من الحامية. وبلغ مجموع الألمان الذين استسلموا للأسر ٩٢ ألف جندي و١٨١٩ ضابطاً وأربعة جنرالات.

أيها الضباط والجنود الألمان الباقون في زيملاندا! لقد أصبح وضعكم الآن، بعد سقوط كينيغسبيرغ، آخر ركيزة للقوات الألمانية في بروسيا الشرقية، ميؤوساً منه تماماً، ولن يرسل أحد لكم المساعدة. وتفصلكم عن خط الجبهة المارة قرب شتيتن ٤٥٠ كم، وقد قطعت الغواصات الروسية الطرق البحرية إلى الغرب. إنكم الآن في عمق مؤخرة القوات الروسية، وتقف أمامكم قوات الجيش الأحمر المتفوقة بمرات عديدة. إن القوة إلى جانبنا، ولا فائدة من مقاومتكم على الإطلاق، ولن تؤدي إلا إلى هلاككم وإلى وقوع ضحايا كثيرة من بين السكان المدنيين المحتشدين في منطقة بيلاو.

إنني تجنباً لسفك الدماء دون جدوى ولا فائدة، أطلب إليكم إلقاء السلاح خلال فترة أربع وعشرين ساعة، والتوقف عن المقاومة، والاستسلام للأسر. إن الحياة والغذاء الكافي والعودة إلى الوطن بعد الحرب مكفولة لكافة القادة ـ الجنرالات ـ والضباط والجنود الذين يكفون عن المقاومة، وستقدم الإسعافات الطبية لكافة الجرحى والمرضى. إنني أعد كافة المستسلمين بالمعاملة اللائقة بالجنود. وسيسمح للسكان الآمنين بالعودة إلى مدنهم وقراهم للعمل السلمي.

إن هذه الشروط سارية بشكل متساو بالنسبة للتشكيلات والأفواج والوحدات والجماعات والأفراد؛ وإذا لم ينفذ طلبي بالاستسلام خلال مدة ٢٤ ساعة، فستتعرضون للإبادة. أيها الضباط والجنود الألمان! إذا لم تقبل قيادتكم إنذاري فتصرفوا بأنفسكم. أنقذوا حياتكم. استسلموا للأسر.

قائد القوات السوفييتية في جبهة بيلاروسيا الثالثة ـ مارشال الاتحاد السوفييتي فاسيليفسكي. الساعة ٢٤,٠٠ حسب توقيت موسكو ١١ نيسان ـ أبريل ـ ١٩٤٥»(*).

قراءات
٥

القائد في مواجهة (مأزق)

جابه فاسيليفسكي في حياته القيادية عدداً كبيراً من المآزق التي يجابهها كل قائد في حياته العسكرية، وتختلف عادة ردود فعل القادة تجاه مثل هذه المآزق. ويمكن اعتبار رد فعل فاسيليفسكي نموذجاً لما يجب أن يكون عليه سلوك القائد:

١ ـ كان فاسيليفسكي في منتصف شهر آب ـ أغسطس ـ ١٩٤٣ ينسق التعاون بين الجبهات العاملة على اتجاه (خاركوف). وكان عمله يتطلب منه التنقل باستمرار بين قيادات الجبهات والجيوش والفيالق. وتلقى في الصبح الباكر من يوم ١٧ آب ـ أغسطس ـ وهو في مقر القيادة المتقدم للجيش ٤٦ برقية صادرة عن القائد الأعلى إ. ف. ستالين. وقرأ فيها:

«إلى المارشال فاسيليفسكي!

مضت حتى الآن ثلاث ساعات وثلاثون دقيقة من يوم ١٧ آب ـ أغسطس ـ ولم تتكرموا بعد بإرسال تقريركم إلى القيادة العامة

(*) قضية العمر ـ ص ٥٨٧ ـ ٥٨٨.

عن نتائج عمليات يوم ١٦آب أغسطس وعن تقويمكم للموقف. لقد كلفتكم منذ مدة طويلة، وخولتكم مطلق الصلاحية، بالنيابة عن القيادة العامة، لإرسال تقرير إلى القيادة العامة عند نهاية كل يوم، لإيضاح التقارير الخاصة بسير العمليات. وقد تجاهلتم مهمتكم هذه في كل مرة تقريباً، ولم ترسلو التقارير إلى القيادة العامة. وإن يوم ١٦ ـ آب ـ أغسطس ـ هو اليوم الأول لعملية هامة على الجبهة الجنوبية الغربية، حيث أنت المفوض المطلق الصلاحية للقيادة العامة فيها. وها قد نسيتم مجدداً واجبكم تجاه القيادة العامة ولم ترسلوا التقرير. أحذركم للمرة الأخيرة، إنكم في حال نسيانكم مرة واحدة بعد الآن لواجبكم أمام القيادة العامة، فستنحون عن منصب رئيس هيئة الأركان العامة، وستستدعون إلى القيادة من الجبهة. إ. ف. ستالين».

لقد شعر فاسيليفسكي بهزة عنيفة تجتاحه وهو يقرأ برقية القائد الأعلى. فهو لم يتلق طوال سنوات خدمته العسكرية كلها، أية ملاحظة صغيرة أو تأنيب. وكان كل ذنبه في الحالة المذكورة هو أنه أمضى يوم ١٦ آب ـ أغسطس ـ مع قوات جيش ف. ف. غلاغوليف، فاضطر للتأخر في إرسال التقرير اليومي لبضع ساعات قليلة. وكان فاسيليفسكي يشعر طوال عمله مع إ. ف. ستالين، لا سيما خلال فترة الحرب الوطنية العظمى ـ الحرب العالمية الثانية ـ بأن ستالين كان يوليه رعاية خاصة واهتماماً مميزاً، فكان ذلك سبباً إضافياً في شعور فاسيليفسكي بأنه قد تلقى إنذاراً لا يستحقه. وتساءل: ما الذي حدث؟

ولـدى عـودة فـاسيليفسكي إلى مقـر قيـادة الجبهـة اتصـل هـاتفياً بنـائبه الأول في هيئـة الأركان العـامة ـ أ. إ. انتـونـوف ـ فشعـر بأن هـذا كان بـدوره قلقـاً ممـا حـدث، وسعى لـطمـأنتـه بشتى السبل، وقال له بأن التقرير الذي هاجمه ستالين من أجله قد وصل الى هيئة الأركان العامة، وأنه تم إبلاغه إلى القيادة العامة. وأضاف أنتونوف مطمئناً فاسيليفسكي بأنه قـد تلقى توجيهـاً من ستالين بعدم إطلاع أحد على البرقية والاحتفاظ بها، كما أبلغه بأن التطور البطيء للهجوم على جبهات فارونيج والسهوب والجنـوبية الغربية يثير إلى حد كبير قلق القائد الأعلى، فلما لم يتلق التقـرير، حاول الاتصال هاتفياً؛ فلما لم يتمكن من ذلك أرسل البرقية. ولم يلبث أن تجـاهل ستـالـين بـرقيتـه عنـدمـا التقى بعـد ذلـك مـع فاسيليفسكي؛ وكذلك فعل هـذا إذلم يشر إليها من قريب ولا بعيد.

٢ ـ كان فاسيليفسكي يعمل في شهر كانون الثاني ـ ينايـر ـ ١٩٤٥ عـلى تنسيق التعاون، ممثـلاً للقيادة العـامة، عـلى جبهات البلطيق. وذات يوم، وبينما كان ينتقل من مقر قيادة جبهة يريمنكو إلى قيادة جبهة باغراميان، بوغت بانطلاق سيارة (ويللز) نحوه بسرعة هـائلة، وكان يجلس ضـابط شاب وراء المقـود. ولم تتمكن سيارة فـاسيليفسكي من الانحراف أو التـوقف عندمـا صدمته السيارة المهـاجمة، وطـار فاسيليفسكي ومن معـه من الضبـاط إلى خـارج السيارة. ونهض فاسيليفسكي بصعوبة وعناء؛ وهو يشعر بألم شديد في رأسه وفي جانبه، ونظر فإذا بملازم أول يقترب منه، وقد امتقع وجهه من الخوف، وناوله مسدسه وقال له بصوت متهدج:

ـ أيها الرفيق المارشال. أطلق النار عليَّ، إنني أستحق ذلك.

كان الضابط إما ثملاً، وإما هلعاً لشدة الصدمة. فأمره فاسيليفسكي بإبعاد مسدسه، والذهاب إلى قطعته، والإبلاغ عما حدث. وبقي فاسيليفسكي عشرة أيام ملازماً لمقر القيادة، واضطر للدفاع عن المذنب ـ الملازم الأول ـ لأنهم كانوا يعتزمون تقديمه إلى محكمة عسكرية. وكان هذا الملازم الأول قائداً لسرية استطلاع متقدمة. وكان قد قام في تلك الليلة بالذات بتنفيذ عملية بالغة الخطورة بشكل رائع. وكم كان فاسيليفسكي سعيداً عندما علم بعد فترة أن هذا الملازم الأول قد حصل على لقب «بطل الاتحاد السوفييتي» لقاء ما قام به من أعمال خطرة وما نفذه من واجبات مهمة.

قراءات
٦

قادة عرفهم فاسيليفسكي وعمل معهم
آ ـ تيموشنكو سيميون كونستانتينوفيتش
TIMOCHENKO-SEMYON-KONSTANTINOVITCH
١٨٩٥ ـ ١٩٧٣

ولد سيميون كونستانتينوفيتش تيموشكنو ـ الملقب بمعلم الجيش الأحمر ـ في ١٨ شباط ـ فبراير ـ ١٨٩٥. وكان أبوه فلاحاً فقيراً في فورمانكا بمقاطعة بسارابيا؛ فكان فقره سبباً في انصرافه عن التعليم إلى العمل في الزراعة حتى شمله قانون التجنيد سنة ١٩١٥، فعمل

جندياً في أحدى فصائل المدافع الرشاشة ، ثم في فرقة الفرسان الرابعة. وخاض معارك الحرب الأهلية في تسارتيزين (ستالينغراد) في تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩١٨ . ثم اشترك في الحملة البائسة على بولندا، وأصيب خلالها بجراح خطيرة. وقد استرعت شجاعته وكفاءته انتباه ستالين وبوديوني وفوروشيلوف. وقد فتحت حياة الجيش التي أحبها، أمامه آفاق العلم والتعليم؛ فانصرف للتعلم بشغف للتعويض عما فاته من العلم والثقافة. والتحق بالأكاديمية الحربية، ثم أصبح سنة ١٩٢٥ مساعداً لقائد فيلق الفرسان الثالث: وأمضى وقته إما طالباً متعلماً أو مدرساً ومدرباً؛ واشترك في المناورات العسكرية في عدد من المناطق العسكرية ، (خاصة في القوقاز وخاركوف وكييف) وشغل قيادة عدد من المناطق العسكرية وكان من أقواله: «علينا أن نخصص كل شي للحرب إذا ما اضطررنا للقتال. يجب توجيه حياة الأمة كلها للمجهود الحربي، وعلينا ألا نحيد أبداً عن هذا المبدأ» و «إن الافتقار إلى الانضباط والكفاءة هو جريمة؛ ولن أسمح مطلقاً بأي تهاون أو إخلال بأسس الانضباط». وقد اسندت الى ـ تيموشنكو سنة ١٩٣٩ إدارة الحرب ضد فنلندا، بعد أن منيت القوات السوڤييتيه بعدد من الهزائم. وحقق تيموشنكو نصراً حاسماً، مما حمل ستالين على منحه رتبة مارشال ووسام لينين ولقب (بطل الاتحاد السوڤييتي) ثم عينه في ٨ أيار ـ مايو ـ ١٩٤٠ مستشار الشعب للدفاع (وزير الدفاع)، فانصرف لتدريب القوات على أساس الدروس المستخلصة من الحرب ضد اليابانيين (خالخين غول) وضد الفنلنديين. وكان من أقواله: «إن التفوق في العدد

والوسائط القتاليـة لا قيمة له إذا لم تتصف القوات بدرجة عالية من المبادأة وقوة الابتكار» .

وعندما اجتاحت القوات الألمانية حدود الاتحاد السـوڤييتي ، تـولى تيموشنكـو قيادة الجبهـة الغربيـة وأمكن له تحقيق عـدد من الانتصارات في إحباط الهجمات الألمانية واستنزافها في معارك متتالية . وتنقل بعد ذلـك في قيادة عـدد من الجبهات ، وعمـل على تنسيق التعاون بين الجبهات (في تحريـر القرم وأوكـرانيا) ، ثم انتقـل الى الصين (١٩٤٥ ـ ١٩٤٧) حيث عمل على تنظيم قوات ماوتسي تونغ وتدريبها . وعين قائداً لمنطقة منسل العسكرية (١٩٥٥ ـ ١٩٦٠) . وانتخب سنة ١٩٦٢ نائباً عن كازاخستان في مجلس السوڤييت الأعلى لمدة ٤ سنوات ، وانصرف لقضـاء حياتـه بعد ذلـك في عزلـة عن الأضواء والشهرة . وقد وصف في الحرب (بالمنتقم) و(الشيطان الذي يـدمر خـطط هتلر) ووصفه ستـالين بقـوله إلى رجـال الصحـافـة الأمريكيين (تيموشنكو هو جورج واشنطن الاتحاد السوڤييتي) .

ب ـ كونستنتين روكوسوفسكي
CONSTANTIN-ROKOSSOVSKI
١٨٩٦ ـ ١٩٦٨

ولد كونستنتـين كوستنتينـوفيتش روكوسـوفسكي قي مدينـة (فيليكي) غربي روسيا ؛ من أسرة عمالية . وعمل حجاراً في طفولته ، حتى إذا ما كانت سنة ١٩١٤ تم تجنيده في الجيش القيصري (في فوج الفرسان الثقيلة ـ دراغون ـ الخامس) ، ثم انضم إلى الجيش الأحمر

إثر قيام ثورة تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ١٩١٧ . واشترك في الحرب الأهلية وحروب التدخل الأجنبي (١٩١٨ ـ ١٩٢٠) وحصل على وسام (العلم الأحمر) لما أبداه من البطولة، وأصيب خلال هذه الحروب بعدد من الجراح . والتحق سنة ١٩٢٤ بمدرسة الخيالة العليا في لينينغراد، وهناك تعرف على عدد من زملائه الذين سيكون لهم دور في حياته من أمثال (جوكوف) و(بيرمنكو) و(بغراميان) . وفي بداية الثلاثينات رفّع روكوفسكي إلى رتبة عقيد وعين قائداً لفرقة الخيالة السابعة التابعة لفيلق الخياله الثالث، الذي كان يقوده (تيموشنكو)، ويتمركز في (مينسك ـ روسيا البيضاء) . ورفع سنة ١٩٤٠ إلى رتبة عميد؛ وأسند إليه وزير الدفاع وقتئذ (تيموشنكو) قيادة فيلق الخيالة الخامس، الذي انتقل الى أوكرانيا وأصبح تابعاً لقيادة قائد منطقة كييف العسكرية (جوكوف) الذي كان قد ارتقى سلم الرتب العسكرية بسرعة ووصل إلى رتبة فريق؛ في حين بقي (روكوسوفسكي) برتبة عميد ويعمل تحت قيادته، مما خلق نوعاً من الحساسية في علاقة القائدين الكبيرين رغم إعجاب كل واحد منهما بكفاءة الآخر، واعترافهما المتبادل بمواهبهما القيادية . وعندما نشبت الحرب واجتاحت القوات الألمانية أقاليم الاتحاد السوفييتي (١٩٤١/٦/٢٢) تولى روكوسوفسكي قيادة الدفاع على اتجاه نوفوغراد ـ فولينسكي ـ روفتو ـ لوتسك، فقاد الدفاع المتحرك بكفاءة عالية وخاض عدداً من المعارك الدفاعية الناجحة، ثم تولى قيادة جيش في الجبهة الغربية ـ تحت قيادة تيموشنكو ـ ودافع عن موسكو بأسلوب ناجح، أمكن له بواسطته تنظيم دفاع عميق أعاق القوات

الألمانية واستنزف قوتها. وقد اصطدم خلال الدفاع عن موسكو مع ممثل القيادة العليا (جوكوف) بسبب رغبة روكوسوفسكي في سحب قواته إلى ما وراء نهر إيسترا والإفادة من المانع المائي. وظهرت صحة وجهة نظره عندما أدى تصميم جوكوف على إبقاء قوات روكوسوفسكي في مواقعها إلى ما يشبه الكارثة. وتابع روكوسوفسكي قيادته بنجاح حتى تحرير موسكو وستالينغراد وتولى بعد ذلك قيادة عدد من الجبهات التي حررت روسيا البيضاء والبلطيق وبولونيا. وعين بعد الحرب وزيراً لدفاع بولونيا ومنح رتبة (مارشال بولونيا). ثم عين سنة ١٩٥٦ نائباً لوزير الدفاع السوڤييتي في موسكو، ثم عضواً في مجلس السوڤييت الأعلى. وتوفي في ١٩٦٨/٨/٣ ودفن قرب الكريملين، تقديراً لبطولته. وقد منح وسام لينين ٩ مرات، ولقب (بطل الاتحاد السوڤييتي) مرتين ووسام (العلم الأحمر) ٦ مرات، ووسام (سوفوروف ـ من الدرجة الأولى) ولقب مواطن شرف لعدد من المدن التي قام بتحريرها من النازيين.

ج ـ ماتفي فاسيليفيتش زاخاروف

MATAVEI. V. ZAKHAROV

١٨٩٨ ـ ١٩٧٢.

ولد ماتفي فاسيليفيتش زاخاروف في قرية (فريلوفو). واستدعي إلى الخدمة في الجيش سنة ١٩١٧، وخدم جندياً ثم انضم إلى الثورة الروسية؛ واشترك مع وحدات الحرس الأحمر في مهاجمة قصر الشتاء سنة ١٩١٧، وأصبح ضابطاً. وخدم في عدد من

الكتائب والألوية ثم التحق بكلية هيئة الأركان السوفييتية سنة ١٩٣٧ . وعين في ١٩٣٨/٧/١ مساعداً لرئيس هيئة الأركان العامة لشوون التعبئة والتنظيم ، وبقي في هذا المنصب حتى ١٩٤٠/٧/١٩ حيث عين رئيساً لهيئة أركان منطقة أوديسا العسكرية . وعندما نشبت الحرب بين ألمانيا النازية والاتحاد السوفييتي في ١٩٤١/٦/٢٢ عين زاخاروف رئيساً لهيئة أركان المحور الشمالي الغربي . وساهم أثناء معركة موسكو سنة ١٩٤١ في وضع خطط العمليات على جبهة (كالينين) في مرحلة الهجوم المضاد ، كما ساهم في معركة (لينينغراد) . وكان له دوره أيضاً في معركة (كورسك) وعند عبور نهر (الدنيبر) حيث كان رئيساً لهيئة أركان جبهة السهوب ؛ ثم رئيساً لهيئة أركان الجبهة الأوكرانية الثانية (تحت قيادة الماريشال مالينوفسكي) . وشارك في عملية (باسي كيشينيف) على الحدود الرومانية (١٩٤٤) . غير أن أكبر دور اضطلع به زاخاروف هو في تحرير عاصمة المجر (بودابست) ثم الاستيلاء على (فيينا) و(براغ) (١٩٤٥)، واختاره مالينوفسكي بعد ذلك رئيساً لهيئة أركان جبهة ما وراء البايكال (أثناء الحرب ضد اليابان سنة ١٩٤٥) . وأسندت إلى زاخاروف بعد انتهاء الحرب قيادة كلية الأركان (١٩٤٥ ـ ١٩٥٦) وعين بعدها قائداً للقوات السوفييتية في ألمانيا الديمقراطية، ورفع إلى رتبة مارشال الاتحاد السوفييتي سنة ١٩٥٩، وشغل منصب رئيس هيئة الأركان العامة السوفييتيه ، ونائباً لوزير الدفاع السوفييتي، (١٩٦٠ ـ ١٩٦٣) وتوفي في موسكو في ١٩٧٢/١/٣١ .

لقد اشتهر (زاخاروف) من خلال عمله في هيئات الأركان ؛

فهو لم يتول قيادة للجبهات أو الجيوش، وعمل رؤساء هيئات الأركان عادة يبقى في الظل؛ ولكن كفاءة زاخاروف في التخطيط للعمليات، وفي تنسيق التعاون بين الجيوش، ومجابهة الأزمات بكفاءة عالية، والاستجابة بشكل صحيح للتطورات المتسارعة، كل ذلك جعل من (زاخاروف) نموذجاً لرئيس هيئة الأركان الناجح. وقد عمل مع كبار القادة (كونييف، مالينوفسكي، جوكوف)، ولم يتمكن بريق هؤلاء القادة أن يحجب الدور الذي اضطلع به (زاخاروف) في إدارة الحرب طوال سنوات الحرب القاسية.

د ـ فاسيلي ايفانوفيتش تشويكوف

VASSILI-IVANOVITCH -TCHOUIKOV

١٩٠٠ ـ ١٩٨٢

انضم فاسيلي. إ. تشويكوف للجيش سنة ١٩١٧، واشترك في الحرب الأهلية، والتحق بعد ذلك بالأكاديمية الحربية، وشغل عدداً من القيادات الثانوية. وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية كان تشويكوف ملحقاً عسكرياً في الصين، ورئيساً للمستشارين العسكريين في قيادة جيش الصين الوطنية (بقيادة شيان كاي شيك)، فتم استدعاؤه إلى موسكو في آذار ـ مارس ـ سنة ١٩٤٢ حيث أسندت إليه قيادة جيش احتياطي كان يتم تدريبه في إقليم (تولا). وقد صدر الأمر في شهر تموز ـ يوليو ـ بتسمية هذا الجيش باسم (الجيش ٦٢)، والذي تم تحويله في ١٢ أيلول سبتمبر ـ ١٩٤٢ إلى (جيش الحرس الثامن)، وكلف بالدفاع عن ستالينغراد خلال أصعب مرحلة من مراحل الحرب.

وكان (تشويكوف) قد درس خلال التحاقه بمعهد (فرونزه) أساليب عمل القوات الألمانية، من خلال البحث في عدد من معاركهم على الجبهة الغربية ، خلال الحرب العالمية الأولى. فكان يتوقع خلال الأيام الأولى من معركة الدون (٢٥ ـ ٢٧ تموز ـ يوليو ١٩٤٢) أن يشاهد تنسيقاً بين عمل المدفعية الألمانية وبين تحركات القوات الأرضية، وأن يرى سدوداً دقيقة من نيران المدفعية وتحركات سريعة وحاسمة، ولكنه لم يشاهد شيئاً من ذلك، وأفاد من ذلك لتنظيم دفاع عميق، بهدف استنزاف القوات الألمانية في القتال خندقاً بعد خندق، وحقق ذلك بنجاح رائع. وتابع تشويكوف قيادته بدراسة أساليب الألمان ـ التكتيكية ـ وتنظيم المعارك الدفاعية والهجمات المضادة على أساس هذه الدراسة. وقد جابه تشويكوف في قيادته مآزق صعبة أمكن له معالجتها بنجاح، مما أبرز دوره في الدفاع عن ستالينغراد طوال فترة الأيام الصعبة التي عاشتها المدينة، حتى تم القضاء على جيش (فون باولوس) في ٢٦ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤٣. ثم انطلق تشويكوف بجيشه حتى وصل عاصمة ألمانيا (برلين) ، وكان له الفخر باقتحام المدينة في مقدمة الجبهات السوفييتية. وخلال هذه المرحلة حدث خلاف بينه وبين ماريشال الاتحاد السوفييتي ـ جوكوف ـ إذ كان تشويكوف يتعجل في الانقضاض على برلين بهدف عدم إتاحة الفرصة أمام الألمان لتنظيم دفاعهم عن عاصمتهم ، في حين كان جوكوف يريد التمهل حتى تتم إعادة تنظيم قوات الجبهات وحشد القوى والوسائط الضرورية من أجل ضمان ظروف النجاح، وتحقيق الهدف بحد أدنى من الخسائر.

وعندما انتهت الحرب، تم تعيين تشويكوف قائداً للقوات السوڤييتية في ألمانيا، ثم عين قائداً لإحدى المناطق العسكرية، ثم قائداً للقوات البرية السوڤييتية ونائباً لوزير الدفاع، إلى جانب رئاسته للدفاع المدني السوڤييتي.

هـ ـ فاسيلي سوكولوفسكي

VASSILI - SOKOLOVSKI

١٨٩٧ ـ ١٩٦٨

دخل سوكولوفسكي حياة الجيش وعمره عشرون عاماً ونيف (١٩١٨). وخاض غمار الحرب الأهلية وانصرف بعد ذلك للتعلم في المعاهد العسكرية، وقيادة القوات وتدريبها وإعدادها للحرب، حتى إذا ما تفجرت الحرب العالمية الثانية، أسندت إليه رئاسة هيئة أركان الجبهة الغربية المسؤولة عن حماية موسكو والدفاع عنها، (تموز ـ يوليو ـ ١٩٤١ حتى كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤٣)، وأفاد من خبراته المكتسبة خلال عمله رئيساً لهيئة أركان منطقة الفولغا العسكرية (١٩٣٥) فوضع المخططات المحكمة لتنظيم الدفاع. وقد وصفه فاسيليفسكي بقوله: «لقد كان سوكولوفسكي قائداً عسكرياً موهوباً، ويتمتع بخبرة قيادية ضخمة، ويملك معرفة نظرية واسعة. تميز بقدرته على الاعتماد على هيئة أركانه لدى تقرير خطة العمليات وخلال مرحلة تنفيذها».

ولقد أبرزت الاعمال القتالية في الدفاع عن موسكو، أسماء عدد كبير من القادة، لم يكن سوكولوفسكي أقلهم شهرة، إن لم يكن

من أبرزهم وأكثرهم كفاءة، وهذا ما مكنه من تولي قيادة عدد من الجبهات، حتى إذا ما انتهت الحرب، عين في منصب نائب وزير الدفاع، ورئيس هيئة الأركان، والمفتش العام لوزارة الدفاع السوفييتية (١٩٥٣ - ١٩٦٠). وفي هذه الفترة، جابه الاتحاد السوفييتي قضية أساسية في إعادة بنية القوات المسلحة وتنظيمها وإعدادها للحرب، بنتيجة ظهور الأسلحة النووية الاستراتيجية وتطور الأسلحة الصاروخية ووسائط الحرب الإلكترونية، فكان لا بد من إعادة النظر في (الاستراتيجية العسكرية السوفييتية).
ووقف سوكولوفسكي موقف المحلل الناقد، فأدان تجربة ستالين بقوله:

«كان تقييم ستالين الخاطىء للوضع السياسي والعيوب التي أحدثتها عبادة الفرد، من أهم الاسباب التي جعلت الاتحاد السوفييتي غير مستعد استعداداً كافياً لردع العدوان، ولا شك في أن هذا يفسر إلى حد كبير الأخطاء التي وقعت فيها وزارة الحرب السوفييتية، وهيئة أركان حرب الجيش الأحمر، إذ أنهما لم تقوما بإعداد القوات المسلحة للحرب، ولم ترسما الخطط لحشدها استراتيجياً».

وفي الوقت ذاته أدان نهج خروتشوف الذي كان يريد تخفيض حجم القوات البرية والقوات الجوية التكتيكية وقوات الطيران البحري؛ وذلك اعتماداً على قدرة الردع التي وفرتها الأسلحة الاستراتيجية النووية.

ونجح سوكولوفسكي نجاحاً كبيراً في طرح أفكاره التي

لقيت دعماً كبيراً في وسط القيادة السوفييتية، بسبب اعتمادها على التجربة التاريخية لفن الحرب من جهة، واعتمادها على ظروف الصراع الدولية المحتملة والحروب المتوقعة من جهة ثانية، وبسبب التطورات العلمية والتقنية على الأسلحة التقليدية من جهة ثالثة. وبذلك احتل فاسيلي سوكولوفسكي مرتبته (منظراً عسكرياً رائعاً)، إضافة إلى ما قدمه من عطاءات خلال فترة قيادته للحرب وادارة معاركها.

و ـ أندريه يريمنكو

ANDREI - ÉRÉMENKO

١٨٩٢ ـ ١٩٧٠

تطوع في الجيش القيصري سنة ١٩١٣، وانضم إلى الجيش الأحمر، وبرز خلال الحرب الأهلية والتحق بعدد من الدورات التدريبية، كما تولى قيادات مختلفة، حتى إذا ما كانت الحرب العالمية الثانية، أسندت إلى يريمنكو قيادة جبهة (بريانسك)، وهو برتبة لواء، وكانت هذه الجبهة مكلفة بالدفاع عن (تولا). وتعرضت قوات الجبهة لثقل هجمات مدرعات غودريان، وأبدت مقاومة بطولية في الدفاع عن (اوريول) وعن (تولا) غير أنها تعرضت لخسائر فادحة، كما تعرضت للتطويق، واستطاع يريمنكو أن يدمر طوق الحصار وأن يخترقه ببقية قواته (في ٢٣ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ١٩٤١) الأمر الذي حمل القيادة العليا على إصدار أمرها بحل جبهة بريانسك، وإسناد أمر الدفاع عن (تولا) إلى الجبهة الغربية في ٢٠ تشرين

الثاني ـ نوفبر ـ. وأسندت إلى (يريمنكو) مهمة قيادة الجيش الرابع (في الجبهة الشمالية الغربية).

وكان من أبرز أعمال يريمنكو وجيشه في هذه الفترة، قيامه بالهجوم على اتجاه توروبيتس ـ فيليج في شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٤٢. وكان هجوماً ناجحاً أمكن له دفع القوات الألمانية على اتجاه فيازما مسافة ٢٥٠ كيلومتراً. غير أن القوات الألمانية قامت بهجوم الصيف، وتمكنت من الوصول إلى أبواب موسكو، وشددت قبضتها على ستالينغراد والتي كان يتولى قيادتها (يريمنكو). فنظم الدفاع بحزم، وأمكن له إحباط الهجمات الألمانية، وإنزال الخسائر الفادحة بقواتها.

واستمر يريمنكو في قيادته لجبهة ستالينغراد بكفاءة عالية، غير أنه ظهرت اختلافات بين يريمنكو وبين القيادة (ستالين وفاسيليفسكي بصورة خاصة) عندما تحول الموقف، وبدأ الهجوم السوڤييتي العام، إذ كان يريمنكو يرى ضرورة القيام باستدارة أوسع حول الجناح الأضعف للقوات الألمانية ـ الجناح الأيسر ـ، وذلك مما كان يستدعي القيام بمناورات معقدة للقوات القائمة بالعملية (جيش الحرس الثاني).

وبالإضافة إلى ذلك فقد أظهر يريمنكو ضعفاً في قيادة الأعمال الهجومية، وتقديراً خاطئاً لبعض المواقف ـ مثل اعتقاده بقدرته على سحق السافل غودريان في بداية الحرب، ثم تراجعه وتمزق قواته عند اشتداد القتال. ولهذا فعندما تم الاتفاق على تنفيذ الهجوم المضاد العام، اتخذ ستالين قراره بوضع قوات جبهة ستالينغراد تحت قيادة روكوسوفسكي. وظن يريمنكو أن هذه الضربة قد جاءته بسبب عمل

فاسيليفسكي ضده لحرمانه من قطف ثمرة النصر. ولم يكن لفاسليفسكي علاقة بالأمر، غير أن ستالين أراد قائداً أقوى من قائد لا أكثر ولا أقل، وهذا لم ينتقص بداهة من قدرة يريمنكو أو كفاءته باعتراف كبار قادة الجيش السوفييتي، لا سيما في مرحلة الدفاع عن ستالينغراد طوال سنة ونصف السنة تقريباً.

ز ـ إيفان كونيف

IVAN - KONÉV

١٨٩٧ ـ ١٩٧٣

ولد كونيف في (لادينو) سنة ١٨٩٧. تطوع جندياً في الجيش سنة ١٩١٦، واشترك في الحرب الأهلية. وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية، كان قائداً لأحد الجيوش ، ثم ما لبث أن تولى قيادة مجموعات جيوش (جبهات)، وبرز دوره في معركة (كورزون ـ شيغتشنكوفسكي)، واحتل سيليزيا، وكان له دور كبير في الاستيلاء على برلين وفي تحرير براغ سنة ١٩٤٥. وشغل بعد الحرب منصب القائد الأعلى للقوات البرية السوفييتية وقائداً لعدد من المناطق العسكرية؛ كما شغل منصب القائد الأعلى للقوات الموحدة لدول حلف وارسو، والمفتش العام لوزارة الدفاع السوفييتية. وقد وصفه فاسيليفسكي بقوله:

«يتميز إيفان كونيف بشخصيته القوية، يحب زيارة القوات كثيراً، ويتوجه حالما يتخذ قراره لتنفيذ العملية إلى الجيوش والفيالق والفرق، حيث يعمل معها على إعداد القوات من أجل العمليات

القتالية القادمة، مستخدماً خبرته الغنية في هذا المجال. أما بقية أمور خطة العمليات فكان يتركها لهيئة أركانه».

وذكر المارشال جوكوف فيما ذكره عن قصة الحرب: «كان يدافع عن مشارف موسكو البعيدة، ومع بداية هجوم القوات الألمانية، ثلاث جبهات سوفييتية هي: الجبهة الغربية بقيادة الجنرال كونييف؛ والجبهة الاحتياطية بقيادة مارشال الاتحاد السوفييتي بوديوني؛ وجبهة بريانسك بقيادة الجنرال يرمنكو. وقد قمت بزيارة الجبهة في يوم ٧ تشرين الأول ـ اكتوبر ـ ١٩٤١ بتكليف من القائد الأعلى ستالين فوصلت إلى أركان الجبهة ليلاً، وكان القادة مجتمعين في مقر قائد الجبهة الغربية. كانت غرفة القائد شبه مظلمة، وهناك شموع مضيئة، وقد جلس حول الطاولة كل من كونييف وسوكولوفسكي وبولغانين ومالاندين، وكان يبدو التعب عليهم جميعاً. . . وفي يوم ١٠ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ أصدر ستالين أمراً بتعييني قائداً للجبهة الغربية على أن يبقى كونييف مساعداً لي. فاقترحت تعيين كونييف قائداً لمجموعة القوات على اتجاه كالينين، ووافق ستالين. وقام كونيف بتنظيم الدفاع على محور كالينين، حيث دارت أعنف المعارك وأقساها. غير أنه بسبب امتداد الجبهة، وكذلك الصعوبات الكبيرة في قيادة تجميع جبهة كالينين. أصدرت هيئة القيادة العليا أمراً بدعم جبهة كالينين بأربعة جيوش للعمل تحت قيادة كونيف. وعاش كونيف تجربة الدفاع عن موسكو بكل قسوتها، وذاق طعم النصر فيها. وانطلقت القوات السوفييتية للهجوم العام، وأصبح اسم الجبهة التي تولى كونييف قيادتها ـ هو اسم ـ جبهة

السهوب ـ التي ضمت ثمانية جيوش تقريباً ودعمها جيش جوي ـ الجيش الخامس ـ وقد كان لهذه الجبهة دورها الحاسم في معركة كورسك، ثم في سائر الأعمال القتالية التي تبعت ذلك».

لقد كان كونيف قائداً اكتسب ثقة رؤسائه ومرؤوسيه على السواء وحقق كافة الواجبات التي أسندت إليه بنجاح كامل.

ح ـ كيريل موسكالينكو

KIRILL - MOSKALENKO



أخوة السلاح يهنئون غ. ك. جوكوف بمناسبة بلوغه سن الستين. من اليمين إلى اليسار: إ. س. كونيف، ف. د. سوكولوفسكي، آ. م. فاسيليفسكي، س. م. بوديوني، ك. ك. روكوسوفسكي، ب. ف. جيفاريف، س. غ. غورشكوف، ر. يا. مالينوفسكي، س. س. بيريوزوف، إ. خ. باغراميان. ١٩٥٦.

آ. ب. ماريسييف وآ. م. فاسيليفسكي ١٩٥٦

ولد كيريل سيميونوفيتش موسكالينكو سنة ١٩٠٢؛ والتحق بالجيش الأحمر سنة ١٩٢٠ وعاش تجربة بناء الجيش الحديث، في التنظيم والتجهيز والتدريب والإعداد للحرب. حتى إذا ما كانت الحرب العالمية الثانية تولى قيادة فيلق ثم جيش ثم مجموعة جيوش. وكان له ولجيشه دور أساسي في معركة كورسك. وقد كتب فاسيليفسكي فيما كتبه عنه:

«قام الجيش الثامن والثلاثون بقيادة اللواء ك. س. موسكالينكو، وهو الجيش الذي ظل يقوده حتى نهاية الحرب، بداية بهجومه الشامل في يوم ١١ آذار ـ مارس ـ ١٩٤٤. كان كيريل س. موسكالينكو يتميز بالخبرة العملية والمعرفة؛ والحزم والتصميم. وقادته هذه الميزات دائماً إلى التنفيذ الناجح للمهمات التي كلفت بتنفيذها قواته. وقد ظهرت مواهبه القيادية على أكمل وجه، أثناء قيادته للجيش الثامن والثلاثين بصورة خاصة؛ والذي قاتل منتصراً من أجل تحرير أوكرانيا وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا. ولذلك لم يكن من باب الصدفة أن تسند لهذا القائد بعد الحرب رئاسة قوات الدفاع الجوي لمنطقة العاصمة العسكرية، ثم قيادة منطقة موسكو العسكرية، ثم قيادة قوات الصواريخ الاستراتيجية؛ ثم نائباً لوزير الدفاع السوفييتي».

وتحدث مارشال الاتحاد السوفييتي ـ جوكوف ـ عن موسكالينكو وجيشه الثامن والثلاثين في تحرير كييف، فكتب ما يلي:

«تم تبديل اسم جبهة فارونيج اعتباراً من ٢٠ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ١٩٤٣ وأصبح اسمها جبهة أوكرانيا الأولى، وقد ضمت

الجيش ٣٨ بقيادة الجنرال ـ الفريق الأول ـ موسكالينكو ـ وقد انطلق هذا الجيش للهجوم باتجاه كييف يوم ٣ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٤٣ . وقد تطور هجوم جيش موسكالينكو تطوراً بطيئاً في البداية حتى إذا ما كان صباح يوم ٥ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ استطلع هذا الجيش طريق ـ كييف جيتومير ـ وفي نهاية اليوم ذاته، كان جيش موسكالينكو يخوض معركة ضارية على أبواب كييف استمرت حتى الساعة ٤,٠٠ من صباح ٦ تشرين الثاني ـ نوفمبر حيث حرر الجيش مدينة كييف. فأرسلت برقية لزف هذا النبأ إلى القائد الأعلى ـ ستالين ـ جاء فيها: نعلمكم بغبطة فائقة أن المهمة التي وضعت من أجل الاستيلاء على مدينتنا الجميلة كييف، عاصمة أوكرانيا، قد نفذتها قوات جبهة أوكرانيا الأولى، وقد طهرت مدينة كييف من المحتلين الفاشيين تطهيراً تاماً، وتتابع قوات الجبهة تنفيذ المهمة الموضوعة لها. وقد قام المجلس الحربي للجيش ٣٨ الذي يقوده الفريق الأول موسكالينكو ـ أثناء تحضير العملية الخاصة وتنظيمها؛ والاستيلاء على مدينة كييف؛ وتدمير تجمع العدو الموجود في منطقة كييف بعمل كبير وهام.

ط ـ روديون مالينوفسكي

RODION - MALINOVSKI

١٨٩٨ ـ ١٩٦٧

تطوع مالينوفسكي في الجيش القيصري سنة ١٩١٤؛ وخدم جندياً، ثم انضم إلى الجيش الأحمر، وعاش تجربة الحرب الأهلية

وحروب التدخل. وأظهر كفاءة عالية أهلته لدخول الكلية الحربية؛ ثم بدأ تسلق سلم الرتب العسكرية وقيادة القوات، حتى إذا ما بدأت الحرب العالمية الثانية كان مالينوفسكي واحداً من القادة العسكريين القلائل الذين يمتلكون كفاءة قيادية عالية؛ وخبرة قتالية جيدة (من أمثال جوكوف وتيموشنكو وكونيف وروكوسوفسكي وفاتوتين وسواهم). وقد وصفه فاسيليفسكي بقوله:

«كانت العلاقات مختلفة بعض الشيء بين روديون ياكوفليفيتش مالينوفسكي وبين هيئة أركانه عما كانت عليه هذه العلاقات بين القادة وهيئات أركانهم. ذلك أن مالينوفسكي كان قد عمل طويلاً في هيئات الأركان، ولذلك كان يأخذ على عاتقه القسم الأكبر من العمل لدى إعداد الخطط، وهو الذي كتب معظم الوثائق المتعلقة بالعمليات؛ بينما كان رؤساء هيئات الأركان في التشكيلات الأخرى هم الذين يفعلون ذلك. كان روديون ياكوفليفيتش خشناً من حيث الطبع. وقد تولى في بداية الحرب قيادة فيلق للمشاة؛ ثم تولى قيادة جيش، ثم تولى قيادة جبهة سنة ١٩٤٣؛ واستمر في قيادة الجبهات حتى نهاية الحرب، حيث أصبح بعدها قائداً لعدد من المناطق العسكرية، فقائداً أعلى للقوات البرية فوزيراً للدفاع، وكان له دوره الحاسم ـ خاصة ـ في تحرير البلقان».

لقد كان مالينوفسكي خلال عمليات تحرير البلقان، يتولى قيادة جبهة أوكرانيا الثالثة. وكان على هذه الجبهة التعاون مع جبهة أوكرانيا الرابعة (بقيادة ف. إ. تولبوخين) لتوجيه ضربة على محاور متلاقية (تطويق) لتصفية تجمع القوات الألمانية في (نيقوبول

ـ كريفوي روغ) . وبدأ مالينوفسكي عملياته في نهاية كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤٤ بتوجيه ضربات استطلاعية قوية . وتم تحرير نيقوبول في ٨ شباط ـ فبراير ـ ثم طورت الجبهة أعمالها القتالية اعتباراً من ٦ ـ آذار ـ مارس ـ ضد الجيش الألماني السادس والجيش البولوني الثالث . وأمكن لها حتى ١٣ آذار ـ مارس ـ تحرير مدينة خيرسون والاندفاع نحو نيقولاييف ، ثم التحول نحو الشمال لقطع طريق انسحاب الجيشين الألماني والبولوني . وعندما أنهت جبهة مالينوفسكي أعمالها في ٢ نيسان ـ أبريل ـ ١٩٤٤ ، كانت قد دمرت بين نهري الدنيبر وبوغ الجنوبي قوة ٩ فرق مشاة ومدرعة للعدو، بالإضافة إلى إخراج عشرين فرقة أخرى من القتال بعد إنزال الخسائر الفادحة بقواتها ووسائطها القتالية . وقد قدر الألمان خسائرهم هنا (٥١) ألف قتيل وجريح بين ضابط وجندي . وتمكنت جبهة مالينوفسكي يوم ١٤ نيسان ـ أبريل ـ من تحرير كل الضفة اليسرى لنهر الدنيستر حتى البحر الأسود، مما سهل عملية تحرير سائر أنحاء بلاد البلقان .

ي ـ إيفان باغراميان

IVAN - BAGRAMIAN

١٨٩٧ ـ ١٩٨٢

تطوع جندياً في الجيش القيصري سنة ١٩١٥ ؛ وعرف قسوة الحرب ومعاناتها خلال اشتراكه فيها في الحرب العالمية الأولى ؛ واشترك في الحرب الاهلية ؛ وعمل في عدد من الوحدات والتشكيلات ؛ واتبع دورات تدريبية أهلته ليكون في بداية الحرب

العالمية الثانية رئيساً لهيئة أركان إحدى الجبهات؛ ثم تولى قيادة عدد من الجبهات. وشغل بعد الحرب قيادة منطقة عسكرية؛ كما تسلم منصب مدير الكلية الحربية، فرئيساً لهيئة الأركان العامة، فنائباً لوزير الدفاع. واكتسب شهرة واسعة خلال قيادته للأعمال القتالية في (جبهة البلطيق). وقد وصفه فاسيليفسكي بقوله:

«كان باغرامیان دون شك قائداً عسكرياً موهوباً، توافرت له الخبرة لممارسة العمل القيادي، وعمل هيئات الأركان، مما ساعده على النجاح في تنفيذ المسائل المتعلقة بقيادة القوات، ووضع الخطط للعمليات، وكان يحاول دائماً البحث عن أقصر الطرق لبلوغ النصر، وكانت له شخصيته القوية والثابتة دائماً. وكنت قد تعرفت على باغرامیان قبل الحرب الوطنية العظمى، عندما كنا ندرس معاً في أكاديمية الأركان العامة. وهكذا أتيحت لي فرصة اللقاء مجدداً به يوم ٨ حزيران - يونيو - ١٩٤٤، حيث توجهت لمقابلته في مقر قيادته للجبهة، واستمعت إلى تقريره عن الاستعداد للعمليات القادمة، حيث كان على جبهة البلطيق التعاون مع جبهة بيلاروسيا الثالثة لتدمير تجمع القوات الألمانية في (فيتيبسك - ليبيك)، وهي العملية التي أطلق عليها الاسم الاصطلاحي - باغراتيون - وفي يوم ٢٢ حزيران - يونيو - أكملت جبهة البلطيق الأولى استعداداتها وانطلقت للهجوم الحاسم الذي طال انتظار موعده. واستطاعت القوات القضاء على المقاومات الضارية التي اعترضت سبيل تقدمها، وتابعت تطوير هجومها - بالتعاون مع جبهة بيلاروسيا الثالثة - وأخذت في يوم ٢٤ حزيران - يونيو - بعبور نهر دفينا الغربي - وأمكن إحكام طوق

الحصار على القوات الألمانية في (فيتيبسك) يوم ٢٦ حزيران ـ يونيو ـ ثم تابعت القوات تقدمها فأمكن لها تطويق التجمعات الألمانية الأساسية في مناطق (أورشا وبوبرويسك ومينسك) بضربات متلاقية».

لقد كان باغراميان في خلاف مع القائد فاسيليفسكي في الرأي تجاه عدد من القضايا، وبالرغم من ذلك، فقد اعترف فاسيليفسكي بكفاءة باغراميان وقدرته وميزاته، وقد يكون ذلك ناجماً عما عرف عن فاسيليفسكي من الفضائل ومن الموضوعية في معالجته للأمور، ولكن ذلك لا ينفي أو يستبعد ما تميز به باغراميان من الكفاءة القيادية التي فرضت ذاتها على الأصدقاء والخصوم. ولم تكن الخصومة مع باغراميان في الحالات كلها إلا نتيجة طبيعية للاجتهاد في طرح الخطط والمواقف للوصول إلى نصر سريع وحاسم وهو الهدف الذي كان يلتقي عنده القادة جميعاً.

المراجع الرئيسة للبحث

١ ـ قضية العمر (آ. م. فاسيليفسكي) ترجمة سعيد أحمد. مركز الأبحاث العسكرية ـ دمشق.

٢ ـ الواجب العسكري (ك. روكوسوفسكي) اللواء الركن عبد الرزاق الأردري ـ دمشق ـ ١٩٧٢.

٣ ـ مذكرات وآراء (المارشال جوكوف) وزارة الدفاع دمشق ـ ١٩٧٢.

٤ ـ ملحمة القفقاس (المارشال أندريه غريتشكو) تعريب اللواء الركن عبد الرزاق الدردري ـ العميد الركن عبد العزيز جركس ـ دمشق ـ ١٩٧١.

٥ ـ باتجاه الجهد الرئيسي. الجنرال. آ. آنتيبينكو ـ مركز الأبحاث العسكرية ـ دمشق.

٦ ـ تطور فن الحرب ـ الجنرال جيلين ـ ترجمة محمد حسن حافظ ـ مركز الدراسات العسكرية ـ دمشق ـ ١٩٨١.

(7) LES MARÉCHAUX- SOVIETIQUE RACONTENT - LA SECONDE GUERRE MONDIALE- ÉDITIONS DE L'AGENCE DE PRESSE NOVOSTI- MOSCOU- 1985.

(8) THE GREAT VICTORY (VASSILI RYABOV) NOVOSTI PRESS AGNCY PUBLISHING HOUSE- MOSCOU 1985.

(9) U.S.S.R. IN WORLD WAR TWO (LEONID YREMEYEV) NOVOSTI- MOSCOU- 1985.

(10) THE FINAL ASSAULT (VLADIMIR ABYZOV) NOVOSTI- MOSCOU- 1985.

الفهرس

الموضوع	الصفحة

قراءات

مشاهير قادة
الحرب العالمية الثانية

الحرب العالمية الثانية، التي ما زالت كابوساً يؤرق حياة الناس، وعقلاء القادة، حتى يومنا هذا، أبرزت قادة عظاماً يجدر بعسكريينا ومثقفينا وجميع شبابنا أن يدرسوها، ويستفيدوا من خبراتها. . .
فقديماً قيل: «إذا أردت أن تكون عظيماً فاقرأ حياة العظماء».

لقد اختار مؤلف هذه السلسلة الجديدة، وهو المحلل العسكري الشهير والكاتب المبدع، أشهر قادة هذه الحرب، فكتب عن كل واحد منهم كتاباً، حلل فيه شخصية القائد موضوع البحث، وشرح المعارك التي خاضها، في إطار بحث شائق للظروف التي أحاطت بكل معركة من تلك المعارك وأدت إلى النصر أو الهزيمة.

الناشر

